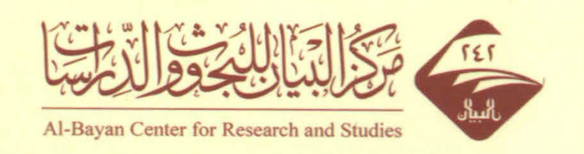


تأملات في التشيع

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

www.albayan.co.uk



أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

ح مجلة البيان، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري، ناصر عبد الله القفاري

تأملات في التشيع./ ناصر عبد الله القفاري، - الرياض، ١٤٣٨هـ

ص ٢١٧؛ ١٧× ٢٤ سم

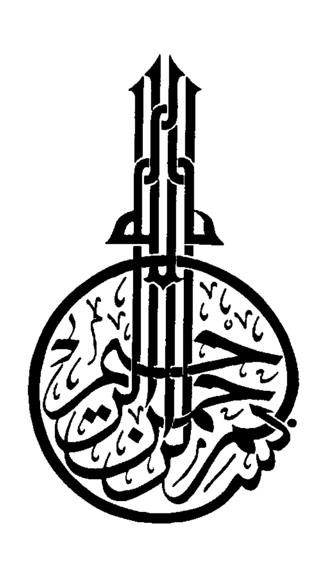
ردمك: ٩ - ١٤ - ٨١٩١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

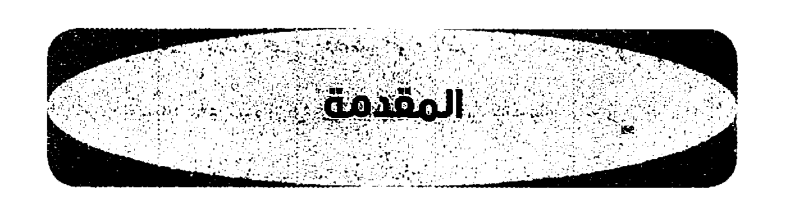
١ - الشيعة - تاريخ أ. العنوان

ديوي ٢٤٧ ١٤٣٨/٢٩٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٢٩٨٥

ردمك: ٩ - ١٤ - ٨١٩١ - ٦٠٣ - ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأصل هذا الكتاب (تأملات في التشيع) مجموعةٌ من الأبحاث حول التشيع نُشر غالبها في مجلة البيان[1]، وهي تتناول موضوعاتٍ متفرقةً يجمعها الحديث عن التشيع الرافضي المجوسي الذي نشاهد اليوم خطره العظيم، ونلمس ضرره الكبير، ونرى شره المستطير الذي يهدد هوية الأمة الإسلامية وأمنها واستقرارها واجتماعها.

جاءت هذه المقالات صيحة نذير، وبيان تحذير، يبصِّر الأمة بحقيقة هذا العدو الرافضي الباطني الذي يتسمَّى باسمها وينتسب إليها في الظاهر، وهو يكيد لها ويسعى لمحو وجودها في الباطن، شِعَاره التشيع الكاذب لآل البيت ﷺ، ودِثاره إحياء الوثنية الجاهلية، وإبادة الأمة الإسلامية في سبيل إعادة الإمبراطورية الفارسية المجوسية.

يتناول هذا الكتاب الحديث عن الخطط السرية الصفوية تجاه الحرمين الشريفين، وكشف الحقيقة الباطنية لشيعة اليوم، وبيان الأثر الفارسي في انحراف التشيع الأول عن صفائه ونقائه، من محبة آل البيت والتأسي بهم إلى الغلو فيهم وتقديسهم، ومحاولة إحياء معالم الوثنية الفارسية البائدة، وتحدث الكتاب عن شيءٍ من التأويلات الباطنية لكتاب الله عز وجل التي لا تجعل لمن يؤمن بها ويعتقدها نصيبًا في الإسلام، والتي تحاول النيل من قداسة القرآن العظيم وإعجازه وهدايته.

(١) عدا مقالتي «عودة الغزو الباطني» و«نصر الله والمناهج السعودية» فقد نشرتا في جريدة «اليوم» السعودية.

كما أماط هذا الكتاب اللثام عن خطط الروافض وأساليبهم في خداع المسلمين لنشر مذهبهم وإخفاء حقيقة نحلتهم، وبيَّن جانبًا من تناقضهم الذي هو أمارة على بطلان دينهم، وحقيقة علاقتهم بمخالفيهم من المسلمين، ومقالاتهم في أمصار المسلمين وبلدانهم، وتكفيرهم ولعنهم لجميع فرقهم وطوائفهم.

وفي الكتاب أيضًا بيان أن مصادرهم المعتمدة لديهم، ومناهجهم التعليمية في حوزاتهم، وفتاوى مراجعهم؛ هي مصدر التكفير والإرهاب، ومنبع الغلو والتطرف.

وقد اختُتم الكتاب ببيان معالم عودة هذا الغزو الباطني الذي يستهدف عقيدة الأمة ووجودها، بألسنة شيوخهم ومراجعهم، مع بيان منهج مقترح للتصدي لهذا الغزو، يستلهم أصوله من هدي الكتاب والسنة، وتاريخ سلف الأمة.

والله تعالى أسأل أن يجنبنا الشرور والمحن، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه موافقًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الخطة السرية للشيعة الصفوية تجاه الحرمين الشريفين

أعني بالشيعة الصفوية طائفة الإثنى عشرية، شيعة إيران أصحاب ولاية الفقيه، وهم الذين يلقَّبون في عصرنا بـ«الشيعة»، ولا ينصرف لقب الشيعة عند الإطلاق في نظر جمع من الباحثين إلا إليهم[١].

أما وصفهم بالصفوية فهو نسبة إلى الدولة الصفوية في إيران التي كانت من بلاد السنة حتى بليت بالحكم الصفوي الذي استمر من سنة ٩٠٥هـ إلى سنة ١١٤٨هـ[٢]، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي، وفرض التشيع الإثنى عشري على الإيرانيين قسرًا، وجعله المذهب الرسمي لإيران[٣].

أما خطتهم السرية تجاه الحرمين فهي ثابتة في مصادرهم المعتمدة ونصوصهم المقدسة التي نص على اعتمادها الدستور الإيراني في مادته الثانية وسماها «سنة المعصومين»[٤]، وقد حددها مراجعهم بأنها ثمانية، ويسمونها «صحاح الإمامية الثمانية»[٥]، وأضافوا إليها ما كان في منزلتها مما كتبه شيوخهم المعتمدون لديهم، وفق ما قرره شيخهم المجلسي في بحاره المظلمة[٦].

---

(١) انظر: «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٦٨)، «مستدرك الوسائل» (٣/ ٣١١)، «روح الإسلام» لأمير علي (٢/ ٩٢)، «أصل الشيعة وأصولها» (ص٩٢)، «الشيعة في التاريخ» للعاملي (ص٤٣)، «الغلو والفرق الغالية» (ص٨٢)، «أصول الدين وفروعه عند الشيعة» لأحمد زكي تفاحة (ص٢١)، «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير (ص٩)، «مجلة كلية الدراسات الإسلامية» العدد الأول ١٣٨٧هـ (ص٣٥).

(٢) «الشيعة في الميزان» مغنية (ص١٨٢).

(٣) انظر مقالنا: «التشيع الصفوي»، منشور بمجلة البيان.

(٤) «الدستور» (ص١٥-١٦).

(٥) «منهاج عملي للتقريب»، مقال للرافضي محمد الحائري ضمن كتاب الوحدة الإسلامية (ص٢٣٣).

(٦) «بحار الأنوار» (١/ ٢٦-٢٧).

وإنما وصفت بالسرية لأنها كانت سرية يتواصون بكتمانها، حتى قالوا في وصاياهم: «لا تبثوا سرنا، ولا تذيعوا أمرنا»[١]، وقالوا: «إن أمرنا سر في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيده إلا سر، وسر على سر، وسر مقنع بسر»[٢].

وكانوا يستترون بدينهم في وقت عز الإسلام والمسلمين، حتى قالوا: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[٣]، ومن وصاياهم لأتباعهم: «اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا وجعله نورًا بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنة، يا معلي من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا ونزع النور من بين عينيه في الآخرة وجعله ظلمة تقوده إلى النار»[٤].

ويدركون أن هذه الروايات لا يمكن لعقل مسلم أن يتحملها، فأوصوا دعاتهم بالتدرج في نشرها وبثها، فقالوا: «إن حديثنا تشمئز منه القلوب، فمن عرف فزيدوهم ومن أنكر فذروهم»[٥]، وبوب شيخهم الكليني في ذلك بابًا بعنوان: «باب الكتمان»[٦]، وعقد شيخهم المجلسي في كتابه «البحار» بابًا بعنوان: «باب إن حديثهم - عليهم السلام - صعب مستصعب»[٧].

ثم قاموا بتدوين هذه النصوص في مصادر لم تكن معروفة لدى عموم الأمة، لأنها كانت - فيما يظهر - موضع التداول السري فيما بينهم، وكانوا يتعاملون مع عموم المسلمين بالتقية التي هي من أركان دينهم، وهي التظاهر في أقوالهم وأفعالهم بخلاف ما يعتقدونه بقلوبهم،

---

(١) «الكافي» (٢/ ٢٢٢)، «وسائل الشيعة» (١٦/ ٢٣٦)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٧٣).
(٢) «بصائر الدرجات» (ص٤٩)، «بحار الأنوار» (٢/ ٧١).
(٣) «الكافي» (٢/ ٢٢٢).
(٤) «الكافي» (٢/ ٢٢٤).
(٥) «بحار الأنوار» (٢/ ١٩٢).
(٦) «الكافي» (٢/ ٢٢١).
(٧) «بحار الأنوار» (٢/ ١٨٢-٢١٢).

وذلك بغية تحقيق أهدافهم، وقد قرر شيخهم محمد جواد مغنية أن التقية عندهم هي أن «الغاية تبرر الواسطة»[1]، أي هي ما يسمى في العرف السياسي بالميكيافيلية. والحقيقة أن تقيتهم لا معنى لها سوى النفاق، وليست هي التقية المشار إليها في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٨٢]، ومع أنها النفاق بعينه فقد عظموا من شأنها في دينهم حتى قالوا: «لا دين لمن لا تقية له»[2].

ولهذا فقد أصبحت هذه المصادر بما تضمنته من مبادئ خطرة موضع الكتمان، وبحسبك أن تعلم أن أهم هذه المصادر وأصحها وأقدسها في نظرهم «الكافي» للكليني لم يكن معروفًا لدى معاصريه، كالإمام أبي الحسن الأشعري صاحب «المقالات» مع أنه معاصر للكليني زمانًا ومكانًا، بل لم يقف عليه من جاء بعد الأشعري من علماء المقالات والفرق كعبد القاهر البغدادي، وابن حزم، والإسفراييني، والشهرستاني.

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية مع تتبعه لكتبهم ومصادرهم لم يقف عليه أيضًا، ولذلك خفيت عليه بعض عقائدهم الخطيرة، كقوله مثلًا عن عبادتهم للمشاهد من دون الله وتفضيلها على الحج إلى بيت الله الحرام: «حدثني الثقات أن فيهم من يرون الحج إليها أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت»[3]، مع أن هذه العقيدة الوثنية من ضرورات دينهم، ومستفيضة ومقررة في جميع مصادرهم المعتمدة ومنها «الكافي».

كما أن ابن تيمية نسب القول بأن القرآن ناقص إلى الباطنية مع أنه مستفيض بل متواتر في كتب الإثنى عشرية، حيث قال: «وكذلك [أي يحكم بكفره] من زعم أن القرآن نقص

---

(١) «الشيعة في الميزان» (ص٤٩).

(٢) «الكافي» (٢/ ٢١٧).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٤٥١).

منه آيات وكتمت، أو زعم تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية»[1].

ولم أجد - فيما قرأت - لشيخ الإسلام أنه ينسب هذه الفرية لطائفة الإثنى عشرية، لا في منهاج السنة الذي رد فيه على شيخهم ابن المطهر الحلي ولا في غيره من كتبه المنشورة التي اطلعت عليها.

ولعل أولى الإشارات لمصادر هذه الطائفة التي انفصلوا بها عن المسلمين ويسمونها «الأربعة الأولى» جاءت في كتاب «النواقض في الرد على الروافض»، حيث ذكر مخدوم الشيرازي (القرن العاشر) أن من هفوات الروافض إنكارهم كتب الأحاديث الصحاح التي تلقتها الأمة بالقبول، وإيمانهم بمقابل ذلك بأربعة كتب جمع فيها كثير من الأكاذيب مع بعض الأحاديث وأقوال الأئمة[2]، وكان الشيرازي مقيمًا بين الروافض في إيران، ولعل هذا ما أتاح له الاطلاع عليها.

وقد تضمنت هذه المصادر المدونة روايات فيها أوامر للأتباع بالعدوان على المخالفين ونسبة هذه الأوامر كذبًا لبعض أئمة آل البيت لإعطائها سمة العصمة والقداسة، ومن أعظمها ضررًا، وأشدها خطرًا تلك التي تتضمن قتل الحجاج والمعتمرين والزائرين، والعدوان على الحرمين الشريفين: بيت الله الحرام ومسجد رسول الله ﷺ.

فمن نصوصهم في ذلك قولهم: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»[3]. فهذا النص الخطير المدون في كتابهم «البحار» يتضمن وعدًا لأتباعهم بتحقيق أمنية يتمنونها، ويترقبون حصولها، وهي قتل الحجاج

(١) «الصارم المسلول» (ص٥٨٦).

(٢) «النواقض» (ص١٠٩، ١١٠) مخطوط.

(٣) «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٣/ ٤٠)، وعزاه إلى «الاختصاص» للمفيد.

والمعتمرين بين الصفا والمروة، وكانوا يعدون أتباعهم بقرب تحققها حتى إنهم يحددون من يتولى تنفيذ هذه المجازر الدموية بأسمائهم، وهذا الوعد يزعمون تحقيقه على يد مهديهم المعدوم بعد خروجه المزعوم، ومع أن مهديهم أسطورة لا يوجد إلا في أذهان المعممين، لكن الخمينية الجديدة أخرجته في صورة حقيقية بناء على نظرية «ولاية الفقيه العامة» التي تطبق في إيران لأول مرة في تاريخ هذه الطائفة، فهذا القتل من أعمال مهديهم المنتظر الذي يترقبون خروجه منذ مئات السنين، وسيقوم بتنفيذ هذا العمل الإجرامي نيابة عنه أصحاب ولاية الفقيه، لأنه بمقتضى دينهم الجديد تم نقل جميع أعمال مهديهم ووظائفه إلى الولي الفقيه ليتولى تنفيذ جميع أعماله ومهامه بعد أن طالت غيبته وتمادى احتجابه وأيسوا من خروجه، فأخرجته الخمينية في صورة الفقيه، ليقوم الفقيه بنفسه بإصدار الأوامر لتنفيذ مجازره باسم النيابة العامة عن مهديهم.

ولا شك في أن هذا النص وأمثاله يعبر عن تطلعاتهم العدوانية، ويصور أحلامهم المريضة وأهدافهم الخطيرة.

وجاء في نصوصهم أنهم يخصون المشرفين على أعمال المسجد الحرام والقائمين على تهيئته للحجاج والمعتمرين بالقتل والتمثيل بأجسادهم، تقول نصوصهم: «كيف بكم [يعني: حُجّاب الكعبة كما يعبر النص] لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة، ثم يقال لكم: نادوا نحن سراق الكعبة؟»[1].

ونص ثانٍ يقول: «إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام، وقطع أيدي بني شيبة وعلقها بالكعبة وكتب عليها: هؤلاء سراق الكعبة»[2].

---

(١) «الغيبة» للنعماني (ص١٥٦).

(٢) «الإرشاد» للمفيد (ص٤١١)، وانظر: «الغيبة» للطوسي (ص٢٨٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

ونص ثالث يقول: «يجرد السيف - يعني مهديهم المزعوم - على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجًا، فأول ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه: هؤلاء سراق الله، ثم يتناول قريشًا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف»[1].

هذه النصوص وأمثالها تصور الرغبة الكامنة في نفوس هذه الفئة للانتقام من صالحي المسلمين الذين يجاورون في الحرم، وتخص منهم من يتولى الإشراف على شؤون الحرمين.

ولكن لماذا يخصون بالتعذيب المشرفين على الحرمين؟! هل لأنهم ينظمون مسيرة الحج ويهيئون المشاعر لاستقبال زوار بيت الله وهذا أمر يسوء هذه الفئة لأنها تنشد الفوضى في هذه المشاعر، وتبحث عما يفرق هذه الجموع المتآلفة من ضيوف الرحمن، ويفسد حجها، إذ إنها ترى في كعبة الله سبحانه منافسًا لمشاهدها وكعباتها؟! أم يخصونهم بهذه الملحمة لأنهم من العرب (من بني شيبة كما يقول النص)، والجنس العربي يحظى في نصوصهم السرية المقدسة بكل رزيئة ومنقصة، ولذا يعدونه بمقتلة رهيبة شاملة لا تبقي فيهم أحدًا، حتى قالوا: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[2]، وقالوا: «اتق العرب فإن لهم خبر سوء»[3].

إنها مبادئ خطيرة، مدونة في مصادرهم المقدسة، فهل من مدكر قبل فوات الأوان ووقوع الواقعة؟!

ويقولون في نصوصهم: «إن القائم [يعني مهديهم المنتظر] يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أساسه»[4].

فهم يتمنون هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي؛ لأنهما لم يبنيا على الأسس التي يريدونها، إنما أسسا على التوحيد، أما هؤلاء فلا يريدون سوى تأسيس الشرك وإحياء الوثنية وبعث

---

(١) «الغيبة» (ص٢٠٩).

(٢) «الغيبة» للنعماني (ص٢٤١)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٥٠).

(٣) «الغيبة» للطوسي (ص٤٧٦، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٣).

(٤) «الغيبة» للطوسي (ص٢٨٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

دين المشركين، فهم يتمنون اليوم الذي يأتي ليهدم فيه بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا بدعوى ردهما إلى أساسهما!

ثم هم لا يريدون لأمة الإسلام أن تجتمع، ولا لمشاعر المسلمين ومقدساتهم أن تحظى بالعمارة والتوسعة، ولا لحجاج بيت الله وزوار مسجد رسول الله ﷺ أن ينعموا بالراحة والأمن والاستقرار، ولا لدين الله عز وجل الغلبة والظهور، فهم وضعوا مشاهدهم ومزاراتهم في كربلاء وقم والنجف وغيرها ليصرفوا المسلمين عن قبلتهم ومشاعرهم، فلما لم تتحقق أهدافهم، ولم يكن لمساعيهم في ذلك إلا الفشل تمنوا هدم الحرمين المقدسين.

وستبقى هذه الأماني والوعود من هذه الطائفة لأتباعها عارًا عليهم وفضيحة لهم أبد الدهر، تكشف ما تضمره قلوبهم وتنطوي عليه جوانحهم تجاه الحرمين الشريفين، ونحن على يقين بموعود الله لنصرة دينه وأوليائه، وهؤلاء أمة مخذولة، ليس لهم دنيا منصورة، فكيدهم في بوار وسعيهم في تباب، وهذه الخطط الخطيرة حول الحرمين ليست من معتقدات الشيعة الرافضة البائدة فحسب بل هي أيضًا اعتقاد المعاصرين، وثابتة في مصادر يعدها رافضة هذا العصر مصادر معتمدة لهم في التلقي، يستمدون منها عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم، ويقوم عليها دينهم، ولذا يصفونها بـ«صحاح الإمامية»[(١)]، ويسميها الدستور الإيراني في مادته الثانية «سنة المعصومين»[(٢)]، كما مر.

ولذلك فإن آياتهم في هذا العصر يتنبؤون بتحقيقها، بل ويقررون وقوعها؛ يقول شيخهم المعاصر محمد الصدر[(٣)]: «إنه [يعني مهديهم] سيقوم بتقليص حجم المسجد الحرام وإرجاعه إلى أسسه، وبذلك لا تبقى ربع المسافة التي عليها المسجد الحرام في العصر الحاضر، وخاصة

---

(١) «منهاج عملي للتقريب» مقال للرافضي محمد الحائري ضمن كتاب «الوحدة الإسلامية» (ص٢٣٣).
(٢) «الدستور الإيراني» (ص١٥-١٦).
(٣) هو محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل الصدر، المرجع الشيعي العراقي، اغتيل مع اثنين من أولاده عام ١٩٩٩م، وهو والد مقتدى الصدر، زعيم جيش المهدي بالعراق حاليًا.

بعد التوسيعات الضخمة التي أدخلت عليه أخيرًا[1]»[2].

ثم يكشف شيخهم الصدر - بكل صراحة - هدفهم من هدم المسجد الحرام وأنه منع المتطوعين من الطائفين والزائرين والعابدين، فيقول ما نصه: إن مهديهم يقوم بـ«منع الطواف المستحب»، ولم يجرؤ أن يصرح بمنع الطواف كلية، مع أن نصهم السابق يقرر قيامهم بقتل الحجاج والمعتمرين بين الصفا والمروة، ويؤكد هذا الهدف بتعيين وسيلة القتل، واسم من يقوم به، وهذا يعني أن منع الطائفين يتم بقوة الحديد والنار تجاه مسلمين عزل جاؤوا للحج والعمرة.

ثم يقول: «فتعطى القدمة [يعني: الأولوية أو الأحقية] لصاحب الفريضة، وبذلك يقل عدد الطائفين بالبيت إلى حد كبير».

هذا التفسير لم يأت به نصهم ولكنه محاولة من مرجعهم المعاصر لتخفيف وقع النص الخطير - الذي يتضمن هدم الحرمين - على القارئ، ومع ذلك فقد صرح بالهدف وهو تقليص عدد الطائفين بالبيت إلى حد كبير. إذن الهدف بكل صراحة محاربة مقدسات المسلمين والكيد لزوارها وقاصديها.

بل يخطط الرافضة لانتزاع الحجر الأسود من مكانه، ويعدون أتباعهم بحتمية وقوعه، فيقولون: «يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل ما لم يحب أحد من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلى إبراهيم.. ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه»[3].

هكذا ينفثون في رُوع أتباعهم فضل مشاهدهم، ويوحون إليهم زورًا وبهتانًا أنها مواطن

---

(١) هذا التقرير كتب قبل التوسعة السعودية الهائلة التي حدثت مؤخرًا، كما يدل عليه تاريخ طبع الكتاب.
(٢) «تاريخ ما بعد الظهور» (ص٨٢٨).
(٣) «بحار الأنوار» (٩٧/ ٣٩٠).

صلاة الأنبياء ومواضع عباداتهم، فلسان حالهم يقول: ما لكم تتجهون إلى الكعبة وتدَعون النجف وكربلاء وهي مقصد الأنبياء، وسينتقل الحجر الأسود في مقتبل الأيام إليها ليوضع في مشاهدها، ولا يبقى للكعبة مزية ولا فضل؟!

إنها خطة لإحياء الوثنية البائدة، وسعي حثيث لجعل مواطن الشرك وعبادة غير الله عز وجل التي يسمونها المشاهد بديلًا عن الحرمين الشريفين، كبرت كلمة تخرج من أفواههم أو تسطرها أقلامهم، ويا ليت هؤلاء يتركون المسلمين ومقدساتهم، وينصرفون إلى مشاهدهم، ونتعاون نحن وإياهم كما تتعاون الدول المختلفة في العقائد والأديان، كما قال الشيخ محمد بهجة البيطار - رحمه الله - بعدما اكتشف حقيقتهم[1]، لكنهم لم ولن يفعلوا.

إنهم يخططون للعدوان على بيت الله الحرام، بل ويسعون إلى انتزاع الحجر الأسود من بيت الله ونصبه في مشاهدهم التي هي مواطن الشرك والوثنية، وهكذا لما لم يتمكنوا أو يمكنوا من إعلان شركهم في حرم الله راموا تخريب بيت الله ونهب الحجر الأسود منه وإقامته في مشاهدهم، وهذه النصوص هي أساطير أملتها أحلامهم المريضة، لكنها مع ذلك تكشف أهدافهم ومخططاتهم، إذ هي «إسقاطات» لرغبات مكبوتة ونوازع خفية لهذه الزمرة الحاقدة على المسلمين ومقدساتهم.

ومن قبل فعل أسلافهم في الحجر الأسود ما فعلوا، حيث اقتلعه القرامطة الباطنية في أحداث سنة ٣١٧هـ وحملوه إلى البحرين ثم نقلوه بعد ذلك إلى الكوفة[2]، وقد بقي في حوزتهم قرابة اثنتين وعشرين سنة، حتى تم استخلاصه من أيديهم ورد بعد ذلك من الكوفة إلى مكة، على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابوري، شيخ نيسابور في عصره وأحد العباد المجتهدين والمتوفى سنة ٣٦٢هـ.

---

(١) انظر: «الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة» محمد بهجة البيطار (ص١١٦).

(٢) انظر كتب التاريخ في حوادث سنة ٣١٧هـ وما بعدها، وانظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢٩٠-٢٩١).

ولا يزال أحفاد هؤلاء الباطنيين تراودهم الأماني لتخريب بيت الله واقتلاع الحجر الأسود منه، وما محاولاتهم لإثارة الفتن في حرم الله مرات - في عصرنا - إلا تعبير عما تكنه صدورهم، وتطبيق لما تنطق به نصوصهم، فهل من مدكر؟ «ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

وإذا اتجهنا ناحية المدينة النبوية نجد أن أمانيهم السوداء وأحلامهم المريضة لم تدعها دون تهديد ووعيد، فصبوا جام حقدهم على رسول الله ﷺ، وعلى خليفتيه الراشدين اللذين أقاما دولة الإسلام من بعده ونشرا دين الإسلام في العالمين، لقد بلغ من كيدهم وعظيم حقدهم على رسول الإسلام وعظماء الإسلام أنهم يمنون أتباعهم بهدم الحجرة النبوية مع هدم مسجد رسول الله ﷺ، ويتطلعون إلى نبش قبري عظيمي الإسلام الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث جاء في أخبارهم أن منتظرهم يقول: «وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريّان، فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين يصلبان عليهما»[1].

ومن العلم الخفي المجهول أن المجيء إلى يثرب كان من قبل معلقًا على وهم خروج مهديهم المزعوم، لكنه اليوم أصبح حقيقة قائمة وفق عقيدة ولاية الفقيه الخمينية، ذلك الخطر الأكبر المجهول[2].

ولقد جاء على لسان أحد آياتهم في هذا العصر أن كل شيعي يترقب تحقق هذه الأحلام المريضة والأماني الحاقدة، حيث قال شيخهم وآيتهم حسين الخراساني: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين لآخر أن يومًا قريبًا آتيًا يفتح لهم تلك الأراضي المقدسة»[3].

فهو يحلم بفتحها وكأنها بيد كفار، ذلك أن لهم أهدافهم المبيتة ضد الديار المقدسة.

---

(١) «بحار الأنوار» (٥٣/ ١٠٤-١٠٥).

(٢) راجع: «ولاية الفقيه.. الخطر الأكبر المجهول»، المنشور بمجلة البيان (عدد ٣٣٣).

(٣) «الإسلام على ضوء التشيع» (ص١٣٢-١٣٣).

وحين قامت ثورة الآيات الأخيرة بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدروهم أكبر، ففي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لثورة خميني ألقى أحد شيوخهم (د. محمد مهدي صادقي) خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود»[١]، ثم ذكر أنه حين تثبت ثورتهم على أقدامها سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وأفغانستان[٢].

وهكذا يرى أن مكة - وهي تستقبل كل عام الحجيج من كل فج عميق ويرتفع عليها علم التوحيد ويأمن فيها كل معتمر وحاج - يرى أن هذا كوضع القدس الذي يحتله اليهود! فأي هدف ينشده في السير إلى مكة؟ إنه ما أفصحت عنه نصوصهم التي تهدد بقتل الحجاج بين الصفا والمروة.

وقد نشرت مجلة الشهيد الإيراني - لسان حال علماء الشيعة في قم - في العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ، صورة تمثل الكعبة المشرفة وإلى جانبها صورة المسجد الأقصى المبارك وبينهما (يد قابضة على بندقية) وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[٣][٤].

---

(١) تعد الرافضة جميع المسلمين أشد كفرًا من اليهود والنصارى، انظر - مثلًا - ما قاله شيخهم الملقب عندهم بالعلامة في كتابه «الألفين» (ص٣).

(٢) أذيعت الخطبة من «صوت الثورة الإسلامية» من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م، وانظر: «وجاء دور المجوس» (ص٣٤٤).

(٣) انظر: مجلة الشهيد، العدد المذكور، وانظر: جريدة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده أثناء زيارته لإيران، حيث ذكر أنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران الذي يقيمون فيه شعارات كُتب فيها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار...»؛ انظر: «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد (ص٩).

(٤) «بروتوكولات آيات قم» (ص٧٥-٧٦).

هذا ما يقولون، وما يتمنون، وقد عرضنا شيئًا منه موثقًا من مصادرهم المعتمدة لديهم لكشف خططهم ضد مقدسات المسلمين، وما تنطوي عليه من عداء كبير وحقد ضخم دفين في دراسة موسعة بعنوان «بروتوكولات آيات قم»، وبرغم ضخامة الكيد، وخبث النية، وفساد الطوية، فإننا على يقين بأن الله ناصر دينه، وحافظ بيته المطهر، إن لدينا وعدًا صادقًا، وخبرًا ثابتًا بأن مكة وما حولها محفوظة بحفظ الله عز وجل.

عن الحارث بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: «لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة»[1]، «وأخبر النبي ﷺ أن جيشًا سيخسف به لأنه يغزو الكعبة»[2]، وأكبر فتنة في الدنيا منذ أولها إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال، وحرام عليه أن يدخل مكة ولا المدينة، ولا يلوثهما بأقدامه النجسة.

ونعلم علم اليقين أنه لما جاء أبرهة الأشرم بجيشه غازيًا الكعبة سلط الله تعالى عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وأنزل الله سبحانه في ذلك سورة تتلى إلى يوم القيامة، لتكون آية للمعتبرين.

ولذلك ستظل مكة بإذن الله عز وجل مأوى أفئدة المؤمنين ومقصد الحجاج والمعتمرين.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «ليُحجَّنَّ البيت وليعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»[3].

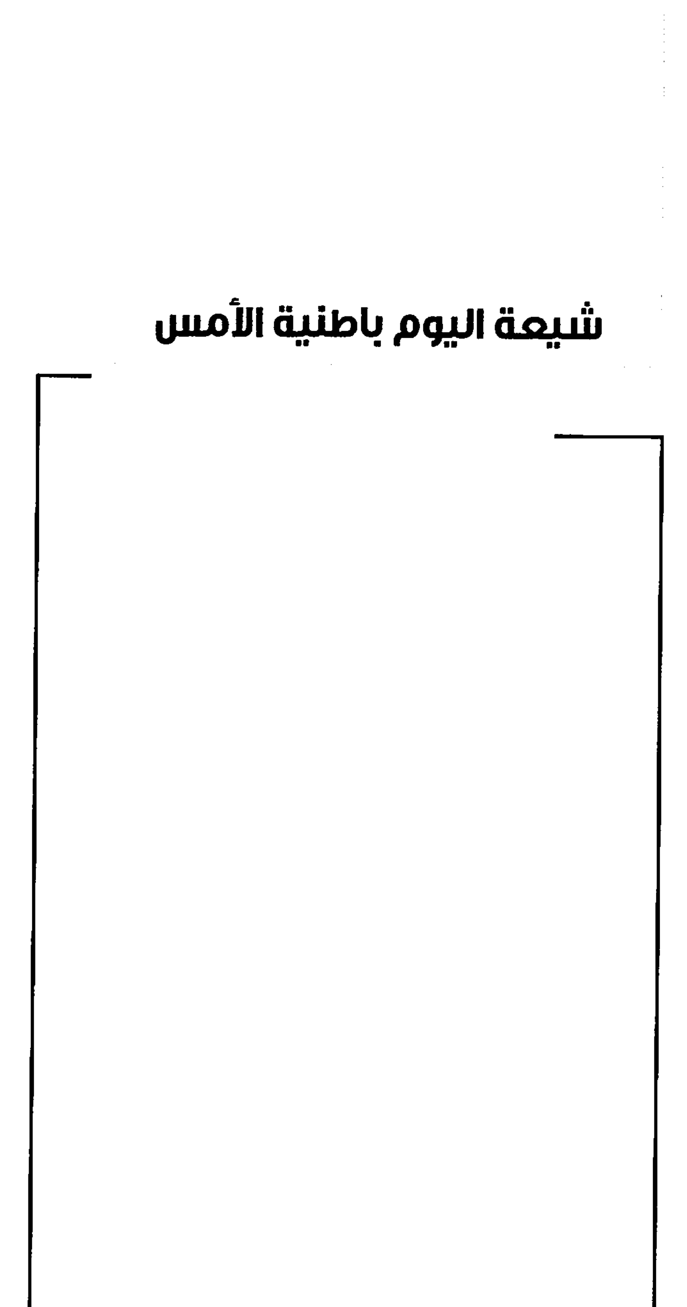
---

(١) رواه الترمذي (ح١٦١١) وسنده حسن.

(٢) رواه البخاري (ح٢٠١٢)، ومسلم (ح٢٨٨٢).

(٣) رواه البخاري (ح١٥١٦).

شيعة اليوم باطنية الأمس



الباطنية[1]: مذهب سري ظاهره التشيع وباطنه الكفر البواح والانسلاخ من الدين، وضعه زنديق يقال له: ابن سبأ، أراد إفساد دين الإسلام كما أفسد بولس دين النصارى[2]، وتقنعوا بالتشيع وانتحال مذهب أهل البيت.

وأكثر كتب المقالات القديمة والمعاصرة جعلت الباطنية قسيمًا للشيعة الإثنى عشرية، والتي شاع إطلاق لقب «الشيعة» عليها في عصرنا، وهذا أوقع كثيرًا من الباحثين في وهم كبير وهو أن الإثنى عشرية ليست باطنية، وأن الباطنية هم الإسماعيلية فقط.

---

(١) الباطنية اسم عام يدخل فيه باطنية الصوفية، وباطنية الفلاسفة، وباطنية الرافضة. وحقيقة الأمر أن باطنية الفلاسفة، وباطنية الصوفية ترجع جذورهم وأصولهم إلى باطنية الرافضة.

ومصطلح الرافضة يشمل طائفتين، هما: الإسماعيلية، والإثنى عشرية. وكلتا الطائفتين منبثقة من شيعة ابن سبأ.

ولا يدخل في الروافض الزيدية أتباع زيد بن علي، لأن الرافضة هم امتداد للسبئية إلا أنهم دخلوا في عموم الشيعة بعد مقتل الحسين، وتظاهروا بالتشيع، ثم جاهروا بمعتقدهم أثناء خروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي في أحداث سنة ١٢١ أو ١٢٢هـ فلما أظهروا اعتقادهم في الصحابة لقبهم بالرافضة.

ثم انقسمت الرافضة بعد ذلك، وبالتحديد سنة ١٤٨هـ بعد وفاة جعفر الصادق الذي يدعون التشيع له إلى طائفتين:

الأولى: الإسماعيلية، وقالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وهي التي اشتهر تسميتها في كتب المقالات بالباطنية.

والثانية: هي الموسوية أو القطعية، وقالت بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهم أسلاف الإثنى عشرية، والتي اشتهر تسميتها في عصرنا بالشيعة.

فصار المنتسبون للتشيع في عصرنا ثلاث طوائف:

الأولى: الزيدية، وهم ليسوا برافضة ولا باطنية، بل هم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، باستثناء طائفة الجارودية أسلاف الحوثية، فهم روافض جمعوا بين زندقة الإثنى عشرية وضلال الجارودية (انظر مقال: براءة الزيدية من الحوثية).

الثانية: الإسماعيلية، وهي التي تلقب بالباطنية.

الثالثة: الإثنى عشرية، وهي التي تلقب في عصرنا بالشيعة، وهم في الحقيقة باطنية أيضًا.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥١٨).

والحق أن الإثنى عشرية التي تلقب اليوم بالشيعة باطنية أيضًا، لأن ضابط الباطنية - كما يذكر الشهرستاني وغيره - أنهم الذين يقولون بأن لكل «ظاهر باطنًا، ولكل تنزيلٍ تأويلًا»، قال: «وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيلٍ تأويلًا»[1]، وهذا المنهج هو الأصل الذي تقوم عليه نحلة الإثنى عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، خاصة بعد تطور المذهب واتجاهه نحو الغلو بتأثير من متشيعة الفرس الذين كان لهم دور كبير في انحراف التشيع، وهو ثابت من خلال تأويلات الإثنى عشرية وأصولها واعتقادها ومنهجها، ويكفي النظر في أهم مصادرهم الأربعة المتقدمة وهو «الكافي»، وأهم مصادرهم الأربعة المتأخرة وهو «بحار الأنوار»، وأصل أصول التفاسير عندهم وهو «تفسير القمي»، يكفي النظر في هذه المصادر لمعرفة أنهم باطنيون مغرقون في الباطنية.

جاء في «أصول الكافي» للكليني - وهو من أهم كتب الشيعة وأعلاها درجة عندهم - ما نصه: «عن محمد بن منصور قال: سألت عبدًا صالحًا[2] عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣] قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق»[3].

تقرر هذه الرواية الواردة في أصح كتبهم الأربعة - وأمثالها كثير - مبدأ أن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، وتضرب المثل بما أحل الله وحرم في كتابه، وأن المقصود بذلك رجال بأعيانهم، فما جاء في القرآن مما أحل الله فهو رمز على الأئمة الاثني عشر، وما جاء في القرآن مما حرم الله فهو رمز على أعدائهم - بزعمهم -، وهم جميع خلفاء المسلمين ومن بايعهم إلى يوم الدين، وهذا التأويل هو أصل دين الباطنية.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٩٢).

(٢) يعنون به موسى الكاظم الذي يعتبرونه إمامهم السابع (انظر: «أصول الكافي» (هامش ١/ ٣٧٤).

(٣) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٤)، «الغيبة» للنعماني (ص٨٣)، «تفسير العياشي» (٢/ ١٦).

وقد شاع التأويل الباطني في كتبهم وأصبح من أصول دينهم التي يقوم عليها كيانهم العقدي، لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا به، ولا يستقيم لهم دليل إلا بهذا التحريف الذي يسمونه تأويلًا، ولهذا عقد صاحب «البحار» بابًا لهذا بعنوان: «باب أن للقرآن ظهرًا وبطنًا»، وقد ذكر في هذا الباب ٨٤ رواية[1]، وفي «تفسير البرهان» عقد بابًا مماثلًا لما في «البحار» بعنوان: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»[2].

وجاء في مصادرهم عن جابر الجعفي[3] قال: «سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطنًا، وللبطن بطنًا وظهرًا، وللظهر ظهرًا، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[4].

وتؤصل مصادرهم لهذا المنهج الباطني بلغة الأرقام، فتبلغ به ما يزيد عن سبعين بطنًا! يقولون: «لكل آية من كلام الله ظهر وبطن، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة سبعة وسبعون بطنًا»[5].

وهذا المنهج الباطني في التعامل مع النصوص لا يتفق مع لغة أو عقل أو نقل.

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» (٩٢/ ٧٨-١٠٦).

(٢) «البرهان» (١/ ١٩).

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ)، قال ابن حبان: «كان سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ. كان يقول: إن عليًّا يرجع إلى الدنيا»، وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال ابن حجر: ضعيف رافضي (انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، تقريب التهذيب ١/ ١٢٣، الضعفاء للعقيلي: ١/ ١٩١-١٩٦).

(٤) «تفسير العياشي» (١/ ١١)، «المحاسن» للبرقي (ص٣٠٠)، «البرهان في تفسير القرآن» (١/ ٢٠-٢١)، «تفسير الصافي» (١/ ٢٩)، «بحار الأنوار» (٩٢/ ٩٥)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ١٤٢).

(٥) «مرآة الأنوار» لأبي الحسن الشريف (ص٣).

لقد استطاع الإثنى عشرية لمهارتهم في التقية أن يخفوا حقيقتهم الباطنية لا عن عوام المسلمين فحسب، بل عن كثير من علماء الأمة وأئمتها، فترى مثلًا إمامًا من الأئمة الكبار كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ينسب مقالات الإثنى عشرية وتأويلاتها الباطنية إلى القرامطة الباطنية، حيث يقول: «من ادعى علمًا باطنًا، أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا، وإما جاهلًا ضالًا... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم»، ثم ذكر أمثلة لذلك، فقال: «وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٢١] أنه علي، وقوله: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:٢١] أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٠٦] بأنها بنو أمية»[1].

هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الإثنى عشرية، فالتأويل المذكور للآية الأولى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ جاء عند الإثنى عشرية في خمس روايات أو أكثر[2]، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة[3]، وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل[4].

وكذلك الآية الثانية: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة[5]، وبلغت رواياتها عندهم أكثر من ثماني روايات[6].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية» هاشم البحراني (ص٣٢١-٣٢٣).

(٣) انظر من ذلك: «تفسير القمي» (٢/ ٢١٢)، «معاني الأخبار» لابن بابويه (ص٩٥)، «تفسير البرهان» (٤/ ٦-٧)، «تفسير الصافي» (٤/ ٢٤٧)، «تفسير شبر» (ص٤١٦).

(٤) قال السلف في تفسير الآية: إن الإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب، أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ (انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٩١).

(٥) انظر: «البرهان» (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، «تفسير الصافي» (٢/ ٣٢٤)، «تفسير العياشي» (٢/ ٧٧-٧٨)، وانظر: «تفسير القمي» (١/ ٢٨٣).

(٦) راجع المصادر السابقة.

ومثلها الآية الثالثة: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ جاء تأويلها عند الإثنى عشرية بما قاله شيخ الإسلام في أكثر من اثنتي عشرة رواية[1]، وتناقل هذا التأويل مجموعة من مصادرهم المعتمدة[2].

هذه التأويلات - كما ترى - ينسبها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الباطنية القرامطة، وهي بعينها ثابتة في المصادر المعتمدة لدى الإثنى عشرية، مما يثبت أن الإثنى عشرية غارقة في الباطنية، لكنها تمثل الوجه الدعائي والعلني أمام عموم المسلمين، ولذا انخدع بعضهم بظاهر كلامهم، وجهل حقيقتهم.

ولذلك أقول: إن تقسيم الرافضة إلى باطنية وإثنى عشرية لم يعد اليوم قائماً بعد ظهور كتب الإثنى عشرية وانتشارها، وإنما هو مجرد تقسيم للاختلاف بينهما في عدد الأئمة وأعيانهم، لا لاختلافهم في النهج الباطني، وربما يصح هذا التقسيم في مرحلة تاريخية ما، قبل انحدار التشيع إلى دركات الغلو، وقبل التأثير الفارسي المجوسي في عهد الدولتين البويهية والصفوية.

ولهذا جاء في كتاب «البحار» (أحد مصادر الإثنى عشرية المعتمدة عندهم) أبواب كثيرة هي بمثابة قواعد وأصول في تفسير القرآن عندهم وفق هذا المنهج الباطني الغالي، وكتاب «البحار» هو المرجع الوحيد لتحقيق معارف مذهبهم - كما يقوله بعض شيوخهم -[3]، وقد جمعت هذه الأبواب تأويلات باطنية لا صلة لها بمعاني الألفاظ، ولا بدلالة السياق، بل هي إلحاد وتحريف لكتاب الله جل وعلا، حقيقتها الاستهزاء بكلام الله والتكذيب بآياته، ولعله يكفي أن تقرأ عناوين بعض هذه الأبواب التي تتضمن العشرات من أحاديثهم[4]

(١) انظر: «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).

(٢) انظر: «تفسير القمي» (٢/ ٢١)، «تفسير العياشي» (٢/ ٢٩٧)، «تفسير الصافي» (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥)، «تفسير شبر» (ص٢٨٤)، وانظر: «مقتبس الأثر» (دائرة المعارف الشيعية) (٢٠/ ٢١).

(٣) «مقدمة البحار» البهبودي (ص١٩).

(٤) مفهوم الحديث عندهم هو روايات الزنادقة التي نسبوها زورًا وبهتانًا لبعض أهل البيت، وليست

ورواياتهم لتدرك أن الإثنى عشرية هم أصل الباطنية.

ولنستعرض بعضًا من هذه العناوين فيما يلي:

- باب «أنهم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي»[1]، وتضمن هذا الباب (١٧) رواية.
- باب تأويل المؤمنين والإيمان والمسلمين والإسلام بهم وبولايتهم عليهم السلام، والكفار والمشركين، والكفر والشرك، والجبت والطاغوت واللات والعزى، والأصنام بأعدائهم ومخالفيهم[2]، وقد ذكر تحت هذا الباب مائة حديث لهم.
- باب أنهم - عليهم السلام - الأبرار والمتقون، والسابقون والمقربون، وشيعتهم أصحاب اليمين، وأعداؤهم الفجار والأشرار وأصحاب الشمال[3]، وذكر فيه (٢٥) رواية لهم.
- باب أنهم - عليهم السلام - وولايتهم العدل والمعروف والإحسان والقسط والميزان، وترك ولايتهم وأعدائهم الكفر والفسوق والعصيان والفحشاء والمنكر والبغي[4]، وأورد فيه (١٤) حديثًا من أحاديثهم.
- باب أنهم - عليهم السلام - آيات الله وبيناته وكتابه... وفيه (٢٠) رواية[5].

أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٨٦-٣٠٤).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٥٤-٣٩٠).

(٣) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١-٩).

(٤) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٨٧-١٩١).

(٥) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٢٠٦-٢١١).

- باب أنهم السبع المثاني، وفيه (١٠) روايات[١].
- باب أنهم - عليهم السلام - الصافون والمسبحون وصاحب المقام المعلوم وحملة عرش الرحمن، وأنهم السفرة الكرام البررة، وفيه (١١) رواية[٢].
- باب «أنهم كلمات الله، وفيه (٢٥) رواية[٣].
- باب أنهم حرمات الله، وفيه (٦) روايات[٤].
- باب أنهم الذكر وأهل الذكر، وفيه (٦٥) رواية[٥].
- وباب أنهم أنوار الله، وفيه (٤٢) رواية[٦].
- باب أنهم خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس، وفيه (٢٤) رواية[٧].
- باب أنهم المظلومون، وفيه (٣٧) رواية[٨].
- باب أنهم المستضعفون، وفيه (١٣) رواية[٩].
- باب أنهم أهل الأعراف الذين ذكرهم الله في القرآن، وفيه (٢٠) رواية[١٠].
- باب تأويل الوالدين والولد والأرحام وذوي القربى بهم - عليهم السلام - وفيه

(١) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١١٤-١١٨).
(٢) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٨٧-٩١).
(٣) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٣-١٨٤).
(٤) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٨٥-١٨٦).
(٥) «بحار الأنوار» (٢٣/ ١٧٢-١٨٨).
(٦) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٠٤-٣٢٥).
(٧) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٥٣-١٥٨).
(٨) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٢١-٢٣١).
(٩) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٦٧-١٧٣).
(١٠) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٤٧-٢٥٦).

(٢٣) رواية[1].

- باب نادر في تأويل النحل بهم - عليهم السلام[2].
- باب أنهم النجوم والعلامات[3].
- وأنهم الحفدة[4] في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].
- وعليٌّ رضي الله عنه هو سبيل الله[5] في قوله سبحانه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[6].
- وهو الحسرة على الكافرين[7] في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].
- وهو حق اليقين[8] في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].
- وهـو الصراط المستقيم[9] في قوله سبحـانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].
- وهو الهدى[10] في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٥٧-٢٧٢).
(٢) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١١٠-١١٣).
(٣) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٦٧-٨٢).
(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٤)، «البرهان» (٢/ ٣٧٦)، «الصافي» (١/ ٩٣٢).
(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣)، «البحار» (٩/ ١١١).
(٦) إبراهيم: آية ٣، وفي عدة مواضع أخرى من كتاب الله سبحانه.
(٧) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).
(٨) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).
(٩) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٤)، «البرهان»: (١/ ٥٢).
(١٠) «تفسير العياشي» (١/ ٤٢)، «البرهان» (١/ ٨٩).

- والأئمة هم الأيام والشهور، وعقد شيخهم المجلسي بابًا في ذلك بعنوان: «باب تأويل الأيام والشهور بالأئمة عليهم السلام» ضمنه طائفة من رواياتهم[1].
- والأئمة هم بنو إسرائيل[2] في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠][3].
- وهم الأسماء الحسنى التي يدعى بها: يروون عن الرضا عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال راويهم: قال أبو عبد الله: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل - كذا - من أحد إلا بمعرفتنا، قال: فادعوه بها[4].

وقال شيخهم المجلسي: «والأئمة هم الماء المعين والبئر المعطلة والقصر المشيد وتأويل السحاب والمطر والفواكه وسائر المنافع الظاهرة بعلمهم وبركاتهم» ثم أورد طائفة من نصوصهم في ذلك[5].

وهكذا تمضي تأويلاتهم، بل تحريفاتهم، على هذا النحو الذي يكشف عوراتهم ويفضح إلحادهم.

فماذا بعد هذا؟! أليس هذا هو عين مذهب الباطنية الذين «يجعلون الشرائع المأمور بها، والمحظورات المنهي عنها لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها.. والتي يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل - صلوات الله عليهم -، وتحريف لكلام الله

(١) «البحار» (٢٤/ ٣٣٨ - ٢٤٣)، وانظر: الطوسي: «الغيبة» ١٠٤، والقمي: «الخصال»: (٢/ ٣٢ - ٣٣).
(٢) «تفسير العياشي» (١/ ٤٤)، «البرهان» (١/ ٩٥)، «البحار» (٧/ ١٧٨).
(٣) البقرة: آية ٤٠، وفي عدة مواضع من كتاب الله.
(٤) «تفسير العياشي»: (٢/ ٤٢)، وانظر: «الصافي»: (١/ ٦٢٦)، «البرهان»: (٢/ ٥١).
(٥) «البحار»: (٢٤/ ١٠٠ - ١١٠).

ورسوله عن مواضعه، والحاد في آيات الله»[1].

إن هذا النوع من التأويل كفر بالله ورسوله وآياته، لأن حقيقته التكذيب بما جاء عن الله ورسوله، وقد سمى الإمام الشنقيطي هذا النوع من التأويل «لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ[2]، وتكمن خطورة هذا الاتجاه الباطني في أنه يقتضي بطلان الثقة بالألفاظ، ويسقط الانتفاع بكلام الله وكلام رسوله، فإن ما يسبق إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضابط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وبهذا الطريق يحاول الباطنية التوصل إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على عقائدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن ودلالاتها لما تحقق به الإعجاز، ولكان من قبيل الألغاز، والعرب كانت تفهم القرآن من خلال معانيه الظاهرة.

ومجمل القول: إن الإثنى عشرية ليست قسيمًا للباطنية كما جاء في كثير من كتب الفرق والمقالات، بل هي الباطنية نفسها، وأنه لم يعد هناك حدود فاصلة بين ما يسمى بـ«الجعفرية» و«الشيعة» وبين ما يسمى بـ«الباطنية» و«الإسماعيلية» فيما يتعلق بالمنهج الباطني.

ولا تزال العقلية الشيعية المعاصرة - ولاسيما رجال دينهم من الملالي - تعيش أسيرة لتلك التأويلات التي وضعها علماؤهم السابقون، والتي عرضنا أمثلة لها فيما مضى؛ لأنهم اعتمدوا هذه المصادر إلى اليوم وسموها «صحاح الإمامية» كما مر، ولذلك فإنهم في كتاباتهم يسيرون على النهج الباطني المغرق في الباطنية.

ومن الأمثلة الأخرى أن أحد علمائهم المعاصرين[3] يتحدث عن غيبة مهديهم - وهو كما يقول بعض كتاب الشيعة من أشهر الكتاب الإمامية الذين عالجوا «الغيبة»[4]- فيعقد

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٩).

(٢) انظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» (ص٣٤-٣٥)، «أضواء البيان» (١/ ١٩١).

(٣) ويدعى علي محمد دخيل.

(٤) «تاريخ الإمامية» عبد الله فياض (ص١٦٢).

فصلًا بعنوان «المهدي في القرآن الكريم» ويورد في هذا الفصل خمسين آية من القرآن كلها يزعم تأويلها بالمهدي، ويتوصل بذلك إلى أن موضوع المهدي لا يختلف عن ضروريات الإسلام الأخرى، وإنكاره إنكار لضرورة من ضروريات الدين(٥).

ونرى شيخهم المعاصر محمد رضا الطبيسي النجفي (ت ١٣٦٥هـ) يفسر ٧٦ آية من كتاب الله بعقيدة الرجعة عندهم(٦)، وهذا شطط لم يبلغ مستواه شيوخهم القدامى الذين فسروا بالرجعة عشرين آية ونيفًا، وفي القرن الثاني عشر تطور الأمر إلى تأويل ٦٤ آية بتلك العقيدة الباطلة على يد شيخهم الحر العاملي(٧) وغيره، ثم كانت نهاية الشطط على يد هذا الطبيسي وغيره من شيوخهم المعاصرين.

وهذا محمد حسين آل كاشف الغطا من مراجع الشيعة الكبار في العصر الحاضر ومن دعاة الوحدة والتقارب يفسر قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢١] بالتفسير التالي: «علي بحر نور الإمامة، وفاطمة بحر نور النبوة والكرامة. يخرج منهما اللؤلؤ الأخضر بخضرة السماء، والمرجان الأحمر بحمرة الأرض»(٨).

فهل هذا سوى تفسير باطني لا تربطه بالآية أدنى رابطة؟ ويفسر د. محمد الصادقي الآية المذكورة بمثل ما فسر به آل كاشف الغطا، حيث يقول: «اتصل بحر النبوة فاطمة الصديقة بنت النبي ببحر الإمامة - يعني عليًّا - بحران ملتئمان متلاقيان بينهما برزخ الرسالة القدسية المحمدية.. والخارج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسنان هما مجمع الولاية روحانيًّا والنبوة نسبيًّا»(٩).

---

(٥) «الإمام المهدي» عن المصدر السابق (ص١٦٢).

(٦) انظر: كتابه «الشيعة والرجعة» مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٥هـ.

(٧) «دائرة المعارف العلوية» جواد تارا (ص٢٥٦).

(٨) محمد حسين آل كاشف الغطا في مقدمته لكتاب «حياة الإمام الحسن بن علي» لمؤلفه باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٩) «الفرقان» (٧/ ٣٢) محمد الصادقي (الهامش).

وفي تفسير «الميزان» لإمامهم الأعظم محمد حسين الطباطبائي كثير من التفسيرات الباطنية التي يختارها من كتب التفسير القديمة عندهم، ويذكرها تحت عنوان «بحث روائي»، ومن النماذج التي نقلها مقرًّا لها معتقدًا إياها ما ذكره تفسير «البرهان» عن قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠]. قال: «الآية مثل ضربه الله لعائشة وحفصة أن تظاهرتا على رسول الله وأفشتا سره»[1]، وعند قوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال الصادق: «نحن وجه الله»[2]. وهكذا يستقي الرجل التفسير الباطني من أمهات كتبهم ويتعمد النقل لبعض الروايات الضعيفة من كتب أهل السنة ليخدم بها مذهبه.

وهناك تفسير «الكاشف» لمحمد جواد مغنية، وهو يعتمد أساسًا على روايات أهل السنة، وهذه أمارة التقية عند بعض علماء الشيعة، وهو وإن كان يحتج ببعض الآيات على معتقده الشيعي مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بقوله: «معنى الآية: أن الله سبحانه أكمل الدين مع هذا اليوم بالنص على علي بالخلافة»، فهو وإن كان كذلك إلا أنه بالنسبة لتفاسيرهم المتضمنة لروايات الشيعة فقط يعتبر معتدلًا، والاعتدال قد جاءه من اعتماده على مرويات أهل السنة وإقلاله من الاستدلال بمروياتهم.

وهذا التفسير يظهر عليه واضحًا الدعاية المذهبية والتبشير بالتشيع، فليس ببعيد أن يكون موضوعًا على «التقية».

ونكتفي بهذه الشواهد التي عرضناها من تفسيرات معاصريهم؛ لأن غرضنا معرفة مدى سير الأواخر على غلو الأوائل في النهج الباطني.

ففي الأوائل كتب تفسير باطنية محضة مثل تفسير القمي والعياشي، والبحراني، ومحسن

---

(١) «الميزان» (١٩/ ٣٤٦).

(٢) «الميزان» (١٩/ ١٠٣).

الكاشاني وغيرهم وكتب تفسير معتدلة بالنسبة لتلك التفاسير الباطنية مثل تفسير «البيان» للطوسي، و«مجمع البيان» للطبرسي، والفئة الأولى اعتمدت على روايات الشيعة فقط والفئة الثانية اعتمدت على روايات السنة والشيعة، أما كتب التفسير المعاصرة فهي فيما تعتمده من رواياتهم في تفسير الآيات تتلبس بالروح الباطنية، وحينما تحاول أن تبشر بالتشيع وتحتج على أهل السنة ببعض الروايات عندهم فتتخلص إلى حد ما من الروح الباطنية.

والخلاصة أنك لا تجد تفسيرًا شيعيًا اعتمد على رواياتهم ومصادرهم يخلو من الطريقة الباطنية في التفسير.

باطنية الإثنى عشرية أشد خطرًا من باطنية الإسماعيلية:

وقد تبين اليوم أن الإسماعيلية المعروفين قديمًا بالباطنية والملاحدة والفاطمية والعبيدية مع ضلالهم وزندقتهم أقل خطرًا من الإثنى عشرية التي تلقب في عصرنا بـ«الشيعة»، لأن الإسماعيلية مغرقون في الباطنية، فأتباعهم أشبه بالعوام، ولذا رجع أعداد منهم للسنة، بخلاف الشيعة الإمامية، فإنهم وإن كانوا باطنية رافضة مثلهم، إلا أنهم أشد تطرفًا، وأعظم خطرًا، وأشد ضررًا، وأحكم تخطيطًا، وأكثر جمعًا، والبلاء بهم أعظم، والفساد فيهم أكبر.

كما أن عددًا من فرق الباطنية المحضة لا تتبنى الدعوة لمذهبها، بل تعيش في سراديب السرية والكتمان، كالدروز المنبثقة من الإسماعيلية، بخلاف الباطنية الإثنى عشرية الذين يسعون سعيًا حثيثًا لنشر مذهبهم، وتصدير ثورتهم، بل فرضها بقوة الحديد والنار على أي بلد يمكن لهم فيه، وقد نص دستورهم على «أن جيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة الإسلامية... لا يتحملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضًا بحمل رسالة عقائدية، أي: الجهاد في سبيل الله والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم»[1]، والواقع خير شاهد.

---

(١) «الدستور لجمهورية إيران الإسلامية» (ص١٦).

خداع باطنية الإثنى عشرية لباطنية الإسماعيلية:

يحاول شيعة اليوم ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة العمل على خداع الباطنية الإسماعيلية وتجنيدهم في صفوفها، مع أن أصولهم تقوم على تكفير الإسماعيلية؛ لأن الإثنى عشرية يعتقدون بأن من أنكر إمامًا من أئمتهم فهو في عداد الكافرين[1]، بل من أنكر مهديهم الذي لا وجود له فهو عندهم مثل إبليس[2].

والباطنية الإسماعيلية تنكر ستة من أئمة الإثنى عشرية بمن فيهم مهديهم المزعوم، وإذا عرفت أنهم يكفرون الصحابة؛ لأنهم بزعمهم أنكروا إمامة واحد من أئمتهم (وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، فكيف بمن أنكر ستة ممن يدعون إمامتهم؟! ومع ذلك يسعون بكل وسيلة لاحتوائهم.

محاولة الإثنى عشرية احتواء جميع فرق الغلو:

تجد شيوخ الشيعة المعاصرين وآياتهم إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها، نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية الباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة، وذلك لاتفاقهم معهم في المورد والمنهج والاعتقاد.

فهم إذا تحدثوا مثلًا عن دول الشيعة ذكروا الدولة العبيدية المسماة زورًا بالفاطمية[3] في

---

(١) انظر: «الاعتقادات» (ص١١١)، «بحار الأنوار» (٢٧/ ٦٢)، «تلخيص الشافي» (٤/ ١٣١).

(٢) «إكمال الدين» (ص١٣).

(٣) حقق كثير من الأئمة كابن كثير وغيره أن الفاطميين أدعياء للنسب الفاطمي، وقد نقل د. لويس في كتابه «أصول الإسماعيلية» عن كتاب إسماعيلي سري اسمه «غاية المواليد» اعترافًا لهم بأن عبيد الله (مؤسس الدولة الفاطمية) لم يكن علويًا. «أصول الإسماعيلية» (ص٧٤)، ثم بين د. برنارد لويس حقيقة استعمالهم لكلمة أب وابن وأنهم يستعملونها في غير معناها الحقيقي بل بمعنى (الأبوة الروحانية) «أصول الإسماعيلية» (ص١١٧).

صدر دولهم، مع أنها ليست على دين الإثنى عشرية[١].

وإذا جاؤوا على ذكر رجالهم، رأيتهم يذكرون كثيرًا من رؤوس الضلال والزندقة ممن تنسب إليهم فرق خاصة ليست من الإثنى عشرية، فترى على سبيل المثال مرجع الشيعة محسن الأمين يقول عن «الهشامية» أتباع هشام بن الحكم، و«اليونسية» أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، و«الشيطانية» أتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وغيرهم من غلاة الغلاة، «أنهم عند الشيعة الإمامية كلهم ثقات صحيحو العقيدة فكلهم إمامية وإثنى عشرية»[٢].

مما يدلك أيضًا على اختفاء العوازل الفارقة بينهم، وأنهم اليوم يحتضنون كل فرقة تنتسب إلى التشيع، وإن كانت من فرق الكفر والغلو عند قدماء الشيعة الإثنى عشرية[٣].

وقد شهد بعض مفكري الشيعة في العصر الحاضر بأن المذهب الإثنى عشري قد استوعب آراء وعقائد فرق الغلاة وغيرها، حيث قال: «ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصًا بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الإثنى عشري، ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص. والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار إلى حجر بن عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية[٤] وأبي هاشم إلى بيان بن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت إثنى عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة

---

(١) انظر دول الشيعة في: كتاب «الشيعة في الميزان» لمحمد جواد مغنية (ص١٢٧)، «أعيان الشيعة» (١/ ٢١).

(٢) «أعيان الشيعة» (١/ ٢١).

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٢٥/ ٢٨٥).

(٤) أما نسبة المؤلف عمار وحجر بن عدي ومحمد ابن الحنفية إلى التشيع فهو إنما يرجع إلى دعاوى الرافضة ومزاعمهم، وقد تأثر بها المؤلف بحكم تشيعه، وهي دعاوى غير صحيحة، فلم يؤثر عن هؤلاء شيء مما تقوّله عليهم أهل الكذب والتقية.

ومصنفوها»[1].

فتأمل كيف دخلت عقائد الغلاة وامتزجت بالتشيع الإثنى عشري حتى صارت منه بمنزلة الروح من الجسد!

وقد كتب أحد علماء الإثنى عشرية المعاصرين، وهو المدعو حسن الشيرازي رسالة سماها «العلويون شيعة أهل البيت» - والعلويون لقب النصيرية - وذكر في رسالته هذه أنه التقى بالنصيرية في سوريا ولبنان، وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي، وذكر بأنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، وأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية[2].

هذا ولم ينكر على هذا الشيرازي أحد من مراجع الإثنى عشرية، بل هم اليوم يقفون معهم ويمدونهم بالمال والسلاح والرجال، ولا يقيمون لاختلافهم العقدي معهم وزنًا، مع أنه قد عرف واشتهر عن النصيرية الكفر والزندقة[3]، بل إن روايات الشيعة المدونة في مصادرها المعتمدة لديها اليوم تكفر النصيرية، وتعدها فرقة خارجة عن الإسلام[4].

اختفاء الفوارق بين الإثنى عشرية والغلاة:

لقد اختفت الفوارق بينهم وبين الغلاة، ولم يعد للاعتدال مكان لديهم منذ اعتمادهم على ما يسمونه «صحاح الإمامية الثمانية»، ولذا ذهب بعض كبار مراجع الشيعة في هذا العصر إلى أنه لا يوجد على ظهر الأرض فرقة من الفرق الغالية، يقول محمد حسين آل كاشف

(١) «الصلة بين التصوف والتشيع» مصطفى الشيبي (ص٢٣٥).
(٢) «العلويون شيعة أهل البيت» حسن الشيرازي (ص٢-٣).
(٣) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ١٤٥ وما بعدها).
(٤) انظر ذلك في: «بحار الأنوار» (٢٥/ ٢٨٥).

الغطاء: «إن جميع الفرق الغالية قد بادت، ولا يوجد منها اليوم نافخ ضرمة»[1].

هكذا ينفي وجود أي فرقة من فرق الغلو مع وجود النصيرية والدروز والأغاخانية وغيرهم من فرق الغلو والتطرف، وذلك لمشاركتهم أو اتفاقهم معهم في الغلو، وتشابههم في الكفر، واشتراكهم في الموارد، واتفاقهم في الأهداف ضد الأمة ودينها، وإن كانوا فيما بينهم يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا.

وقد علق د. سليمان دنيا على ما قاله كاشف الغطا بقوله: «فما يكون الأغاخانية أليسوا قائلين بالحلول؟! أم ليسوا مع قولهم بالحلول ملاحدة؟! أم ليسوا منتسبين إلى الشيعة؟! ثم أليسوا على رقعة الأرض اليوم؟!»[2].

ولم ينتبه سليمان دنيا إلى الحقيقة الغائبة لدى الكثيرين وهي أن شيعة اليوم باطنية غلاة، كما يدرك ذلك من يراجع مصادرهم المعتمدة لديهم.

ذلك أنه لم يعد هناك فرق بين طوائف الغلو وبين الشيعة المعاصرين الذين يعتمدون في

---

(١) «أصل الشيعة وأصولها» (ص٣٨)، وانظر: «مسألة التقريب» (١/ ٣٧٥ وما بعدها)، «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ١٩-٢٥).

(٢) «بين السنة والشيعة» (ص٣٧).

ولكن غاب عن د. سليمان دنيا - رحمه الله - كما غاب عن بعض علماء المسلمين الذين قدموا صاحب هذا القول (محمد حسين كاشف الغطا) إمامًا لهم في مؤتمر القدس الأول، غاب عنهم حقيقة هذا الرجل ودينه وطائفته، لأنه يتعامل معهم كغيره من شيوخهم وفق بروتوكول التقية، أما لو رجعوا لأقواله لوجدوا قوله هذا منسجمًا تمامًا مع مقتضى عقيدته، فإذا كان النصارى قالوا بالحلول فإن هذا الرجل - والذي هو مرجع الشيعة في عصره - قد تعهد على نفسه أن يتجاوز مرحلة غلو النصارى، حيث أكد بأنه سيقول في أئمته ما لم تقله غلاة النصرانية في المسيح، ولا أدري هل بعد غلو النصارى في مسيحها غلو؟! وهم الذين جعلوا المسيح إلهًا من دون الله، ثم حاول هذا الرافضي أن يتجاوز غلو النصارى في مسيحها، فأورد كلامًا جعل فيه أئمته هم الكعبة التي تحجها الأملاك وميقاتها العرش وخلقت بهم الأشياء، كما يقول بأن كربلاء أفضل من الكعبة (انظر نص كلامه ونماذج أخرى من غلوه وهذيانه، ومصادر ذلك في: «مسألة التقريب» ٢/ ٧٢-٧٣).

تلقي دينهم على ما يسمونه «صحاح الإمامية الثمانية» وما في منوالها، فكلهم غلاة متطرفون، وقد استقر أمرهم على الغلو والتطرف منذ اعتمادهم على هذه المصادر، مثل: «تفسير القمي» و«كافي» الكليني و«بحار» المجلسي وغيرها مما ورثوه عن زنادقة القرون البائدة.

وحدة مصادر التلقي بين الإثنى عشرية والإسماعيلية:

ويشير بعض علماء الإثنى عشرية المعاصرين إلى وحدة الأصل في التلقي بين الإسماعيلية والإثنى عشرية فيقول: «وإذا لم يكن الفاطميون على المذهب الإثنى عشري، فإن هذا المذهب قد اشتد أزره ووجد منطلقًا في عهدهم فقد عظم نفوذه ونشط دعاته... ذلك أن الإثنى عشرية والإسماعيلية وإن اختلفوا من جهات، فإنهم يلتقون في هذه الشعائر بخاصة في تدريس علوم آل البيت، والتفقه بها، وحمل الناس عليها»(١).

وليس هذا فقط، بل إن بعض مصادر الإسماعيلية قد أصبحت عمدة عند المعاصرين من الإثنى عشرية مثل كتاب «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان بن محمد بن منصور، المتوفى سنة (٣٦٣هـ) وهو إسماعيلي، كما تؤكد ذلك بعض مصادر الإثنى عشرية نفسها(٢)، ومع ذلك فإن كبار شيوخهم المعاصرين يرجعون إليه(٣).

فالحقيقة الغائبة التي لم تسجلها كثير من كتب المقالات أن طائفة الإثنى عشرية المعاصرة التي تلقب في عصرنا اليوم بالشيعة باطنية في مصادرها وعقائدها ومنهجها، وأن الخطر الباطني يعود من جديد لغزو الأمة تحت قناع التشيع(٤).

---

(١) «الشيعة في الميزان» محمد جواد مغنية (ص١٦٣).

(٢) قال الشيعي الإثنى عشري ابن شهراشوب (٥٨٨هـ): «القاضي النعمان بن محمد ليس بإمامي» (معالم العلماء ص١٣٩).

(٣) مثل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» انظر: (ص٦٧).

(٤) راجع مقالي: «عودة الغزو الباطني»، المنشور بجريدة «اليوم».

أهداني أحد أعلام العراق كتاب «التشيع العربي والتشيع الفارسي» للباحث العراقي نبيل الحيدري، وهو يتحدث عن دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع، وقد بعث معه إليّ برسالة، جاء فيها: «نحن اليوم بحاجة كبيرة للتخصص، وقد يسر الله لكم معرفة الشيعة وما يعتقدون، وهم اليوم يتمددون في أكثر من بلد، ويحلمون بإعادة إمبراطورية نفقت منذ قرون، ومن المفيد كشف ما عندهم، ونبيل الحيدري عراقي من أسرة شيعية معروفة، وفي (التشيع) قد قام بمسح واسع على المراجع الشيعية، وقد وددت أن تكون لديكم نسخة تضاف لما عندكم. سدد الله خطاكم، وأجزل مثوبتكم، وأفاد بها تكتبون».

والحقيقة، إن موضوع هذه الدراسة في غاية الأهمية، وقد كتبت قبل ثلاثين سنة في كتابي «أصول مذهب الشيعة» عن الجذور الفارسية للتشيع الغالي، وذكرت بالأدلة كيف أثرت هذه الجذور الفارسية الدخيلة على التشيع في تشكيل وتأسيس العقائد الغالية والمنحرفة، ولعل من أخطر آثارها، وأعظم أسباب استمرارها ما يلي:

الأول: ربط الملالي أتباعهم بالمصادر التي وضعها الغلاة من الفرس، وتم اعتمادها منذ العصر الصفوي إلى اليوم حتى أصبحت العمدة في تلقي دينهم، والأساس في اعتقادهم، ولذا يقول الحيدري: «ألف الفرس الكتب الحديثية الأربعة كمرجع أعلى للحديث، وكلهم (الكليني والقمي والطوسي) من الفرس الذين وضعوا من الانحرافات والبدع الكثير حتى صارت مرجعًا مقدسًا لكل من جاء بعدهم»[1].

الثاني: ربط أتباعهم برجال الدين أو من يسمونهم بالمراجع في جميع شؤونهم الدينية والاجتماعية، وإضفاء القداسة عليهم، كحال النصارى مع قساوستهم في القرون الوسطى.

الثالث: زرع الأحقاد، وتأجيجها في نفوس الأتباع بواسطة المآتم التي تبث فيها حكايات الصراع المكذوبة بين الآل والأصحاب، وقصص المظالم المزعومة، ولذا قال الخميني إن هذه

---

(١) «التشيع العربي والتشيع الفارسي» (ص٩).

الأثر الفارسي في انحراف التشيع





المآتم هي التي حفظت دينهم من الاندثار طيلة أربعة عشر قرنًا[1].

الرابع: الخمس الذي من خلاله يمولون نشاطاتهم، وينشرون باطلهم.

الخامس: المتعة التي يغرون بواسطتها أصحاب الشهوات المحرمة.

وكل واحد من هذه الأمور يستغرق الحديث عنه مئات الصفحات، ويؤكده عشرات النصوص من مصادرهم المعتمدة.

وأما الجذور الفارسية التي ساهمت في انحراف التشيع فتظهر فيما يلي:

أولًا: ما قرره ابن حزم والمقريزي من أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب - كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا - تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى[2].

ثانيًا: كان الأعاجم الفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك[3]، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولدًا، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب

(١) جريدة «الاطلاعات» العدد (١٥٩٠١) بتاريخ ١٦/ ٨/ ١٣٩٩هـ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم صفحة الغلاف).

(٢) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢٧٣)، وانظر: «الخطط» للمقريزي (٢/ ٣٦٢).

(٣) انظر: «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤٥٦)، «تاريخ المذاهب الإسلامية» (١/ ٣٧).

الخلافة من مستحقها، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس»[1].

هذا، مع أن رسول الله ﷺ لم يوص لأحد من قرابته، وهذا من دلائل نبوته؛ لئلا يقال: أوصى لقرابته من بعده لأنه طالب ملك، كما لم يترك مالًا لورثته من بعده؛ لئلا يقال: طالب مال، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي، ومئونة عاملي فهو صدقة»[2]، بل أوصى الناس من بعده بقرابته وأهل بيته إشارة إلى أن الخلافة لا تكون فيهم، وإلا لأوصى أهلَ بيته بالناس، ولم يوص الناس بهم.

ثالثًا: اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي رضي الله عنه وذريته[3]، وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالًا، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

رابعًا: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنه - ابنة يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عِرق علي بن الحسين وفي أولاده دم فارسي من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي هو من سلالة الملوك

---

(١) «تاريخ المذاهب الإسلامية» لمحمد أبو زهرة (١/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٧٦).

(٣) انظر: «تاريخ المذاهب الإسلامية» لمحمد أبو زهرة (١/ ٣٧)، «فجر الإسلام» لأحمد أمين (ص٢٧٧)، «دراسات في الفرق» لعرفان عبد الحميد (٢٣)، «أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام» فلهوزن (ص١٦٨)، «السيادة العربية» فلوتن (ص٧٦).

الساسانيين المقدسين عندهم[1].

خامسًا: يتجلى الأصل الفارسي أيضًا في روايات عديدة عند الإثنى عشرية، تفرد سلمان الفارسي رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا»[2].

بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتأليه سلمان، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي»[3].

سادسًا: تعظيم الإثنى عشرية لبعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو «أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي» قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»[4]، واعتبروا يوم مقتل عمر رضي الله عنه على يد هذا المجوسي عيدًا من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك[5].

سابعًا: يعظمون بعض أعياد الفرس ومناسباتهم الدينية، فتراهم في رواياتهم يعظمون

---

(١) انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد: «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ٢٤٧)، «صحيح الكافي» (١/ ٥٣). وانظر في أثر ذلك: «الزندقة والشعوبية» لسميرة الليثي (ص٥٦)، «وجاء دور المجوس» لعبد الله الغريب (ص٧٧)، «نشأة الفكر الفلسفي» للنشار (٢/ ١١)، «المهدي والمهدوية» لعبد الرزاق الحصان (ص٨٢)، «عقيدة الشيعة» رونلدسن (ص١٠١).

(٢) «رجال الكشي» (ص١٥)، وانظر أيضًا (ص١٦-١٩).

(٣) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٠).

(٤) «الكنى والألقاب» لعباس القمي (٢/ ٥٥).

(٥) انظر: «الأنوار النعمانية» (١/ ١٠٨).

يوم النيروز كفعل المجوس[١]، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس[٢].

ثامنًا: ظهر أثر هذه الجذور الفارسية في انحراف التشيع وغلوه في كثير من العقائد التي صارت فيما بعد من أصول المذهب وأركان التشيع، ومن ذلك:

١- الدعاوى الغالية في الأئمة، والتي ترفع الأئمة إلى مقام الألوهية، ويسمونها معجزات وكلها - أو جلها - عقائد موروثة عن المجوسية الذين دخلوا في سلك التشيع للكيد للإسلام أو لإظهار عقائدهم باسم الإسلام ذلك أن «المجوس تدعي لزرادشت من المعجزات والآيات أكثر مما يدعيه النصارى»[٣].

٢- ورثت الإثنى عشرية عصمة الأئمة التي هي من أصول عقائدهم وأركان مذهبهم عن المجوس، ذلك أن المجوس تدعي في منتظرهم الذي ينتظرون وأصحابه أنهم لا يكذبون، ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة[٤].

٣- عقيدة الإثنى عشرية في المهدية والغيبة ترجع إلى أصول مجوسية أيضًا، فالشيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسية، والمجوس تدعي أن لهم منتظرًا حيًّا باقيًا مهديًّا من ولد بشتاسف بن بهراسف يُقال له: أبشاوثن، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصين[٥].

٤- ترى في بعض مواد الدستور الإيراني النعرة الفارسية، واللوثة القومية، يقول الأصل

---

(١) انظر: «مقتبس الأثر» للأعلمي (٢٩/ ٢٠٢-٢٠٣)، «بحار الأنوار» للمجلسي، باب عمل يوم النيروز (٩٨/ ٤١٩)، وانظر: «وسائل الشيعة»، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه ولبس أنظف الثياب والطيب (٧/ ٣٤٦).

(٢) انظر: «بحار الأنوار» (٤٨/ ١٠٨).

(٣) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٨٥).

(٤) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٧٩).

(٥) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٧٩).

الخامس عشر من الدستور: «اللغة والكتابة الرسمية والعامة هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والمتون الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة»، فترى أن هذه المادة موضوعة على أساس القومية الإيرانية الفارسية؛ لأن للإسلام لغة واحدة هي العربية لا باعتبارها لغة العرب، بل باعتبارها لغة القرآن والسنة ولغة دولة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين.

٥- جاء في المادة الثانية من الدستور أن العمدة عندهم في التلقي هي المصادر التي جمعها شيوخهم الفرس، وضمنوها روايات غالية مكذوبة نسبوها زورًا لبعض أهل البيت، فهو بهذا وغيره لا يمثل دستور دولة إسلامية، وإنما يمثل دولة فارسية، عنصرية، ورافضية جعفرية، ولا يأخذ أحكامه من الكتاب والسنة، وإنما يرتبط بروايات الكليني والمجلسي وأضرابهما من الغلاة التي يسمونها - كما جاء في المادة الثانية من دستورهم - «سنة المعصومين»[1].

٦- ظهور الإلحاد وانتشار الإباحية على يد الخرمية ذات الأصول المزدكية الفارسية، ومعلوم أن الخرمية فرقتان: فرقة منهم كانت قبل دولة الإسلام، وهم أتباع مزدك الإباحي دعاة الاشتراك في الأموال والأبضاع، الذين أفسدوا بلاد الفرس فقضى عليهم أنو شروان الملك الساساني الملقب بالعادل، والذي توفي قبل بعثة الرسول ﷺ، والفرقة الثانية من الخرمية ظهروا في دولة الإسلام كالبابكية أتباع بابك الخرمي الذي ظهر بناحية أذربيجان، وكثر أتباعه، وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيرًا من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه إسحاق، وصلب بـ«سر من رأى» في أيام المعتصم سنة ٢٢٣هـ.

ولا شك في أن الخرمية الذين ظهروا في الإسلام هم امتداد للديانة الفارسية القديمة (المزدكية) الأولى، وهم الذين زادوا في انحراف التشيع، ولذلك قال النوبختي الشيعي:

---

(١) «الدستور» (ص١٥-١٦).

«ومنهم كان بدء الغلو في القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وإنهم أنبياء وإنهم رسل، وقالوا بالتناسخ وإبطال القيامة»[1].

٧- إن الحقد الذي أكل قلوب المجوسية إزاء صحابة رسول الله ﷺ الذين أقاموا دولة الإسلام، وفتحوا ديار هؤلاء المجوس، ونشروا الإسلام بينهم، وأطفؤوا نار المجوسية والوثنية في بلادهم؛ جعلهم ينفثون أحقادهم وضغائنهم في سب أولئك الصحب والطعن فيهم، ولكن آيات الله التي تتلى على مر الزمن وهي تثني على صحابة رسول الله ﷺ وتعلي من شأنهم وتنشر فضائلهم قد كشفت كيدهم وردته في نحورهم، فلم يكن أمامهم إلا القول بأن الصحابة قد أسقطوا من القرآن فضائح المهاجرين والأنصار، وأرادوا بهذه المقولة التستر على مذهبهم، فكانت من أسباب انكشافهم وهتك أستارهم ورفع القناع عن وجوههم الحقيقية المعادية للإسلام والمسلمين، ولذلك امتلأت مصادرهم بما دسته الشعوبية من عداوة مفتعلة بين الصحب والآل، القصد منها تفريق الأمة وزرع العداوة بينها.

٨- الشعوبية المقيتة البغيضة وعداؤهم للجنس العربي (سنته وشيعته)، فهم يكنون كل حقد وكراهية للعرب، لا لمجرد جنسيتهم؛ ولكن للدين الذي يحملونه ويسعون في نشره.

فقد افتروا بأن عليًّا رضي الله عنه قال: «إن عندي صحفًا كثيرة.. وإن فيها لصحيفة يقال لها: العبيطة، وما ورد عن العرب أشد عليهم منها، وإن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة[2] ما لها في دين الله من نصيب»[3].

---

(١) انظر: «فرق الشيعة» للنوبختي (ص٣٦)، «الفهرست» لابن النديم (ص٣٤٢-٣٤٤)، «التبصير في الدين» للإسفراييني (ص٧٩-٨٠)، «التنبيه والرد» للملطي (ص٢٢)، «فضائح الباطنية» للغزالي (ص١٤) وما بعدها.

(٢) المبهرَج: الباطل الرديء، والمبهرج من المياه: المهمل الذي لا يمنع عنه، ومن الدماء: المهدر (القاموس: ١/ ١٨٠).

(٣) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٣٧)، «بصائر الدرجات» (ص٤١).

ومن ذلك أنهم يحلمون بوقوع قتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده على يد مهديهم المنتظر، ولذلك فإن أخبارهم تعد العرب بملحمة على يد غائبهم - إذا رجع - لا تبقي ولا تذر على رجل أو امرأة ولا صغير ولا كبير، بل تأخذهم جميعًا فلا تغادر منهم أحدًا. فيروي النعماني عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[1].

ومن المعلوم أن في العرب شيعة، ومع ذلك لا تفرق روايتهم هذه بين شيعة العرب وغيرهم، بل تؤكد أخبارهم أنه لن يتشيع أحد من العرب للقائم، ولهذا تحذر منهم فتقول: «اتق العرب؛ فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[2].

ولكن في الشيعة من العرب كثير غير أن أخبارهم تقول بأنهم سيمحصون فلا يبقى منهم إلا النزر اليسير[3]، وتقول رواياتهم إن القائم «يبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب»[4].

ويخصون قبيلة رسول الله ﷺ (قريش) التي منها صفوة أصحابه بالذكر التفصيلي لعمليات القتل التي يجريها عليها القائم، ففي الإرشاد للمفيد، عن عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم من آل محمد - عليه السلام - أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم»[5].

ولا يخفى أن تخصيص العرب بالقتل يدل على تغلغل الاتجاه الشعوبي لدى واضعي

---

(١) «الغيبة» للنعماني (ص١٥٥)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٤٩).

(٢) «الغيبة» للطوسي (ص٢٨٤)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٣).

(٣) انظر: «الغيبة» للنعماني (ص١٣٧)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ١١٤).

(٤) بهرج الدماء: أهدرها، وفي الطبعة الأخرى للبحار: «يهرج»، ومعنى الهرج: الفتنة والاختلاط والقتل (انظر: «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٣، هامش١).

(٥) «الإرشاد» (ص٤١١)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

هذه الروايات، وهي تبين مدى العداوة للجنس العربي لدى مؤسسي الرفض، والرغبة في التشفي منهم بقتلهم، وذلك - في حقيقة الأمر - لا يعود لجنسيتهم بل للدين الذي يحملونه.

وكما كان للأثر الفارسي المجوسي أثره في انحراف التشيع فقد كان لليهود أيضًا أثرهم[1]، وكان لغير اليهودية من أصحاب المعتقدات والأديان أثرهم، ولذلك اتفق أهل العلم على أن التشيع كان ملجأ يأوي إليه كل من أراد الكيد للإسلام وأهله.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم واليونان والنصارى واليهود وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها، وقال: بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[2].

---

(١) سيأتي الحديث عنه - إن شاء الله - في دراسة خاصة.

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ١٤٧)، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٨/ ١٥١). وفي صحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم (٢٦٦٩).

التأويلات الباطنية من فضائح الشيعة الكبرى(*)

(*) أعني بالشيعة هنا: طائفة الإثنى عشرية، التي تلقب في عصرنا بـ«الشيعة»، ومصادرها هي عمدتنا في تحرير هذا البحث.



التقيت أحد أعلام العراق من أصحاب التخصصات العلمية الدنيوية الدقيقة، وهو الأستاذ «علاء الدين البصير»، بالحرم المكي بعد صلاة التراويح في رمضان عام ١٤٣٥هـ، وذكر لي أنه كان شيعيًّا يظن أن هذه النحلة هي الحق، ثم تبين له الأمر، وانكشف له المستور، وذكر لي أن من أسباب عودته إلى الحق قراءته لكتابي «مسألة التقريب»، وبالذات ما يتعلق بالتأويلات الباطنية عند الشيعة، وقال لي: بعد قراءتي لهذه التأويلات التي لا تربطها أدنى رابطة لا بالمعنى اللغوي، ولا بالمفهوم، ولا بالسياق؛ قلت في نفسي: إذا ثبت أن هذه التأويلات موجودة في مصادرنا الشيعية كما يذكر صاحب «التقريب» فإن ذلك يكفي دليلًا على بطلان مذهبنا، وأعانني على هذا الفهم أنني صاحب تخصص علمي منهجي يزن الأقوال بميزان دقيق.

وقال: حينها بدأت بجمع مكتبة شيعية تضم المصادر الأساسية، ثم قمت بمقابلة النصوص ومراجعها المثبتة في التقريب مع المصادر الشيعية التي تمت الإحالة إليها، فوجدت النتيجة صحة المقابلة، وسلامة التوثيق، وحينئذ أيقنت بأننا على ضلال، وخرجت من المذهب، ومنَّ الله عليَّ باعتناق السنة، وكان ذلك قبل تسع عشرة سنة، وجنَّدت نفسي بعدها لفضح هذه النحلة وكشف حقيقتها، وقد صنفت في هذا الباب نحو خمسين كتابًا، نشر منها تسعة.

أقدم بهذه الواقعة[1] بين يدي هذه الدراسة التي تتناول التأويلات الباطنية عند الرافضة، وأنها أحد المعالم الكبرى لمعرفة زيف هذا المذهب وبطلانه.

شاع التأويل الباطني في كتب الرافضة وأصبح من أصول دينهم التي يقوم عليها كيانهم العقدي؛ لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا به، ولا يستقيم لهم دليل إلا بهذا التحريف الذي يسمونه تأويلًا، ولهذا عقد صاحب «البحار» بابًا لهذا بعنوان: «باب أن للقرآن ظهرًا وبطنًا»، وقد

---

(١) لها وقائع مشابهة كثيرة، ولذلك ينبغي أن تكون مصادرهم الفاضحة أحد منطلقات دعوتهم إلى الحق.

ذكر في هذا الباب ٨٤ رواية[١]، وفي «تفسير البرهان» عقد بابًا مماثلًا لما في «البحار» بعنوان: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»[٢].

وجاء في مصادرهم عن جابر الجعفي[٣] قال: «سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطنًا، وللبطن بطنًا وظهرًا، وللظهر ظهرًا، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[٤].

وتؤصل مصادرهم لهذا المنهج الباطني بلغة الأرقام، فتبلغ به ما يزيد عن سبعين بطنًا! يقولون: «لكل آية من كلام الله ظهر وبطن، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة سبعة وسبعون بطنًا»[٥]. وتأتي بعض رواياتهم لتقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام»[٦].. وهكذا يقسمون القرآن وفق ما تهوى أنفسهم، وما تمليه عليهم شياطينهم. ويرى بعض الباحثين[٧]

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» (٩٢/ ٧٨-١٠٦).

(٢) «البرهان» (١/ ١٩).

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ)، قال ابن حبان: «كان سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ. كان يقول: إن عليًّا يرجع إلى الدنيا»، وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال ابن حجر: ضعيف رافضي (انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، تقريب التهذيب ١/ ١٢٣، الضعفاء للعقيلي: ١/ ١٩١-١٩٦).

(٤) «تفسير العياشي» (١/ ١١)، «المحاسن» للبرقي (ص٣٠٠)، «البرهان في تفسير القرآن» (١/ ٢٠-٢١)، «تفسير الصافي» (١/ ٢٩)، «بحار الأنوار» (٩٢/ ٩٥)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ١٤٢).

(٥) «مرآة الأنوار» لأبي الحسن الشريف (ص٣).

(٦) «أصول الكافي» (٢/ ٦٢٧)، «البرهان» (١/ ٢١).

(٧) جولدسهير: «مذاهب التفسير الإسلامي»: (ص٣٠٣ - ٣٠٤). وقد ذكرت بعض كتب الشيعة «كتاب التفسير» لجابر الجعفي، انظر: «الفهرست» للطوسي (ص٧٠)، «أعيان الشيعة» (١/ ١٩٦).

أن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في التفسير هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة جابر الجعفي (ت ١٢٨هـ)[١]، فكان هذا نواة لتفسير شيعي سرعان ما اتسع وأغرق في باطنيته.

وهذه التأويلات مدونة في تفاسيرهم المعتبرة عندهم كتفسير «القمي»، و«العياشي»، و«البرهان»، و«الصافي»، كما أن كتبهم المعتمدة في الحديث قد أخذت من تلكم التأويلات بقسط وافر، وعلى رأسها: «أصول الكافي» للكليني، و«البحار» للمجلسي وغيرهما، وعرض هذه التأويلات يستغرق مجلدات، ويكفي أن تعرف أن كل آيات القرآن يفسرونها إما بالأئمة وشيعتهم، أو بأعداء الأئمة - على حد وصفهم -، ولذا كان من أصولهم التي بنوا عليها تأويلاتهم أن «جل القرآن إنما نزل فيهم [أئمتهم الاثنا عشر] وفي أوليائهم وأعدائهم»[٢]، مع أنك لو فتشت في كتاب الله وأخذت معك معاجم اللغة العربية كلها وبحثت عن اسم من أسماء هؤلاء فلن تجد لها ذكرًا! ومع ذلك فإن شيخهم البحراني يزعم أن عليًّا وحده ذكر في القرآن ١١٥٤ مرة، ويؤلف في هذا الشأن كتابًا سماه: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية»[٣]، وكل عاقل له أدنى صلة بالقرآن يدرك أن هذا القول أشبه بالهذيان، ولكن هؤلاء الباطنيين لا عقل ولا نقل.

وكل آية نزلت في القرآن العظيم يفسرونها بأئمتهم، ومن ينظر في مصادر الإثنى عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، والمعتمدة لدى مراجعهم المعاصرين يجد أنهم يفسرون آيات نزلت في القرآن بالأئمة، فقوله سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨]

(١) وهو كذاب عند أهل السنة، أما عند الشيعة فأخبارهم في شأنه متناقضة، لكنهم يحملون أخبار الطعن فيه على التقية ويرجحون توثيقه كعادتهم في توثيق من على مذهبهم وإن كان كاذبًا. انظر: «وسائل الشيعة» (٢٠/ ٥١).

(٢) «تفسير الصافي» (١/ ٢٤)، وهذا النص جعله صاحب الصافي عنوانًا للمقدمة الثانية.

(٣) المطبعة العلمية بقم (١٣٩٤هـ).

يقولون: «النور نور الأئمة»[1]، وفي رواية أخرى عندهم تقول: «النور الأئمة»[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧] يقولون: النور: علي والأئمة - عليهم السلام -[3]. مع أن الدلالة واضحة وجلية على أن المراد بالنور في الآيتين هو القرآن، فكيف لعاقل أن يقبل هذا التأويل الذي لا يربطه بالآية أدنى رابط! وكيف تنسب هذه التأويلات التي هي في حقيقتها إلحاد في آيات الله إلى آل البيت كعلي والحسن أو الحسين أو الباقر أو الصادق وهم أهل العلم واللغة والعقل والدين! وبناءً على هذا التأويل الجاهل الذي أعطوه للآية نفهم أن الأئمة أنزلوا من السماء إنزالًا!

وتمضي تأويلاتهم للآيات التي تتحدث عن القرآن ولو كانت الآية في غاية الدلالة على أن المقصود القرآن، فيروون عن أبي جعفر (محمد الباقر) - رحمه الله وبرأه الله مما يفتري المفترون - في قول الله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥] قالوا: «بدل مكان علي أبو بكر وعمر واتبعناه»[4] (كذا). ويفسرون قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] بقولهم «يهدي إلى الإمام»[5]، وفي رواية: يهدي إلى الولاية[6].

---

(١) «الكافي» للكليني عن أبي جعفر، كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله (١/ ١٩٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٩٥).

(٣) «الكافي» للكليني بإسناده إلى أبي عبد الله (جعفر الصادق) كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله (١/ ١٩٤).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ١٢٠)، وانظر: «أصول الكافي»: (١/ ٤١٩)، و«تفسير البرهان» (٢/ ١٨٠)، وفي «تفسير نور الثقلين» (٢/ ٢٩٦)؛ (لو بدل مكان علي أبو بكر أو عمر اتبعناه).

(٥) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن القرآن يهدي للإمام: (١/ ٢١٦)، وانظر: «تفسير العياشي» (٢/ ٢٨٢ -٣٨٣)، و«البرهان» (٢/ ٤٠٩)، و«الصافي» (١/ ٩٦٠).

(٦) المصادر السابقة ما عدا «الكافي».

وتمضي تأويلاتهم أو تحريفاتهم على هذا النسق المظلم، ففي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨] قالوا: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ [الصف: ٨]، يقولون: والله متمّ الإمامة، والإمامة هي النور، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨][1] قال: النور هو الإمام. وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] قالوا: فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: الحسن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الحسين، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾: يكاد العلم ينفجر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾: يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام، ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾: إمام يوم القيامة[2].

تأويل التوحيد والشرك بولاية الأئمة والبراءة منهم:

وكما أوّلوا ما جاء عن القرآن والنور بالإمامة، يؤولون ما جاء في كتاب الله من النهي عن الشرك والكفر، يؤولونه بالشرك في ولاية علي، أو الكفر بولاية علي، ويؤولون ما جاء في عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت بولاية الأئمة والبراءة من أعدائهم حتى قالوا: «ما بعث الله نبيًّا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا، وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦][3].

---

(١) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله (١/ ١٩٦)، وانظر: «تفسير نور الثقلين» (٥/ ٣١٦)، وفي «تفسير القمي» فسر «النور» بمهديهم المنتظر، عن «تفسير نور الثقلين» (٥/ ٣١٧).

(٢) «الكافي» كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم نور الله عز وجل (١/ ١٩٥)، وانظر: «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٦٠٤).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٥٨)، «البرهان» (٢/ ٣٦٨)، «الصافي» (١/ ٩٢٣)، «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٥٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] قالوا: يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[١].

وفي قوله سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قالوا: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي عليه السلام ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين[٢].

وفي قوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] قالوا: العمل الصالح المعرفة بالأئمة، ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾: التسليم لعلي لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له ولا هو من أهله[٣]، وفي رواية أُخرى لهم في قوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ قالوا: لا يتخذ مع ولاية آل محمد صلوات الله عليهم غيرهم[٤].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١][٥] قالوا: يعني عليًّا[٦].

وفي قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] قالوا: هم أولياء فلان، وفلان، وفلان - يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - اتخذوهم أئمة من دون الإمام[٧].

---

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦١)، «تفسير البرهان» (٢/ ٣٧٣)، «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٦٠).

(٢) «تفسير الصافي» (٢/ ٤٧٢)، وقد نقل هذه الرواية عن القمي شيخ الكليني في تفسيره، وانظر: «أصول الكافي»، و«تفسير نور الثقلين» (٤٠/ ٤٩٨).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٥٣)، «تفسير البرهان» (٢/ ٤٩٧)، «تفسير الصافي» (٢/ ٣٦)، «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٣١٧- ٣١٨).

(٤) «الصافي» (٢/ ٣٦١).

(٥) الآية كاملة: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ [البقرة: ٤١] فالضمير يعود كما هو واضح من السياق يعود إلى القرآن، وهم أرجعوه إلى «علي» وهو غير مذكور أصلًا، والخطاب في الآية لبني إسرائيل.

(٦) «تفسير العياشي» (١/ ٤٢).

(٧) «تفسير العياشي» (١/ ٧٢)، «البرهان» (١/ ١٧٢)، «الصافي» (١/ ١٥٦)، «تفسير الثقلين» (١/ ١٥١).

وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠] قالوا: يعني أئمة دون أئمة الحق[١].

وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] قالوا: يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي، وأما قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] يعني لمن والى عليًّا عليه السلام[٢]، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة، وهي محاولة لهدم الأصل الأول في الإسلام وهو التوحيد، وإعطاء الشرك صفة الشرعية، ومحاولة خطيرة لتفسير التوحيد والشرك والكفر بغير معانيها الحقيقية.

تأويل الصلاة بالأئمة والإمامة:

ويؤولون بعض الآيات الواردة في الصلاة بالأئمة والإمامة، ففي قوله سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: الصلاة: رسول الله، وأمير المؤمنين، والحسن والحسين، والوسطى: أمير المؤمنين، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ طائعين للأئمة[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قالوا: تفسيرها: ولا تجهر بولاية علي ولا بما أكرمته بها حتى آمرك بذلك، ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني ولا تكتمها عليًّا وأعلم ما كرمته به (كذا)[٤].

وفي رواية أخرى لهم في تفسير الآية بمثل ما مضى وزادوا: فأما قوله: ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يقول: تسألني أن آذن لك أن تجهر بأمر علي بولايته، فأَذَن له بإظهار

---

(١) «تفسير الصافي» (١/ ٥٧١).

(٢) «تفسير العياشي» (١/ ٢٤٥- ٢٤٦)، «الصافي» (١/ ٣٦١)، «البرهان» (١/ ٣٧٥)، «تفسير نور الثقلين» (١/ ٤٨٨).

(٣) «تفسير العياشي» (١/ ١٢٨)، وانظر «تفسير البرهان» (١/ ٢٣١)، «البحار» (٧/ ١٥٤).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٣١٩)، «تفسير الصافي» (١/ ٩٩٩)، «تفسير البرهان» (٢/ ٤٥٢)، «تفسير الثقلين» (٣/ ٢٣٥).

ذلك يوم غدير خم[1].

وقالوا في قوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]: يعني الأئمة[2].

تأويل العمل الصالح بالإمامة:

ومن ذلك تأويلهم لعموم الأعمال الصالحة بالإمامة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] حيث قالوا: العمل الصالح المعرفة بالأئمة.

وكما يؤولون جميع الأعمال الصالحة بالإمامة فإنهم يؤولون أركان الإسلام على سبيل التعيين بالإمامة أيضًا، ففي قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] قالوا: التفث: لقاء الإمام[3]، وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا في «البحار» (الذي يعدونه المرجع الوحيد لتحقيق المذهب) بعنوان: «باب أنهم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي في بطن القرآن»[4].

تأويل جميع آيات القرآن بالإمامة:

وتمضي تأويلاتهم لتفسر جميع آيات القرآن بالإمامة والأئمة، فجميع ما ورد في كتاب الله عن المؤمنين، وولاة الأمر، وأهل الذكر، وآيات الله الكونية، ومخلوقاته، وآلائه ونعمه،

---

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٢٠)، «تفسير الصافي» (١/ ٩٩)، «البرهان» (٢/ ٤٥٢)، «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٢٣٥- ٢٣٦).

(٢) «تفسير العياشي» (٢/ ١٢)، «البرهان» (٢/ ٨)، «البحار» (٧/ ٦٩)، «تفسير نور الثقلين» (٣/ ١٧).

(٣) رواه شيخهم الطوسي في التهذيب، انظر: «الوافي»، أبواب الزيارات وشهود المشاهد (ج ٢/ ١٩٣)، وانظر: «تفسير نور الثقلين» (٣/ ٤٩٢).

(٤) «البحار» للمجلسي (٢٤/ ٢٨٦- ٣٠٤).

وغيرها، يؤلونها بالأئمة الاثني عشر، ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١٩٩] زعموا أن إمامهم قال: إيانا عنى[١].

وفي قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] قالوا: السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف للإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام[٢].

وتأويلهم لكثير من آيات القرآن بالإمامة والأئمة يربو على الحصر، وكأن القرآن لم ينزل إلا فيهم، بل تأويلهم للآيات بالإمامة والأئمة تجاوز حدود الشرع والعقل، ونزل إلى درك من العته والبله لا تفسير له سوى أنه محاولة للهزء والسخرية بآيات الله، حتى إنهم يقولون:

- الأئمة هم النحل[٣] في قوله سبحانه ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، والمجلسي عقد بابًا لذلك بعنوان: «باب نادر في تأويل النحل بهم»[٤].

- وهم الحفدة[٥] في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

- وعلي هو سبيل الله[٦] في قوله سبحانه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣][٧].

- وهو الحسرة على الكافرين[٨] في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].

(١) «الكافي»، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله ﷺ وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام (١/ ٢٠٨).

(٢) «الكافي» كتاب الحجة، باب في أن من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة عليهم السلام (١/ ٢١٤).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٤)، «البرهان» (٢/ ٣٧٥)، «الصافي» (١/ ٩٣١).

(٤) «البحار»: (٢٤/ ١١٠ - ١١٣).

(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٤)، «البرهان» (٢/ ٣٧٦)، «الصافي» (١/ ٩٣٢).

(٦) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣)، «البحار» (٩/ ١١١).

(٧) وفي عدة مواضع أخرى من كتاب الله سبحانه.

(٨) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).

- وهو حق اليقين[1] في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].

- وهـو الصراط المستقيم[2] في قوله سبحـانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

- وهو الهدى[3] في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

- والأئمة هم الأيام والشهور، وعقد شيخهم المجلسي بابًا في ذلك بعنوان: «باب تأويل الأيام والشهور بالأئمة عليهم السلام» ضمنه طائفة من رواياتهم[4].

- والأئمة هم بنو إسرائيل[5] في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [البقرة: ٤٠][6].

- وهم الأسماء الحسنى التي يدعى بها: يروون عن الرضا عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال - راويهم - قال أبو عبد الله: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل - كذا - من أحد إلا بمعرفتنا، قال: فادعوه بها[7].

وقال شيخهم المجلسي: «والأئمة هم المـاء المعين والبئر المعطلة والقصر المشيد وتأويل السحاب والمطر والفواكـه وسائر المنـافع الظاهرة بعلمهم وبركاتهم، ثم أورد طائفة من نصوصهم في ذلك»[8].

وهكذا تمضي تأويلاتهم على هذا النحو الذي يكشف عوراتهم ويفضح إلحادهم.

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).
(٢) «تفسير العياشي» (١/ ٢٤)، «البرهان» (١/ ٥٢).
(٣) «تفسير العياشي» (١/ ٤٢)، «البرهان» (١/ ٨٩).
(٤) «البحار» (٢٤/ ٢٣٨ - ٢٤٣)، وانظر: «الغيبة» للطوسي (١٠٤)، و«الخصال» للقمي (٢/ ٣٢ - ٣٣).
(٥) «تفسير العياشي» (١/ ٤٤)، «البرهان» (١/ ٩٥)، «البحار» (٧/ ١٧٨).
(٦) وفي عدة مواضع من كتاب الله.
(٧) «تفسير العياشي» (٢/ ٤٢)، وانظر: «الصافي» (١/ ٦٢٦)، «البرهان» (٢/ ٥١).
(٨) «البحار» (٢٤/ ١٠٠ - ١١٠).

تأويل الآيات الواردة في الكفار بالصحابة الأخيار:

ومن إلحادهم تأويلهم للآيات الواردة في الكفار والمنافقين بخيار صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم خليفتاه ووزيراه وصهراه وحبيباه أبو بكر وعمر، ويثلثون أحيانًا بصاحب الجود والحياء ومن وضع ماله في سبيل الله وجهز جيش العسرة وغيره: صهر رسول الله ﷺ في ابنتيه عثمان رضي الله عنه، وغيرهم من صحابة رسول الله الأخيار ومن تبعهم بإحسان. ومن ذلك ما يلي:

روى الكليني في «الكافي» عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] قال: هما، ثم قال: وكان فلان شيطانًا[١].

قال المجلسي في شرحه للكافي في بيان مراد صاحب «الكافي» بـ«هما» قال: «هما» أي أبو بكر وعمر، والمراد بفلان عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر، وإنما سمي به لأنه كان شيطانًا إما لأنه كان شرك شيطان لكونه ولد زنا أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس بأن يكون المراد بفلان أبا بكر[٢].

وعن حريز عمن ذكره عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: هو الثاني وليس في القرآن ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إلا هو الثاني[٣] - يعنون بالثاني عمر رضي الله عنه -.

وعن زرارة عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقًا عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان؟ - يعنون أبا

(١) «فروع الكافي» الذي بهامش «مرآة العقول» (ج٤ ص٤١٦).
(٢) «مرآة العقول» (٤/ ٤١٦).
(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٢٣)، «البرهان» (٢/ ٣٠٩)، «الصافي» (١/ ٨٨٥)، «البحار» (٣/ ٣٧٨)، و«تفسير القمي» (عن «الصافي») (١/ ٨٨٥).

بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم -. قال عالمهم الفيض الكاشاني: «ركوب طبقاتهم كناية عن نصبهم إياهم للخلافة واحدًا بعد واحد»[(١)].

وعند قوله سبحانه: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢] يروي العياشي عن حنان بن سدير أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: دخل علي أناس من البصرة فسألوني عن طلحة وزبير فقلت لهم: كانا إمامين من أئمة الكفر[(٢)].

ويفسرون الجبت والطاغوت الوارد في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] يفسرونهما بصاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وصهريه وخليفتيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٣)].

ويروون عن أبي جعفر - رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - في قوله تعالى: ﴿... مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل ابن هشام» فأنزل الله ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[(٤)].

وهذا النص يناقض اعتقادهم بعصمة الأنبياء، لأنه يقتضي صدور الدعوة لعمر من الرسول ﷺ على سبيل الخطأ، أو يثبت عصمة الرسول ﷺ وينسف ما قالوه في سب عمر وتكفيره وأنه غصب الخلافة من علي، وهذا يؤدي إلى هدم مبدأ الإمامة عندهم، وما ندري أي الأمرين يطوح بهم أكثر من الآخر؟

ويروون عن أبي عبد الله أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[(٥)] قال:

---

(١) «الوافي»، كتاب الحجة، باب ما نزل فيهم عليهم السلام وفي أعدائهم (١/ ٣١٤).

(٢) «تفسير العياشي» (٢/ ٧٧ - ٧٨)، «تفسير البرهان» (٢/ ١٠٧)، «تفسير الصافي» (١/ ٦٨٥).

(٣) انظر: «تفسير العياشي» (١/ ٢٤٦)، و«الصافي» (١/ ٣٦٢)، «البرهان» (١/ ٣٧٧).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩)، «البرهان» (٢/ ٤٧١)، «البحار» (٨/ ٢٢)، «الصافي» (٢/ ١٧).

(٥) البقرة: الآيتان (١٦٨، ٢٠٨). الأنعام: آية (١٤٢).

«وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان»[1] - أبو بكر وعمر -.

وعند قوله سبحانه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتبعهم»[2].

قال المجلسي في تفسير هذا النص: «الزريق كناية عن أبي بكر لأن العرب تتشاءم بزرقة العين، والحبتر هو عمر، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كني عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر؛ إذ الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك، وإنما قدم الثاني؛ لأنه أشقى وأفظ وأغلظ. وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا أبي سلامة، ولا يبعد أن يكون أبو سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل؛ إذ كان اسم جمل عائشة عسكرًا، وروي أنه كان شيطانًا»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] يفترون على أبي جعفر أنه قال فيها: فلان وفلان - أي أبو بكر وعمر - وأبو عبيدة بن الجراح، وفي رواية أخرى لهم افتروها على أبي الحسن تقول: هما وأبو عبيدة بن الجراح (هما: أي أبو بكر وعمر) وفي رواية ثالثة: الأول، والثاني، وأبو عبيدة بن الجراح[4].

وقوله سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]

(١) «تفسير العياشي» (١/ ١٠٢)، «البرهان» (١/ ٢٠٨)، «الصافي» (١/ ٢٠٨).
(٢) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٤٣)، «البرهان» (٢/ ٣٤٥).
(٣) «البحار» (٤/ ٣٧٨)، (٨/ ٢٢٠).
(٤) «تفسير العياشي» (١/ ٢٧٥)، «البرهان» (١/ ٤١٤).

يفسرونها بالرواية التالية: عن محمد بن إسماعيل عن رجل سماه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رجل على أبي عبد الله فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فقام على قدميه فقال: مه هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام سماه به، ولم يُسمّ - بالبناء المفعول - به أحد غيره فرضي به إلا كان منكوحًا وإن لم يكن به ابتلي به وهو قول الله في كتابه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ قال قلت: فماذا يدعى به قائمكم؟ قال: يقال له: السلام عليك يا بقية الله، السلام عليكم يا ابن رسول الله[1]. فهذا قذف شنيع لكل حكام المسلمين وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة الراشدون.

ويفترون على أبي عبد الله أنه قال في قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ [النساء: ١٣٧] قال: نزلت في فلان وفلان - أبو بكر وعمر - آمنوا برسول الله ﷺ وآله في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية، حيث قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرًا بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق منهم من الإيمان شيء[2].

وفي قوله سبحانه عن المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] يروي القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام لما أقام رسول الله ﷺ يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة، قال عمر: ألا ترون عينيه كأنها عينا مجنون - يعني النبي - الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله قال: اللهم

(١) «تفسير العياشي» (١/ ٢٧٦)، «البرهان» (١/ ٤١٥)، «البحار» (٩/ ٦٣٧).

(٢) «تفسير العياشي» (١/ ٢٨١)، «الصافي» (١/ ٤٠٤)، «البرهان» (١/ ٤٢٢)، «البحار» (٨/ ٢١٨).

فاشهد ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه وسلموا عليه بإمرة المؤمنين فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾»[1].

ويفسرون الفحشاء والمنكر في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] بولاية أبي بكر وعمر وعثمان، فيروون عن أبي جعفر عليه السلام بالإسناد الكاذب أنه قال: وينهى عن الفحشاء: الأول، والمنكر: الثاني، والبغي: الثالث[2].

تأويل بعض آيات القرآن بمهديهم المزعوم:

وعلى ضوء عقيدتهم في المهدي يتعسفون في تأويل الآيات فيروي شيخهم الصدوق - عندهم - بسنده عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣]، قال: «من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق»، وفي رواية: «﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعني بالقائم عليه السلام وغيبته»[3].

وعن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة: ٣] قال: خروج القائم وأذان دعوته إلى نفسه[4].

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] قال: إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولا كافر إلا كره خروجه[5].

وعن صالح بن سعد عن أبي عبد الله في قول الله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ

---

(١) عن «الصافي» (١/ ٧١٥).

(٢) «تفسير العياشي» (٤/ ٢٦٨)، «البرهان» (٢/ ٣٨١)، «البحار» (٧/ ١٣٠).

(٣) ابن بابويه القمي (الصدوق) «إكمال الدين» (ص١٧).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٧٦)، «تفسير البرهان» (٢/ ١٠٢).

(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٨٧)، «الصافي» (١/ ٦٩٧)، «البرهان» (٢/ ١٢١).

شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] قال: قوة القائم والركن الشديد الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه[١] (مع أن الآية في لوط عليه السلام مع قومه فجعلوها في قائمهم المنتظر).

والأمثلة على تعسفهم في تفسير آيات من كتاب الله بمهديهم المنتظر كثيرة، حتى ألفوا في هذا كتبًا مستقلة مثل: «ما نزل من القرآن في صاحب الزمان» لعبد العزيز الجلودي[٢]، و«المحجة فيما نزل في القائم الحجة» للسيد هاشم البحراني[٣].

تأويل بعض آيات القرآن بالتقية:

ويمضي القوم في تأويلهم لآيات الله على ضوء عقائدهم وأصول دينهم ويتعسفون في ذلك أيما تعسف، فيحاولون البحث عن آيات يفسرون على ضوئها معتقدهم في التقية ففي تفسير العياشي عن الصادق في قوله سبحانه: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] قال: التقية[٤]، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] قال: هو التقية[٥]. وعن المفضل عن الصادق: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ قال: ما استطاعوا له نقبًا إذا عمل بالتقية لم يقدروا في ذلك على حيلة وهو الحصن، وصار بينك وبين أعداء الله سدًّا لا يستطيعون له نقبًا، قال: وسألته عن قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قال: رفع التقية عند الكشف فينتقم من أعداء الله[٦].

وعن الحسين عن زيد بن علي بن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «كان رسول الله – صلى الله عليه وآله – يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: قال الله: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ

---

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ١٥٧)، وانظر: «البرهان» (٢/ ٢٣٠)، «البحار» (٥/ ١٥٨).

(٢) أغابزرك الطهراني «الذريعة» (١٩/ ٣٠).

(٣) «فهرس مكتبة آية الله المرعشي» بقم (٣/ ٢٨٦)، إعداد: أحمد الحسيني.

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٥١)، «البرهان» (٢/ ٤٨٦)، «البحار» (٥/ ١٦٨).

(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٥١)، «البرهان» (٢/ ٤٨٦)، «البحار» (٥/ ١٦٨).

(٦) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٥١)، «البرهان» (٢/ ٤٨٦)، «البحار» (٥/ ١٦٨).

تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]»[1].

وعن أبي إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] قال: والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم وأسرارهم فأذاعوها، فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلًا واعتداء ومعصية[2].

وعن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] اصبروا يعني بذلك عن المعاصي، وصابروا يعني التقية، ورابطوا يعني الأئمة[3].

تأويل بعض آيات القرآن بالرجعة:

ولتأييد اعتقادهم في «الرجعة» يؤولون الآيات ويصرفونها عن معانيها؛ فقوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] قالوا: الرجعة[4]، فالآخرة يفسرونها في هذه الآية بالرجعة، وهذا التفسير وأمثاله هو عين منطق الباطنيين في القول بإبطال المعاد، ويفسرون قوله سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] بأن هذه الآية ليست في كفار قريش المنكرين للبعث، إنما هي في أعداء الشيعة المنكرين للرجعة! وإليك النص:

«عن أبي عبد الله في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ قال: ما يقولون فيها؟ [أي ما يقول أئمة السنة في تفسيرها] قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون

---

(١) «تفسير العياشي» (١/ ١٦٦ - ١٦٧)، «البرهان» (١/ ٢٧٥)، «الصافي» (١/ ٢٥٣)، «الوسائل» (ج٢ أبواب الأمر بالمعروف باب ٢٣).

(٢) «تفسير العياشي» (١/ ١٩٦)، «البرهان» (١/ ٣٠٩)، «الصافي» (١/ ٢٩٠).

(٣) «تفسير العياشي» (١/ ٢١٤)، «البرهان» (١/ ٣٣٥)، «البحار» (٧/ ١٣٥).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ٣٠٦)، «البحار» للمجلسي (١٣/ ١١٦).

لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى قال: تبًّا لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قومًا من شيعتنا قبابع[1] سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوم من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم فيبلغ ذلك قومًا من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم، هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها فحكى الله قولهم[2] فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾».

هذه أمثلة لتأويلاتهم للقرآن، وتعسفهم في فهم آياته، وهو كما يرى القارئ تفسير باطني لا تربطه بالآية أدنى صلة، وكأن القرآن لم ينزل بلسان عربي مبين، ولم يجعله الله سبحانه هداية ودستورًا لخلقه أجمعين!

وبعد عرض أمثلة لتأويلاتهم الباطنية لا بد من الإشارة إلى أن هذه التأويلات الكاشفة والفاضحة لحقيقة هذه النحلة لم يقف عليها أئمة الإسلام المتقدمون؛ إما لعدم اهتمامهم بمثل هذه الأباطيل الصادرة من أناس مطيتهم الكذب حاولوا نسبة ضلالاتهم وأكاذيبهم إلى بعض أئمة أهل البيت علها تجد قبولًا لدى الأغرار والجهلة، أو لأنها كانت موضع التداول السري، ومن وقف على بعضها لم ينسبها للإثنى عشرية، وإنما ظن أنها من تأويلات الباطنية القرامطة، ويكفي أن تعرف أن شيخ الإسلام ابن تيمية مع سعة معرفته وإحاطته بهذه المذاهب نسبها إلى الباطنية، حيث قال: «من ادعى علمًا باطنًا، أو علمًا بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا، وإما جاهلًا ضالًا... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم»، ثم ذكر أمثلة لذلك، فقال: «وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

---

(١) قبعة السيف: ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد، «القاموس» مادة «قبع».

(٢) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٥٩)، «البرهان» (٢/ ٣٦٨)، «البحار» (١٣/ ٢٢٣).

[يس:١٢] أنه علي، وقوله: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢] أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠] بأنها بنو أمية»[١].

ولكن لما خرجت كتب الإثنى عشرية، وفضحتهم مطابعهم تبين أن هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الإثنى عشرية، فالتأويل المذكور للآية الأولى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ جاء عند الإثنى عشرية في خمس روايات أو أكثر[٢]، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة[٣]، وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل[٤]. وكذلك الآية الثانية: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة[٥]. وبلغت رواياتها عندهم أكثر من ثمان روايات[٦]. ومثلها الآية الثالثة: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ جاء تأويلها عند الإثنى عشرية بما قاله شيخ الإسلام في أكثر من اثنتي عشرة رواية[٧]، وتناقل هذا التأويل مجموعة من مصادرهم المعتمدة[٨]، مما يثبت أن الإثنى عشرية غارقة في الباطنية، ولكنها تجيد العمل بالتقية، وتمثل الوجه الدعائي والعلني أمام عموم المسلمين، ولذا انخدع بعضهم بظاهر كلامهم، وجهلَ حقيقتهم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية» هاشم البحراني (ص٣٢١-٣٢٣).

(٣) انظر من ذلك: «تفسير القمي» (٢/ ٢١٢)، «معاني الأخبار» لابن بابويه (ص٩٥)، «تفسير البرهان» (٤/ ٦-٧)، «تفسير الصافي» (٤/ ٢٤٧)، «تفسير شبر» (ص٤١٦).

(٤) قال السلف في تفسير الآية: إن الإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب، أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ. (انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٩١).

(٥) انظر: «البرهان» (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، «تفسير الصافي» (٢/ ٣٢٤)، «تفسير العياشي» (٢/ ٧٧-٧٨)، وانظر: «تفسير القمي» (١/ ٢٨٣).

(٦) راجع المصادر السابقة.

(٧) انظر: «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).

(٨) انظر: «تفسير القمي» (٢/ ٢١)، «تفسير العياشي» (٢/ ٢٩٧)، «تفسير الصافي» (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥)، «تفسير شبر» (ص٢٨٤)، وانظر: «مقتبس الأثر» (دائرة المعارف الشيعية) (٢٠/ ٢١).

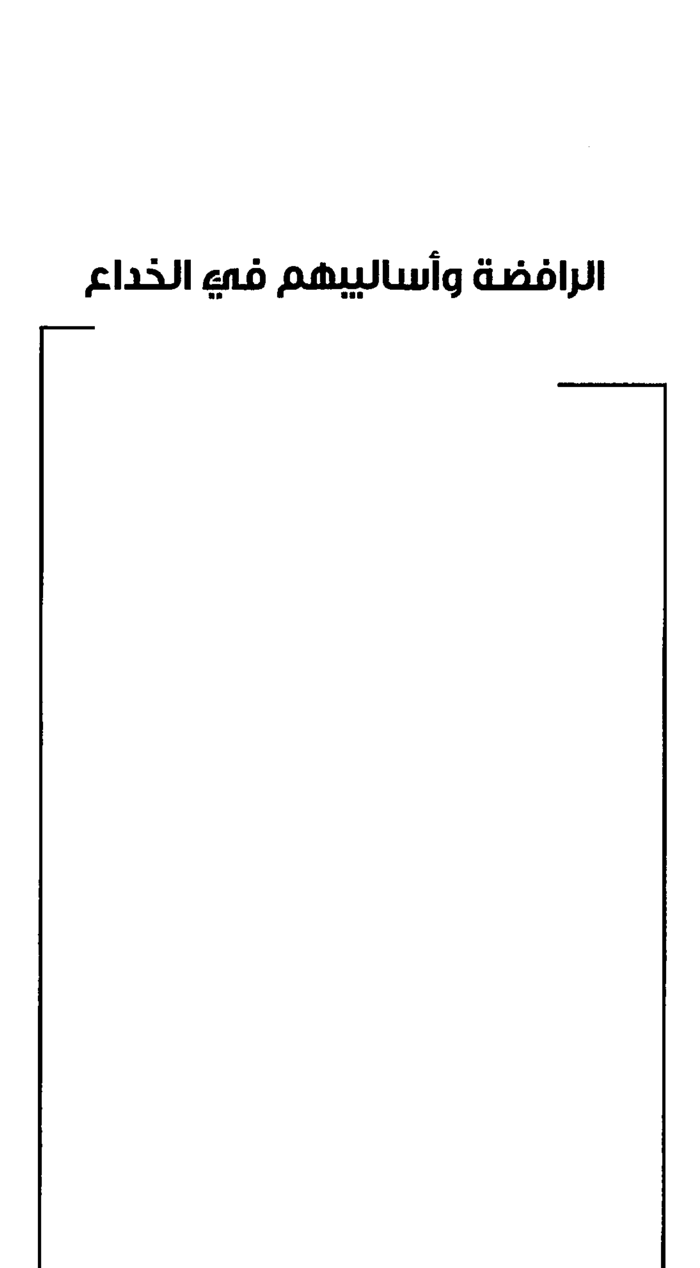
وهذه المصادر هي عمدة لدى الشيعة المعاصرين، ولذلك لا يختلف رأي المعاصرين عن الأقدمين في هذا التأويل الباطني البعيد عن روح القرآن ومقاصده وألفاظه ومعانيه، ولذا فإن شيخهم ومرجعهم المعاصر الخوئي يذهب إلى توثيق أسانيد القمي في تفسيره، ويحكم بصحة أحاديثه[1]، وتفسير القمي قد بلغ الغاية في التأويلات الباطنية لآيات القرآن، وليس ذلك فحسب، بل إنه ذهب إلى حمل ما ورد من طرقهم من روايات تقول إن الصحابة حرفوا كتاب الله على أن المراد بها أن الصحابة قد فسروا آيات القرآن على غير معانيها الحقيقية[2].

---

(١) «معجم رجال الحديث» (١/ ٦٣).

(٢) انظر للتفصيل: «أصول مذهب الشيعة» (باب: الشيعة المعاصرون وصلتهم بأسلافهم) (٣/ ٩٦٣)، «مسألة التقريب» (٢/ ٣٨).

الرافضة وأساليبهم في الخداع





أعني بالرافضة طائفة الإثنى عشرية، التي تلقب نفسها بـ: الجعفرية، والمؤمنين، والخاصة، والإمامية[1]. وهي اليوم أعظم الطوائف المنتسبة إلى التشيع مكرًا، وأكثرها جمعًا، وأخطرها مسلكًا، وتعد الطائفة الكبرى في عصرنا، وإذا أطلق لقب الشيعة اليوم لا ينصرف إلا إليها في نظر جمع من الباحثين، وما سواها زيدية أو إسماعيلية، وهي تستوطن مناطق شتى، منها: إيران، والعراق، والخليج، والهند، وغيرها. وهم يعترفون بأنهم المعنيون بلقب «الرافضة»، وحاولوا تزيين هذا اللقب لأتباعهم، فقد أورد شيخهم المجلسي في كتابه «البحار» (أحد مراجعهم في الحديث) أربعة أحاديث في مدح التسمية بالرافضة في باب سماه: «باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها»، ومن أمثلة ما ذكره في هذا الباب قوله: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر - عليه السلام -: «جعلتُ فداك، اسمٌ سمِّينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قلت: الرافضة، فقال جعفر: إن سبعين رجلًا من عسكر موسى - عليهم السلام - فلم يكن في قوم موسى أشد اجتهادًا وأشد حبًّا لهارون منهم، فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله»[2]، ففي هذا النص يقررون - وإن لم يكن له أصل تاريخي - أن اسم الرافضة كان من ألقاب اليهود ثم انتقل إليهم.

وقد ثبت أن هؤلاء المعاصرين، وبالتحديد من يتلقى دينه عما يسمونه صحاح الإمامية الثمانية، ليسوا رافضة فحسب بل هم من غلاة الرافضة لا في مقاييس أهل السنة فقط، بل في مقاييس الرافضة أنفسهم[3]. والمراجع لهذه المصادر يجد أنها دأبت على توجيه أتباعها إلى معاملة المخالفين لهم على أساس الخداع والمكر والنفاق.. ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٩].

(١) انظر ألقابهم في: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٩٩) وما بعدها.

(٢) «البحار» (٦٨/ ٩٦-٩٧)، وانظر أيضًا: «تفسير فرات» (ص١٣٩)، «المحاسن» للبرقي (ص١٥٧)، «دائرة المعارف» للأعلمي «١٨/ ٢٠٠».

(٣) انظر: «شيعة اليوم ليسوا بشيعة» دراسة منشورة بمجلة البيان (عدد ٣٣٩).

حقيقة التقية:

قال شيخهم المعاصر محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت: «التقية أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد»[1]، فهو يتظاهر أمامك بقول أو فعل يخفي به عقيدته، ويتقنع بقناع يستر به نحلته، حتى لا تقف على حقيقة مذهبه، ولا تدرك خفايا معتقده، ويرى أن فعله هذا عبادة من العبادات لا يتأثم من فعلها ولا يستحيي من تمثيلها، بل هي في نظره تسعة أعشار الدين، بل هي الإيمان كله ولا إيمان لمن لم يفعل ذلك ولا دين له، بل هو إن لم يفعلها من الخارجين عن دينهم المفارقين لجماعتهم.

ولعل هذا اللون من الاعتقاد عند هذه الطائفة لا مثيل له بين المذاهب والمعتقدات في تاريخ البشرية؛ إذ إن المعروف أن الكذب وتظاهر المرء بخلاف حقيقته سبة وعار، وجبن وخور، ونفاق وكذب صراح، وغاية الأمر أنه يسوغ في حالة الخوف والإكراه من باب الاضطرار، أما أن يكون عادة جارية وخلقًا ثابتًا، بل عملًا شريفًا ودينًا مفروضًا في حال الاختيار، فلا وجود لهذا المفهوم إلا في دين الرافضة ومعتقداتهم.

ومن أراد أن يعرف تقيتهم فليستمع إلى ما يقولون، وليرَ ما يصنعون، وليأخذ الحقيقة من أفواههم ليراها جلية واضحة منقولة من المعتمد من مصادرهم، فقد أجرى الله على ألسنتهم ما يكشف سترهم، ويهتك أستارهم، ويفضح أمرهم؛ لأنهم - كما يعترفون - مبتلون بـ«النَّزَق[2] وقلة الكتمان»[3]، فقد قالوا في شأن تقيتهم وبيان منزلتها ومكانتها في اعتقادهم، وذلك في كتابهم المعتمد لديهم الذي يسمونه «دين الإمامية»: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله وعن دين

(١) «الشيعة في الميزان» (ص٤٨).

(٢) نزق نزقًا من باب تعب: خف وطاش (المصباح المنير: ص٧٣٤).

(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة»[1]، فترى أنهم يفرضون على أتباعهم استخدام التقية في تعاملهم ويحكمون على من تركها بالكفر والخروج عن دينهم، ولا يجعلون لاستمرار العمل بالتقية نهاية إلا إذا رجع مهديهم - الملقب عندهم بالقائم - من غيبته، ومهديهم لا وجود له إلا في خيالاتهم، فإذن تقيتهم لا تنتهي ما دام لهم وجود على هذه الأرض.

والدعوة في نصوصهم إلى العمل بالتقية تأخذ ألوانًا من الترغيب، وأشكالًا من الترهيب، فمرة يصفونها بأنها أعظم فرائض الدين، فيقولون: «أعظم فرائض الله عليكم - بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائنا - استعمال التقية»[2]، وترك التقية عندهم كترك الصلاة: «تارك التقية كتارك الصلاة»[3]، وحينًا يصفونها بالذنب الذي لا يغفر: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان»[4]، ومرة ثالثة يحكمون على من تركها ولم يجعلها عادة له بأنه ليس منهم، فيقولون: «ليس منا من لم يلزم التقية، ويصوننا عن سفلة الرعية»[5]، ويقولون: «عليكم بالتقية؛ فإنه ليس منا من لم يجعل شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره»[6]. وحينًا يحكمون على تاركها بأنه لا دين له ولا إيمان: «لا دين لمن لا تقية له»[7]، «لا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله عز وجل أعملكم بالتقية قبل خروج قائمنا، من تركها قبل خروج قائمنا فليس منا»[8].

---

(١) «الاعتقادات» (ص١١٤-١١٥).

(٢) «بحار الأنوار» (٥٧/ ٤٩)، «تفسير الحسن العسكري» (٢٣٨).

(٣) «جامع الأخبار» (ص١١٠)، «بحار الأنوار» ٧٢/ ٤١٢.

(٤) «تفسير الحسن العسكري» (ص١٣٠)، «وسائل الشيعة» (١١/ ٤٧٤)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤١٥).

(٥) «أمالي الطوسي» (١/ ٢٨٧)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٥).

(٦) «أمالي الطوسي» (١/ ٢٨٧)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٥).

(٧) «الخصال» (١/ ١٤)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٤).

(٨) «كمال الدين» لابن بابويه (٢/ ٤٢)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٦).

وفي مجال الترغيب تتنوع الإغراءات، وتتعدد الوعود، فهي مرة أفضل عبادة لله: «ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخب» (يعني التقية)[1]. وهي طريقة المرسلين أجمعين: «عليك بالتقية؛ فإنها سنة إبراهيم... وموسى وهارون»[2].

وهي أحب شيء إلى أهل بيت رسول الله ولزومها سبب العزة والإعراض عنها سبب الهوان، عن حبيب بن بشر قال: «قال لي أبو عبد الله: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله»[3]، «وتسعة أعشار الدين في التقية»[4]، و«لا خير فيمن لا تقية له»[5]، «ما من شيء أقر لعين أبيك من التقية»[6].

وإنما فضل الأنبياء - بحسب زعمهم - بالتقية: «إن الأنبياء إنما فضلهم الله على خلقه بشدة مداراتهم لأعداء الله وحسن تقيتهم»[7].

والرافضي مدعو في ظل أحكام التقية الدائمة إلى مشاركة عموم المسلمين في صيامهم وصلاتهم وأعمالهم، مع البراءة منهم ومن أعمالهم في الباطن، قالوا: «وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر وليًّا، ثم مَنَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله، ويظهر له استعمال ذلك موسعًا عليه فيه، وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأمة، فالله تعالى قال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ

---

(١) «معاني الأخبار» (١٦٢)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٦).
(٢) انظر: «معاني الأخبار» (٣٨٦)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٦).
(٣) «المحاسن» (٢٥٦)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٨).
(٤) «المحاسن» (٢٥٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠٧).
(٥) «علل الشرائع» (١/ ٤٨)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٩).
(٦) «المحاسن» (٢٥٧)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٨).
(٧) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠١).

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨] فهذه رخصة تفضل الله بها على عباده المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر»[1]. فهو مدعو لأن يصلي بصلاتهم والاقتداء بهم «من صلى خلف المنافقين [يعنون المسلمين] تقية كمن صلى خلف الأئمة»[2]، لاحظ أنهم يعنون بالكافر هنا المسلم، ولذلك قال: «أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلي بصلاته ويعمل بعمله»، ولا يصلي إلا المسلم، كما يعنون بالمؤمن من يدين بدينهم؛ لأن مصطلح المؤمن في مفهومهم لا ينصرف إلا إليهم، كحال اليهود الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:٨١].

وقد صورت بعض نصوصهم حقيقة مخالفة المسلمين، داعية كل أتباعهم للالتزام بها، بقولهم: «خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»[3]. ويقولون: «خالطوهم بالبرانية[4]، وخالفوهم بالجوانية[5]، إذا كانت الإمرة صبيانية[6]»[7]. فهم يعيشون وسط المجتمع المسلم وفي ظل الحكومة الإسلامية ظواهرهم مع المسلمين، وقلوبهم وبواطنهم وعواطفهم وتآمرهم مع أعدائهم، فهم عين وعون ورِدْءٌ لأعداء المسلمين على المسلمين.

وربما باحوا بمرادهم بالرمز والإشارة أو باللغة والعبارة الباطنية، ولكن لأتباعهم ولمن يفهم خطابهم من شيعتهم، ونصوصهم في هذا الباب كثيرة وأقوال شيوخهم مستفيضة،

---

(١) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٩٠-٣٩١).

(٢) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤١٢).

(٣) «مجالس المفيد» (٨٥)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤١٠).

(٤) البرانية: العلانية (هامش «الكافي» ٢/ ٢٢٠).

(٥) الجوانية: السر والباطن (المصدر السابق).

(٦) معنى قولهم: «إذا كانت الإمرة صبيانية»: أنه إذا كان الحكم بيد غيرهم والإمارة ليست لشيعتهم، فيكتفون ببراءة القلب والتظاهر (بأقوالهم وأفعالهم) أمام الآخرين بخلاف ما يعتقدون.

(٧) «أصول الكافي» (٢/ ٢٢٠).

حيث تجد في كتبهم المعتمدة أبوابًا لهذه العقيدة لا تجدها في كتب المسلمين؛ ففي «الكافي» أهم مصدر لهم في الحديث والرواية باب بعنوان: «باب التقية» وفيه ٢٣ حديثًا لهم[١]، وباب ثان بعنوان «باب الكتمان» ذكر فيه ١٦ حديثًا تأمر بكتمان الاعتقاد والمفاصلة الشعورية والعقدية للمسلمين، وباب ثالث بعنوان «باب الإذاعة» يتضمن ١٢ حديثًا تحذر من إذاعة أمرهم، وتأمر بكتمان دينهم، وتوجه أتباعهم إلى التعامل مع مخالفيهم وفق أحكام التقية.

وتسير على طريقة «الكافي» كتب الرواية الأخرى المعتمدة عند هذه الطائفة، ففي «البحار» - الذي قال عنه بعض شيوخهم المعاصرين: إنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب - باب عنوانه «باب التقية والمداراة» ذكر فيه مائة وتسعة أحاديث تقرر هذا المذهب الخطير، بل وتفرضه وتوجه الأتباع إلى أساليب استعماله.

والملاحظ أن كتمانهم وتقيتهم تجري في الغالب مع المسلمين، وربما ترتفع مع الزنادقة الملحدين، وإذا قرأت ذلك الحوار الذي سجله أحد شيوخهم وادعى وقوعه بين أحد الزنادقة وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه - وأمير المؤمنين علي بريء من هذا الافتراء - أدركت أنهم ربما لا ينطلقون على سجيتهم ولا يصرحون بالحقيقة إلا في جو الإلحاد وكهوف الزنادقة[٢]، ومن قبل قال أحد الدعاة الإسماعيليين: «لا تتكلم في بيت فيه سراج» يعني فقيهًا أو طالب علم[٣].

وقرر شيخهم المفيد أن عصر الخلافة الراشدة هو عهد تقية، وأن حال الشيعة فيه كحال الرسول مع أهل الجاهلية[٤]، فكيف يكون حالهم مع من جاء بعدهم من حكام المسلمين؟! بل نصوصهم التي تأمر بالتقية وتلزم بالكتمان ينسبونها - زورًا وافتراءً - لبعض أئمة أهل

---

(١) انظر: «الكافي» (٢/ ٢١٧- ٢٢١).

(٢) انظر: نص الحوار المزعوم في «الاحتجاج» لشيخهم الطبرسي (٢٤٩-٢٥٤)، وينظر: فقرات منه مع التعليق عليه في «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٢٥٠) وما بعدها.

(٣) ينظر: مراتب الدعوة عند الإسماعيلية في كتب الفرق (الفرق بين الفرق ص٢٩٨، فضائح الباطنية ص٢١).

(٤) انظر: نص المفيد في «الإرشاد» (ص١٢)، وقد نقلته بنصه في «مسألة التقريب» (٢/ ١٢٤).

البيت الذين كانوا يعيشون في زمن القرون المفضلة وفي ظل الخلافة الإسلامية، أي أن القرون المفضلة عندهم هي فترة تقية، وتؤكد طائفة من وصاياهم وتقريرات شيوخهم أن تعامل عموم الشيعة مع الصفوة المختارة من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة يجب أن يتم وفق أصول التقية وأساليبها الخادعة. فقد جاء في أجمع كتاب لهم في الأحكام وأحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية وهو «وسائل الشيعة» باب بعنوان «باب وجوب عشرة العامة [أهل السنة] بالتقية»[1].

وكلما كان الرجل عندهم أقدر على الخداع والكذب وأبرع في التقية والمخادعة كلما ارتفع قدره لديهم[2]، ولذلك يشيد بعض شيوخهم المعاصرين بطريقة الحسين بن روح (المتوفى سنة ٣٢٦هـ، وهو أحد زعمائهم السريين وأحد الأبواب الأربعة) في طريقة تعامله مع أهل السنة وفق طقوس التقية فيقول: «كان من مسلكه الالتزام بالتقية المضاعفة بنحو ملفت للنظر بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة»[3].

نماذج من أساليب التقية:

إليك نموذجًا من طريقته لتدرك إلى أي مدى يمكن أن يذهب الشيعي في عمله بالتقية، وكيف يخادعون أهل السنة ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتندرون فيما بينهم بغفلة كثير من أهل السنة عن حقيقة مكرهم، وتصديقهم لنفاقهم وانخداعهم بكذبهم وتقيتهم.

جاء في «الغيبة» للطوسي - وهو شيخ الطائفة على الإطلاق، وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرواية، وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرجال -: «عن عبد الله بن غالب قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ القاسم الحسين بن روح[4]،

(١) «وسائل الشيعة» (١١/ ٤٧٠).

(٢) قد شاع في أسمائهم لقب «تقي» من التقية لا من التقوى نسبة لبراعة صاحبه في التقية.

(٣) «تاريخ الغيبة الصغرى» لمحمد الصدر (٤١١).

(٤) يعدونه أحد الأبواب التي لا يوصل للمهدي إلا بواسطتها إبان فترة ما يسمونه بالغيبة الصغرى.

ولعهدي به يومًا في دار ابن يسار وكان له محل عند السيد المقتدر عظيم وكانت العامة أيضًا تعظمه، وعهدي به وقد تناظر اثنان فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ثم عمر ثم علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجبًا من هذا القول، وكاد العامة (يعني أهل السنة) الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض، فوقع عليّ الضحك، فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي، وأدس كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح فوثبت عن المجلس، ونظر إليّ ففطن بي، فلما حصلت في منزلي فإذا الباب يطرق، فخرجت مبادرًا فإذا بأبي القاسم الحسين بن روح راكبًا بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي: يا أبا عبد الله - أيدك الله - لم ضحكت؟ فأردت أن تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق، فقلت: كذلك هو عندي، فقال لي: اتق الله أيها الشيخ؛ فإني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني؟ فقلت: يا سيدي، رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول لا يتعجب منه ولا يضحك من قوله هذا؟ فقال لي: وحياتك[١] لئن عدت لأهجرنك، وودعني وانصرف»[٢].

نقلنا هذا النص برغم طوله، وهو وإن كان في مسألة تهون بالنسبة لما لديهم من الفظائع والعظائم، لكنها تنبئ عن مسلكهم في سائر معتقداتهم، وليدرك القارئ حجم الكيد والكذب، وصفاقة المكر والمخادعة، والجرأة على التلون والمصانعة، ومع ذلك فإن عقلية ملالي هذه الطائفة المعاصرين تؤيد هذا النفاق وتشيد به وتدعو لترسم منهجه، فقد أشاد شيخهم محمد الصدر بهذا المنهج في الخداع، حيث نقل هذه الحادثة عن ابن روح مؤيدًا

(١) هذا اليمين من الشرك الأصغر، ولكن ما عند هؤلاء أكبر وأخطر، وإنما هذا التنبيه للقارئ العادي.

(٢) انظر: «الغيبة» للطوسي (٢٣٦-٢٣٧)، «بحار الأنوار» (٥١/ ٣٥٧).

لمنهجه مثنيًا على مسلكه[1].

وتعرض مصادر الشيعة الرافضة صورًا تطبيقية للمخادعة تأخذ شكل الموالاة والموافقة في الظاهر، وهي في باطنها ضد ذلك تمامًا، وذلك لتعليم عموم أتباعهم هذا المسلك وتربيتهم على هذا المنهج. فقد ورد في المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب عندهم - كما يقولون - وأحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الرواية «بحار الأنوار» المشهد التالي:

يتقدم بعض أهل السنة إلى أحد الروافض بسؤال ليتحقق من معتقده، ليتسنى له حينئذ بيان الحق له وكشف الغمة عنه، فيسأله عن العشرة المبشرين بالجنة الذين تواتر فضلهم واستفاض في النصوص الثناء عليهم. قائلًا: ما تقول في العشرة من الصحابة؟

قال (الرافضي): أقول فيهم الخير الجميل الذي يحبط الله به سيئاتي ويرفع به درجاتي.

قال السائل (السني): الحمد لله على ما أنقذني من بغضك، كنت أظنك رافضيًّا تبغض الصحابة.

وكان من المتوقع أن يسكت الرافضي ويكتفي باقتناع السني، لكنه أردف قائلًا: «ألا من أبغض واحدًا من الصحابة فعليه لعنة الله». فشك السني حينئذ واستراب من جواب الرافضي وانتقاله في تأكيد الجواب من التخصيص إلى التعميم، ومن الترضي أو الثناء على العشرة المبشرين إلى عموم الصحابة أجمعين، وهو ما لا يرد في معتقد هؤلاء الروافض أجمعين، فظن أن جوابه ورد مورد التقية، وقال: «لعلك تتأول»، فأعاد عليه السؤال قائلًا: «ما تقول فيمن أبغض العشرة من الصحابة؟» فقال الرافضي: «من أبغض العشرة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، فما كان من السني - كما يقول خبرهم - إلا أن وثب يقبل رأسه وقال: «اجعلني في حل مما قذفتك به من الرفض قبل اليوم»، قال: أنت في حل وأنت أخي»، ثم انصرف السائل.

(١) «تاريخ الغيبة الصغرى» (ص٣٨٥).

هذه المحاورة شهدها كما تقول الرواية أحد أئمتهم فقال: «جودت! لله درك، لقد عجبت الملائكة في السماوات من حسن توريتك وتلطفك مما خلصك الله، ولم يثلم دينك، وزادك الله في مخالفينا غمًا إلى غم، وحجب عنهم مراد منتحلي مودتنا في تقيتهم».

إلا أن هذا الأسلوب في التقية والمراوغة كان من الخفاء إلى درجة أن وجه التقية فيه أشكل على بعض الحاضرين من أتباعهم، فقالوا: بعد سماعهم لثناء الإمام على هذه المصانعة الكاذبة: يا ابن رسول الله ما عقلنا من الكلام إلا موافقة صاحبنا لهذا المتعنت الناصب. فأجابهم إمامهم قائلًا: لئن كنتم لم تفهموا ما عنى فقد فهمنا نحن. وقد شكر الله له، إن الموالي لأوليائنا المعادي لأعدائنا إذا ابتلاه بمن يمتحنه من مخالفيه وفقه لجواب يسلم معه دينه وعرضه، ويعظم الله بالتقية ثوابه، إن صاحبكم هذا قال: من عاب واحدًا منهم فعليه لعنة الله، أي من عاب واحدًا منهم وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقال في الثانية: من عابهم أو شتمهم فعليه لعنة الله، وقد صدق؛ لأن من عابهم فقد عاب عليًا - عليه السلام - لأنه أحدهم، فإذا لم يعب عليًا ولم يذمه، لم يعبهم، وإنما عاب بعضهم»[1].

وتصف أخبارهم حالة رجل رافضي تظاهر بأنه تاب من الرفض وعاد إلى المذهب الحق، وحين جيء به بين يدي الناس في بغداد ليشهدوا توبته - كما يزعمون - نودي: «معاشر الناس اسمعوا توبة هذا الرافضي. ثم يقولون له: قل، فقال: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبا بكر». فلما «فعل ذلك ضجوا وقالوا: قد طاب[2]، وفضل أبا بكر على علي بن أبي طالب». وحين تنقل هذه الحادثة لأحد أئمتهم يطلب من الناقل أن يعيد عليه الحديث في وقت آخر قائلًا: «إذا خلوت فأعد عليَّ هذا الحديث، فلما خلا أعاد عليه، فقال: إنما لم أفسر لك معنى كلام هذا الرجل بحضرة هذا الخلق المنكوس كراهة أن ينتقلوا إليه فيعرفوه ويؤذوه، لم يقل الرجل: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، فيكون قد فضل أبا بكر على علي بن أبي طالب

(١) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠٢).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها (تاب).

عليه السلام، ولكن قال: خير الناس بعد رسول الله أبا بكر. فجعله نداء لأبي بكر، ليرضى من يمشي بين يديه من بعض هؤلاء ليتوارى من شرورهم، إن الله جعل هذه التورية مما رحم به شيعتنا ومحبينا»[1].

ثم يمضي صاحب «البحار» يذكر صورًا من الخداع والاحتيال، فهذا أحد الروافض يُسأل: من خير الناس بعد رسول الله؟ فيبادر بالإجابة قائلًا: «أخير الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر وعثمان» فلا يذكر أمير المؤمنين عليًّا، فيقول سامعوه: «إن هذا أشد تعصبًا للسنة منا قد غلطنا عليه».

لكنه يفصح عن مراده لخاصته فيقول: «إنما أردت أخير الناس أي أهو خير؟ استفهامًا لا إخبارًا»، فقال له إمامه مثنيًا عليه وعلى طريقته في خداع أهل السنة: «قد شكر الله لك بجوابك هذا لهم، وكتب لك أجره، وأثبته لك في الكتاب الحكيم، وأوجب لك بكل حرف من حروف ألفاظك بجوابك لهذا لهم ما يعجز عنه أماني المتمنين ولا يبلغه آمال الآملين»[2].

وهذا رافضي آخر يبلغ به الأمر أن يُلقن الجواب فيستجيب للتلقين، ويُطلب منه القسم على صدقه فيقسم القسم المغلظ على ذلك، ولكنه في الحقيقة يكذب، أما كيف يخادع ويحتال ويظهر الكذب بصورة الصدق فاستمع إليه يروي ويكشف طريقته في الخداع قائلًا:

«قال لي بعضهم: أجب عما ألقنك، قلت: قل، فقال لي: أتقول: إن أبا بكر بن أبي قحافة هو إمام حق عدل، ولم يكن لعلي في الإمامة حق ألبتة؟ فقلت: نعم - وأريد نعمًا من الأنعام [الإبل والبقر والغنم] فقال: لا أقنع بهذا حتى تحلف، قل: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب المدرك المهلك، يعلم من السر ما يعلم من العلانية، فقلت: نعم - وأريد نعمًا من الأنعام - فقال: لا أقنع إلا بأن تقول: أبو بكر بن أبي قحافة إمام - أي هو إمام من ائتم به

---

(١) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٢) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠٥).

واتخذه إمامًا - والله الذي لا إله إلا هو.. ومضيت في صفات الله، فقنعوا بهذا مني وجزوني خيرًا ونجوت منهم»[1].

ثم يسأل إمامه عن حاله بعد هذه التقية التي هي في مقاييسهم تسعة أعشار الدين (لأنها خداع للمسلمين) قائلًا: «فكيف حالي عند الله؟ قال: خير حال، قد أوجب الله لك مرافقتنا في أعلى عليين لحسن يقينك»[2].

ثم تذكر بعض تعاليمهم طريقة للقسم الكاذب أمام أهل السنة فتقول لكل شيعي: «فإذا قالوا [أي أهل السنة وقضاتهم] قل: والله، فقل: والله[3]، ولكن تريد به ولي في أمر كذا، فإنهم [أي أهل السنة] لا يميزون».

ثم تقول تعاليمهم: «فإن تنبه السني إلى أنك لم تنطق الهاء، وقال لك: «قل والله وبين الهاء» - فعليك حينئذ أيها الشيعي أن تسلك مسلكًا آخر في الخداع فتقول: «والله برفع الهاء فإنه لا يكون يمينًا إذا لم تخفض الهاء»[4].

ويذكر أحد الروافض أنه أرشد أحد أصحابه لتطبيق هذا المبدأ فطبقه تمامًا.. وتم نقل ذلك لإمامهم.. فأثنى عليهما معًا قائلًا: «الدال على الخير كفاعله، وقد كتب الله لصاحبك بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا وموالينا ومحبينا حسنة، وبعدد من ترك التقية حسنة، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت، ولك لإرشادك إياه مثل ما له»[5].

---

(١) «البحار» (٧٢/ ٤٠٥-٤٠٦).
(٢) «البحار» (٧٢/ ٤٠٦).
(٣) كذا في المصدر السابق، ولعلها (ولي) بدليل ما بعده.
(٤) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤٠٦)، «تفسير الحسن العسكري» (١٤٥).
(٥) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

انظر إلى توجيه الأتباع إلى خداع المسلمين بشتى الوسائل، وتأمل كيف يعدون هذا الصنيع كفيلًا بمغفرة ذنوبه طيلة حياته كلها وأكثر من ذلك.

على أن هذه التعاليم لا يلزم التقيد بها في كل حالة، إذ لو أقسم بلا تورية تقية ومخادعة لم يخرج عن دائرة التقية[1]، فقالوا: «إذا حلف الرجل بالله تقية لم يضره، وبالطلاق والعتاق أيضًا لا يضره»[2]. ومبدأ التقية يلزم تطبيقه والعمل به من كل شيعي يعيش في ظل دولة غير شيعية، ولذلك قالوا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية»[3]. ودولة الباطل عندهم هي كل دولة لا تخضع لحكم الإمام أو نائبه الولي الفقيه.

ولا أمد لانتهاء العمل بالتقية، بل يستمر توظيفها في التعامل مع الآخرين إلى أن يخرج منتظرهم المزعوم، ويجبر الناس بقوة الحديد والنار على الدخول في ملتهم، ولذلك قرروا في كتابهم الاعتقادات المسمى «دين الإمامية» وجوب استمرار العمل بالتقية إلى وقت خروج مهديهم، وأن من تركها قبل ذلك، فقد خرج عن دينهم[4]، كما سبق نقل نصه بحروفه.

(١) حدثني العلامة صالح بن غصون (وكان قاضيًا في المنطقة الشرقية) أنه قد نظر في دعوى أطرافها أو أحدهم رافضي، وقد توجهت اليمين للرافضي، فرأى استعداده لأداء اليمين، وقد تبين للشيخ أنه ليس بمحق في دعواه، فقال: أريدك أن تقول: إنني أبرأ من علي والحسن والحسين وفاطمة إن كنت كاذبًا، فرفض أن يقول ذلك، ونكل؛ لأن مقام هؤلاء بحسب عقيدة هذا الرافضي ودينه أعظم من الله، ومع ذلك فقد ذكر لي الشيخ أنهم يرغبون في التحاكم إلى قضاة السنة أكثر من رغبتهم في التحاكم إلى شيوخهم وعلمائهم!

قلت: لأنهم يوقنون في قرارة أنفسهم بعدل أهل السنة وإنصافهم، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم يقولون: «أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا» (منهاج السنة ٥/ ١٥٧-١٥٨)، وقد جاء في «الكافي» الإقرار بهذه الحقيقة على لسان أحدهم، وهو عبد الله بن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانًا وفلانًا (يعني أبا بكر وعمر، وهو يشير بهذا لأهل السنة) لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم (يعني الشيعة) ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟ (أصول الكافي ١/ ٣٧٥).

(٢) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤١١).

(٣) «جامع الأخبار» (١١٠)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٤١٢).

(٤) «الاعتقادات» (١١٤-١١٥).

ومن فروع هذه التقية والخداع تشريعهم لمبدأ الدخول الشكلي في الحكومات بمعنى أن يشارك الرافضي في أي حكومة مسلمة مجرد مشاركة صورية، لكن عمله الحقيقي هو لمصلحة نحلته[١]، ولذلك أثنى الخميني على أحد أتباعهم وهو المدعو علي بن يقطين لدخوله الشكلي - كما يعبر - في الدولة الإسلامية لنصرة نحلتهم[٢]. وعلي بن يقطين هذا الذي يشير إليه خميني هو أحد وزراء هارون الرشيد المتبرقعين بالتقية، ولكنه في الأخير انكشف أمره، فقد ذكر الطبري أنه قتل على الزندقة[٣]، كما كشفت وثائق الروافض أن ابن يقطين هذا هو الذي قتل في ليلة واحدة خمسمائة مسلم، فقد ذكر شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» هذه الجريمة المروعة مفتخرًا بها وفرحًا، فيحكي الجزائري أن ابن يقطين تمكن بحيلة لم تكتشف من قتل خمسمائة مسلم في يوم واحد فيقول: «إن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين فأمر غلمانه وهدموا أسقف المحبس على المحبوسين، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبًا»[٤].

وتزعم كتب الرافضة أن الرئيس السري لخليتهم كان يوصي علي بن يقطين بعدم التخلي عن منصبه بأي حال: «عن علي بن يقطين أنه كتب إلى أبي الحسن موسى: إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان - وكان وزيرًا لهارون - فإن أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه، فرجع الجواب: لا آذن لك بالخروج من عملهم»[٥].

مع أنهم يقررون أن من تعاون مع الحكام المسلمين الذي يصفونهم بالظالمين حشر معهم، يقولون: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوانهم؟ من لاق لهم دواة أو ربط لهم

(١) انظر: «الدخول الشكلي في الحكومات» دراسة منشورة بمجلة البيان (عدد ٣٣٨).
(٢) انظر: «الحكومة الإسلامية» (١٤٢).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١٩٠).
(٤) انظر: «الأنوار النعمانية» (٢/ ٣٠٨).
(٥) «قرب الإسناد» (١٢٦)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٧٠).

كيسًا أو مدَّ لهم مدَّة قلم فاحشروهم معهم»[1].

والتعاون مع الحكام المسلمين بدون إضمار الكيد لهم والتربص بهم ونية نفع الرافضة والإضرار بمخالفيهم هو عديل الكفر، يقولون: «الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر»[2].

ويمكن للرافضي أن يعيش مع أهل السنة وكأنه منهم عقيدة ومسلكًا، وذلك بمقتضى عقيدة التقية، مع أن عقيدة التقية وفق المفهوم الشيعي لا حقيقة لها سوى الكذب والنفاق، وهي افتراء على الله ورسوله وأهل بيته ودين الإسلام.

ولذا يرى بعض أئمة السنة أن أصحاب عقيدة التقية هم شر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن ما يظهرون من دين الإسلام هو الباطل، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة[3].

ومن مكرهم أنهم سموا كذبهم وخداعهم ونفاقهم «تقية» حتى يتوهم من يسمعها أنها «التقية» الشرعية، مع أن تقيتهم ليس لها صلة بالتقية الشرعية إلا في الاسم، فإن التقية الشرعية في الإسلام رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها الله - سبحانه - من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال سبحانه: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهى الله تعالى عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

(١) «ثواب الأعمال» (٢٣٢)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٧٢).

(٢) «تفسير العياشي» ١/ ٢٣٨، «بحار الأنوار» (٧٢/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «رسالة في علم الظاهر والباطن» لابن تيمية (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ٢٤٨).

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[1].

ولا تكون إلا مع الكفار، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، قال ابن جرير الطبري: «التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم»[2]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: «كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أيتقوا منهم تقاة؟!»[3].

أما تقية الرافضة فهي خداع المسلمين وغشهم، بل هي النفاق بعينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحًا الفرق بين تقية النفاق، والتقية في الإسلام: «التقاة... ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه.. فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر»[4]، أي: فيعذره الله في ذلك، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧١)، وراجع في هذا المعنى كتب التفسير في سورة آل عمران آية (٢٨)، والنحل آية (١٠٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٦/ ٣١٦ تحقيق شاكر).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٥٧)، «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٣٣١).

(٤) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢٤).

ثم ذكر أن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطرًا ويكتم إيمانه يعاملهم - بمقتضى الإيمان الذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارًا، بخلاف الرافضي الذي لا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه[1].

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢٥).

تناقض المذهب برهان بطلانه
«الرافضة نموذجًا»

لقد أخبرنا الله جل وعلا أن ما جاء من عنده سبحانه لا اختلاف فيه ولا تناقض، وما كان من وضع البشر فسيجد فيه الناس اختلافًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، قال ابن عباس: «يريد لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وباطل»[(١)].

وقد قرر أهل العلم أن التناقض علامة على كذب الدعوى وعدم صدق المدعي.

ولذا كان من مناهج العلماء في نقد المذاهب المخالفة والحوار مع المخالفين إثبات تناقض المخالف وبيان الاختلاف والتضاد بين أقواله. وقد اعتمد عليه كثيرًا شيخ الإسلام ابن تيمية في حواره ونقده للمخالفين من الباطنية والجهمية والمعتزلة وغيرهم.

إن إبراز التناقض والتضاد في مقالات المخالفين لهو من الوسائل المهمة في كشف الباطل وفضح دعاته، وكل الفرق التي انحرفت عن جادة أهل السنة كان نصيبها من التناقض بقدر انحرافها وضلالها، وكانت الرافضة (الإمامية الإثنى عشرية) هي أكثر الطوائف تناقضًا، وكان تناقضها باديًا ظاهرًا على رؤوس الأشهاد، جزاء وفاقًا لكذبهم وافترائهم، حتى صار دينهم كما يقول ابن تيمية: «من أفسد أقوال طوائف الأمة؛ فإنه ليس معهم حجة شرعية ولا عقلية»[(٢)].

ومن صور تناقضهم أنهم «لفرط جهلهم وهواهم يقلبون الحقائق في المنقول والمعقول، فيأتون إلى الأمور التي وقعت وعلم أنها وقعت فيقولون: ما وقعت، وإلى أمور ما كانت ويعلم أنها ما كانت فيقولون: كانت، ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح فيقولون: هي فساد، وإلى الأمور التي هي فساد فيقولون: هي خير وصلاح؛ فليس لهم لا عقل ولا نقل»[(٣)]، «فهم دائمًا يعمدون إلى الأمور المعلومة المتواترة ينكرونها، وإلى الأمور المعدومة

(١) «التفسير البسيط» (٦/ ٦٣٠) للواحدي.
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٢٥٩).
(٣) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٢١).

التي لا حقيقة لها يثبتونها، فلهم أوفر نصيب من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ [العنكبوت: ٦٨] فهم يفترون الكذب، ويكذبون بالحق»[١]، «ولهذا صار الرفض مأوى الزنادقة الملحدين من الغالية والمعطلة، كالنصيرية والإسماعيلية ونحوهم»[٢].

بل إن سبب إلحاد الملاحدة ظنهم أن ما عليه الرافضة هو الإسلام، فشكوا في الإسلام ذاته، فجو التشيع مناخ خصب لمختلف النحل والأهواء، وقد سجل محب الدين الخطيب أن التشيع كان عاملًا من عوامل انتشار الشيوعية والبهائية في إيران[٣].

وقد انتهى شيخ الإسلام ابن تيمية في حواره معهم إلى أن «الإمامية لا يرجعون في شيء مما ينفردون به عن الجمهور إلى الحجة أصلًا؛ لا عقلية ولا سمعية، ولا نص ولا إجماع؛ وإنما عمدتهم دعوى نقل مكذوب يعلم أنه كذب، أو دعوى دلالة نص، أو قياس يعلم أنه لا دلالة له»[٤].

وقد أقض مضاجع الروافض هذا التناقض، وكان من أسباب تخلي كثير منهم عن نحلتهم، ولذا حاولوا الخروج عنه ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة فما زادهم ذلك إلا تناقضًا واختلافًا.

استمع إلى أحد من كان من كبار أتباعهم[٥]، وهو يشرح بعض حيلهم للخروج من هذا التناقض، إذ يقول: «إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٤٩٣).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٢١٩).

(٣) «الخطوط العريضة» (ص٤٤-٤٥).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٣٤٣).

(٥) هو سليمان بن جرير الذي خرج من نحلة الرافضة وتبعه جماعة، واعتنق مذهب الزيدية، وتنسب له فرقة السليمانية أو الجريرية من الزيدية.

أئمتهم على كذب أبدًا، وهما: القول بالبداء، وإجازة التقية»، ثم كشف من خلال حياته في المجتمع الشيعي، ومخالطته لهم كيف يتخذون من عقيدة البداء وسيلة للتستر على كذبهم في دعوى علم الأئمة للغيب فقال: «إن أئمتهم[1] لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد، وقالوا لشيعتهم: إنه سيكون غدًا وفي غابر الأيام كذا وكذا، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه، قالوا لهم: ألم نعلمكم أن هذا يكون، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوه، قالوا لشيعتهم: بدا لله[2] في ذلك فلم يكوِّنه، وأما التقية فإنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين، فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة بتقادم العهد وتفاوت الأوقات؛ لأن مسائلهم لم ترو في يوم واحد، ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة، وأشهر متباينة، وأوقات متفرقة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة مرة عدة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا إليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوهم عنه، وأنكروه عليهم، فقالوا: من أين هذا الاختلاف؟ وكيف جاز ذلك؟! قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أحببنا وكيف شئنا؛ لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم بما يصلحكم، وما فيه بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم. فمتى يظهر من هؤلاء على كذب؟! ومتى يعرف لهم حق من باطل؟!»[3].

---

(١) الحقيقة أنه من افتراء الزنادقة ونسبتهم الأكاذيب إلى الأئمة علها تجد القبول، وأئمة أهل البيت من هذه الضلالات براء.

(٢) انظر في معنى البداء: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٩٣٧)، «مسألة التقريب» (١/ ٣٤٤).

(٣) «المقالات والفِرَق» للقمي (ص٧٨)، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص٦٤-٦٥)، وانظر في هذا المعنى: «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» للرازي (ص٢٤٩).

فتأمل كيف يحاولون الخروج من تناقضهم في الأخبار بدعوى البداء الذي يستلزم نسبة الجهل إلى الله - تعالى وتقدس -، فحاولوا الخروج من الجهل فوقعوا في الكفر والنفاق، وتأمل كيف يحاولون الخروج من جهلهم في الأحكام وتناقض الفتاوى الصادرة منهم بدعوى التقية، وأن هذا أمر مقصود، كما يقول سليمان بن جرير الذي خرج من دين الإثنى عشرية واعتنق مذهب الزيدية، وأسس فرقة تنتسب إليه، لكنه ينسب هاتين المقالتين المبنيتين على المكر والخداع إلى بعض أهل البيت، والحق أن ذلك من أولئك الزنادقة المنتسبين إلى أهل البيت لأكل أموال الناس بالباطل.

وجاء في كتابهم «بحار الأنوار» الذي يقول عنه أحد شيوخهم المعاصرين: إنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب[1]. وعدوه أحد المصادر المعتمدة في التلقي ما نصه عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبد الله فسألته عن مسألة فأجابني فيها بجواب، فأنا جالس إذ دخل رجل فسأله عنها بعينها، فأجابه بخلاف ما أجابني، وخلاف ما أجاب به صاحبي، ففزعت من ذلك وعظم عليَّ، فلما خرج القوم نظر إليَّ، وقال: «يا ابن أشيم، إن الله فوض إلى داود أمر ملكه فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، وفوض إلى محمد ﷺ أمر دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وإن الله فوض إلى الأئمة منا وإلينا ما فوض إلى محمد ﷺ، فلا تجزع»[2]، فتأمل التناقض في الجواب ثم ارجع البصر إلى ما هو أعظم كفرًا، وهو دعواهم أن للأئمة حق تغيير دين الله وشرعه؛ لأن الله قد فوض الأمر في ذلك إلى الأئمة، كما يفترون.

ولقد أقر شيخهم محمد بن الحسن الطوسي باختلاف أحاديثهم التي يقوم عليها مذهبهم وتناقضها، واشتكى مما «آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد» حتى

---

(١) مقدمة «البحار» للبهبودي (ص١٩).

(٢) «الاختصاص» (ص٣٢٩-٣٣٠)، «بحار الأنوار» (٢٣/ ١٨٥).

قال إنه «لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه»، واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض»[١].

وقام بمحاولة يائسة لتدارك هذا الاختلاف وتوجيه هذا التناقض فلم يفلح؛ بل زاد الطين بلة، حيث علق كثيرًا من اختلاف الروايات على التقية بلا دليل سوى أن هذا الحديث أو ذاك يوافق أهل السنة.

ومن ينظر في معتقد التقية لديهم ينكشف له شيء من هذا التناقض، والتقية عندهم أن يقول أو يفعل خلاف ما يعتقد[٢]، وهي النفاق بالمفهوم الشرعي، وإنما سموها تقية للخداع والتمويه، وهي أساس التناقض، ومع ذلك جعلوها من أصول دينهم، حتى قالوا: «تسعة أعشار الدين في التقية»[٣].

بل إنهم يجعلون تارك التقية لا دين له، فعن أبي عبد الله قال: «اتقوا الله في دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له»[٤]، وقالوا: «لا دين لمن لا تقية له»[٥].

وكذلك يروي الكليني عن أبي جعفر - المولود بالمدينة سنة ٥٧هـ والمتوفى سنة ١١٤هـ أي في العصر الذهبي للإسلام وفي خير القرون وأفضل البقاع - أنه يقول: «التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له»[٦]، ويقول: «خالطوهم بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية

---

(١) «تهذيب الأحكام» (١/ ٢-٣).

(٢) انظر: «شرح عقائد الصدوق» للمفيد (ص٢٦١) (ملحق بكتاب «أوائل المقالات»).

(٣) «الكافي» (٢/ ٢١٧).

(٤) «الكافي» (٢/ ٢١٨).

(٥) «الكافي» (٢/ ٢١٧).

(٦) «الكافي» (٢/ ٢١٩).

إذا كانت الإمرة صبيانية»[1]، فأي تقية يريدون وهم في أفضل البقاع وبين خير القرون، وبعدما أعز الله الإسلام إلا التظاهر بالإسلام وإبطان الكفر؟!

ويبدو أن الذي أسس هذه العقيدة الغريبة، وجعلها من أصول دينهم هو شيخهم الكليني (ت ٣٢٩هـ أو ٣٢٨هـ) حيث يعتني بأمر التقية، ويعقد لها بابًا خاصًّا بعنوان: (باب التقية)، ويضعه ضمن كتاب «الإيمان والكفر»، وهذا دليل على أنهم يرون أن ترك التقية كفر كما أن فعلها إيمان، وقد ذكر الكليني في باب التقية ٢٣ حديثًا لهم[2].

وقد حمل شيوخهم جميع ما ورد في مصادرهم من تناقضات على التقية، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار!

يذكر العلامة السويدي عند حكاية مناظرته مع شيوخ الرافضة أن أحد علمائهم قال: مذهبنا أن الإنسان إذا صارت له أهلية الاجتهاد يجتهد في أقوال جعفر الصادق فيصحح واحدًا منها، فقلت: وما يقول في الباقي؟ قال: يقول: إنها تقية. فقلت: إذا اجتهد واحدٌ فصحَّح غير هذا القول، فما يقول في القول الذي صححه المجتهد الأول؟ فقال: يقول: إنها تقية. فقلت: إذن ضاع مذهب جعفر الصادق؛ إذ كل مسألة تنسب له يحتمل أن تكون تقية؛ إذ لا علامة تميز بين ما هو للتقية وبين غيره، فانقطع ذلك العالم، فما جوابك أنت؟ فانقطع هو أيضًا[3]. ثم قلت له: فإن قلتم: ليس في مذهب جعفر الصادق تقية، فهو ليس المذهب

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٢٠)، والبرانية: العلانية، والجوانية: السر والباطن. «هامش الكافي» (٢/ ٢٢٠-٢٢١).

(٢) «الكافي» (٢/ ٢١٧- ٢٢١).

(٣) ولهذا قرر شيخهم صاحب الحدائق أنهم - بسبب التقية - لا يعلمون من أحكام دينهم إلا القليل، حيث قال: «فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني حتى إنه تخطأ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار» (الحدائق، يوسف البواني: ١/ ٥).

الذي أنتم عليه؛ لأنكم كلكم تقولون بالتقية[1]، فانقطع، ثم ذكرت له دلائل غير هذا تدل على أن الذي في أيديهم ليس بمذهب جعفر الصادق.

وقد اشتكى بعض شيوخهم من هذه الظاهرة وهو الفيض الكاشاني صاحب الوافي أحد الكتب الثمانية المعتمدة لديهم، فقال عن تناقض طائفته: «تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولًا أو ثلاثين قولًا أو أزيد؛ بل لو شئت أقول: لم تبقَ مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها»[2].

ومن الملاحظ أن اختلافهم هو اختلاف في الأحاديث أو النصوص وليس اختلافًا في الاستنباط، ولا شك أن التناقض أمارة على بطلان المذهب، وكذب الروايات، وأن ذلك ليس من عند الله؛ لقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وتلك سنة إلهية في كل ديانة وضعية.

أما المخرج الثاني الذي اخترعوه لمحاولة الخروج من التناقض والذي أشار إليه سليمان بن جرير الزيدي في مقالته السابقة فهو البداء. والبداء في الأصل عقيدة يهودية ضالة، وقد وردت في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[3].

(١) انظر: باب التقية في «أصول الكافي» (٢/ ٢١٧) وراجع مبحث التقية فيما سبق، وقد ورد في دواوينهم المعتبرة أحاديث في مدح الصحابة، وفي مدح علي ﷺ لعمر، كما وردت نصوص في تحريم المتعة وفي غسل الرجلين وأن عليًا غسل رجليه إلخ. وهذه كلها تختلف مع أصولها ولهذا حملوها على التقية بلا دليل، ومن يراجع على سبيل المثال كتاب «التهذيب» أو «الاستبصار» كلاهما للطوسي يرى أحاديث كثيرة خالفت أصولهم ولم يجد الطوسي لها تأويلًا غير حملها على التقية.

(٢) «الوافي» المقدمة (ص٩).

(٣) برغم أن المشهور عن اليهود أنهم ينكرون النسخ لأنه يستلزم البداء. انظر: «مسائل الإمامة»: ص٧٥ و«مناهل العرفان»: (٢/ ٧٨). ومع ذلك فقد جاء في التوراة: «ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم والدبابات وطير السماء لأني ندمت على خلقي لهم». «الكتاب المقدس» الفصل السادس من تكوين التوراة (ص١٢).

وانتقل الاعتقـاد في البداء أولًا إلى فرق السبئية المدعية للتشيع، ففرق السبئية «كلهم يقولـون بالبداء؛ إن الله تبدو له البداوات»[1]، ثم أخـذ بفكرة البداء المختار بن أبـي عبيد الثقفي[2] «لأنه كان يدعي علم الغيب، فكان إذا حدث خلافُ ما أخبر به قال: قد بدا لربكم»[3].

إذن البداء فرية يهودية، حاولت السبئية أن تدخلها في عقائد المسلمين وأخذ بها المختار لتأييد دعواه الكاذبة في علم الغيب، وهي لا تجوز نسبتها إلى الله، ولكن الشيعة الإمامية تلقفتها وجعلتها من أصول عقائدها وقالوا: «ما عبد الله بشيء مثل البداء»[4]، «وما بعث الله نبيًّا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء»[5]، «ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[6].

وفي صحيحهم «الكافي» باب في هذا بعنوان «باب البداء» جاء ضمن كتاب التوحيد! وفي هذا الباب ١٦ حديثًا في البداء[7]، وفي «البحار» للمجلسي ذكر أحاديث البداء في باب بعنوان: «البداء والنسخ» وذكر فيه ٧٠ حديثًا[8].

---

(١) «التنبيه والرد» للملطي (ص١٩).

(٢) المختار ابن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، تنسب له طائفة الكيسانية من الشيعة، وهو الذي قام للأخذ بثأر الحسين، وادعى إمامة محمد بن الحنفية، وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادعى النبوة ونزول الوحي عليه وأنه كان لا يوقف له على مذهب.. قتل عام ٦٧هـ. «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨٩) وما بعدها، «الفرق بين الفرق» (ص٣٨)، «الأعلام» للزركلي (٨/ ٧٠).

(٣) انظر بعض أخباره في هذا في «الملل والنحل» (١/ ١٤٩).

(٤) «الكافي» كتاب التوحيد، باب البداء (١/ ١٤٦).

(٥) «الكافي» (١/ ١٤٨).

(٦) «الكافي» (١/ ١٤٨).

(٧) «الكافي» (١/ ١٤٦- ١٤٩).

(٨) «البحار» (٤/ ٩٢- ١٢٩).

أما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في مصادرهم ورواياتهم فهي باب واسع جدًّا[1].

ومن أطرف وأغرب ما وقفت عليه من صور التناقض، ولم أر من أشار إليه مع أهميته أن الشيعة الإثنى عشرية تحكم على من زعم من أتباعهم أنه رأى مهديهم المنتظر الذي لم يوجد أصلًا بالعدالة، بل يعتقدون أنه قد بلغ بهذه الرؤية المزعومة أعلى درجات العدالة والصدق - مع أنه بلا ريب إما أن يكون كذابًا، أو رأى شيطانًا؛ لأن مهديهم المزعوم لا وجود له أصلًا - في حين تحكم على أصحاب رسول الله ﷺ الذين شرفوا بلقائه وصحبته والإيمان به واتباعه بالنفاق والكفر!

يقول شيخهم الممقاني - وهو من آياتهم في هذا العصر التي ينسبونها زورًا إلى الله -: «تشرف الرجل برؤية الحجة - عجل الله فرجه وجعلنا من كل مكروه فداه - بعد غيبته، فنستشهد بذلك على كونه في مرتبة أعلى من مرتبة العدالة ضرورة»[2].

ولكن لماذا لا يُجرون مثل هذا الحكم في صحابة رسول الله، ويعتبرون تشرف الصحابة برؤية رسول الهدى ﷺ برهان عدالتهم، أليس رسول الله أعظم من منتظر موهوم، لا وجود له، بل مشكوك في وجوده عند شيعة عصره، فكيف به اليوم بعد تعاقب القرون.. أليس هذا هو التناقض بعينه؟! فانظر وتعجب كيف يزكى رجل يدعي رؤية معدوم، والأصل أن يعتبر هذا دليل كذبه، ويطعن في صحابة رسول الله الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه لو لم يرد من الله عز وجل فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم»[3].

---

(١) انظر أمثلة كثيرة لذلك في «كتابي أصول مذهب الشيعة».

(٢) «تنقيح المقال» (١/ ٢١١).

(٣) «الكفاية» (ص٤٩).

ولقد تنبه لهذا التناقض العالم الإيراني الشيعي المفارق لهذا المذهب الخرافي أحمد الكسروي فقال: «أما ما قالوا عن ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة منهم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي ﷺ، آمنوا به حين كذبه الآخرون ودافعوا عنه، واحتملوا الأذى في سبيله ثم ناصروه في حروبه ولم يرغبوا عنه بأنفسهم. ثم أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله فأي الأمرين أسهل احتمالًا: أكذب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب»[1].

ومن تناقضاتهم: أن شيوخ الشيعة شرعوا لأتباعهم الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، ووضعوا من الروايات على آل البيت ما يسندون به هذا الشرك، فذكر المجلسي أنه ورد في بعض زيارات الأئمة: «إلا أن نطوف حول مشاهدكم»، وفي بعض الروايات: «قبِّل جوانب القبر»، كما قال إن الرضا كان - على حد زعمه - يطوف بقبر رسول الله ﷺ[2]، وأخذ من ذلك شرعية هذا النسك الوثني في مذهبهم، ولم يلتفت إلى نصوص القرآن الصريحة الواضحة في النهي عن الشرك والوعيد عليه بنار جهنم وبئس المصير، ولكن أشكل عليه روايات لهم تناقض - كالعادة - مذهبهم في المشاهد وهي مروية عن أئمتهم فرام التخلص منها بالتأويل.

جاء في رواياتهم ما ينهى عن الطواف بالقبور كقول إمامهم: «لا تشرب وأنت قائم ولا تطف بقبر، فإن من فعل ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، ومن فعل شيئًا من ذلك لم يكن يفارقه إلا ما شاء الله»[3]. وقد أجهد المجلسي نفسه في تأويل هذه الرواية فقال: «يحتمل أن يكون النهي عن الطواف بالعدد المخصوص الذي يُطاف بالبيت، ويحتمل أن يكون المراد بالطواف المنفي هنا التغوط»[4].

(١) «التشيع والشيعة» (ص٦٦).

(٢) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٢٦).

(٣) ابن بابويه «علل الشرائع» (ص٢٨٣)، «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٢٦).

(٤) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٢٦).

فأنت ترى أن المجلسي لم يحاول أن يسلك ما يتفق مع كتاب الله سبحانه وما عليه المسلمون، وما جاء عندهم أيضًا: «ولا تطف على قبر»، فينصح لنفسه وطائفته بالنهي عن هذه البدعة، بل تكلف في تأويل نصهم الذي يدل على المعنى الحق! فدين الشيعة هو دين المجلسي لا دين الأئمة، وعمل الشيعة بما قاله شيوخهم لا ما قاله أئمتهم، فأعرضوا عن قول الإمام: «ولا تطف بقبر»، كما أعرضوا من قبل عن قول الله ورسوله وإجماع المسلمين، واتبعوا شيوخهم فضلوا وأضلوا قومهم سواء السبيل.

ومن الأمثلة أيضًا في هذا الباب أن شيخهم المجلسي يقول: «إن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقًا للقبلة.. واستقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله، أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة»(١)، وحينما وجد المجلسي في روايات قومه ما يعارض هذه الوثنية المقررة في دينهم وهي ما جاء في مصادرهم المعتمدة عن أبي جعفر محمد الباقر يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدًا، فإن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٢).

وما جاء في «الوسائل» - وهو من مصادرهم المعتمدة أيضًا - أن علي بن الحسين قال: قال النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجدًا؛ فإن الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(٣)، كما ورد أيضًا بطلان الصلاة إلى غير القبلة في مصادرهم، وقد ذكر صاحب الوسائل في هذا المعنى خمس روايات(٤).

---

(١) «بحار الأنوار» (١٠١/ ٣٦٩).

(٢) ابن بابويه «علل الشرائع» (ص٣٥٨)، «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٢٨).

(٣) «من لا يحضره الفقيه» (١/ ٥٧)، «وسائل الشيعة»(٣/ ٤٥٥).

(٤) انظر: «وسائل الشيعة» (٣/ ٢٢٧)، وانظر في بطلان الصلاة إلى غير القبلة عندهم: «من لا يحضره الفقيه» (١/ ١٢٢،٧٩)، و«تهذيب الأحكام» (١/ ١٤٦، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٨)، و«فروع الكافي» (١/ ٨٣).

وحينما وجد المجلسي ذلك رجح لقومه العمل بالنص الوثني الشركي، فقال: «يمكن حمل الخبر السابق على التقية أو على أنه لا يجوز أن يجعل قبورهم بمنزلة الكعبة يتوجه إليها من كل جانب[1]... وستأتي الأخبار المؤيدة للخبر الثاني (يعني في اتخاذ القبر قبلة) في أبواب الزيارات»[2].

انظر كيف يؤيد شيوخهم الشرك بالله سبحانه، ويردون الحق ولو جاء في كتبهم.

وقد توقف المجلسي أيضًا عند قول إمامه وهو يبين طريقة زيارة القبر لمن هو بعيد عنه، قال: «اغتسل يوم الجمعة أو أي يوم شئت، والبس أطهر ثيابك واصعد إلى أعلى موضع في دارك أو الصحراء فاستقبل القبلة بوجهك بعدما تبين أن القبر هنالك». توقف المجلسي عند هذا النص، لأن استقبال القبر في دينه أمر لازم فقال: «قوله: فاستقبل القبلة بوجهك لعله عليه السلام إنما قال ذلك لمن أمكنه استقبال القبر والقبلة معًا... ويحتمل أن يكون المراد بالقبلة هنا جهة القبر مجازًا.. ولا يبعد أن تكون القبلة تصحيف القبر»[3]. كل هذه التكلفات والتأويلات لأنه يقول بأن طائفته «حكموا باستقبال القبر مطلقًا (أي في كل أنواع الزيارات)، وهو الموافق للأخبار الأخر في زيارة البعيد»[4]، وقال: إنه مع بعد الزائر عن القبر يستحسن استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة[5]، وذلك عند أداء ركعتي الزيارة التي قالوا فيها: «إن ركعتي الزيارة لا بد منهما عند كل قبر»[6]. وهذا ليس بغريب من قوم

---

(١) أي أنها قبلة - في مذهبهم - من جهة واحدة، وليست كالكعبة قبلة من كل الجهات، وليس ذلك لأفضلية الكعبة عندهم، ولكن خشية التقدم على الضريح كما يشير إليه خبر مماثل مروي عن مهديهم المعدوم (انظر: الاحتجاج للطبرسي ٢/ ٣١٢ ط. النجف. بحار الأنوار ١٠٠/ ١٢٨).

(٢) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٢٨).

(٣) «بحار الأنوار» (١٠١/ ٣٦٩).

(٤) «بحار الأنوار» (١٠١/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٥) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٣٥).

(٦) «بحار الأنوار» (١٠٠/ ١٣٤).

زعموا أن كربلاء أفضل من الكعبة، بل قالوا: إن الكعبة ليست سوى ذنَبٍ ذليل مهين لأرض كربلاء - كبرت كلمة تخرجها أفواههم أو تسطرها أقلامهم -، ففي حديث لهم عن أبي عبد الله أنه قال: «إن الله أوحى إلى الكعبة لولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرِّي واستقري وكوني ذنَبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بكِ وهويت بكِ نار جهنم»[1].

فماذا نسمي هذا الدين الذي يأمر أتباعه باستدبار الكعبة واستقبال قبور الأئمة؟ وماذا نسمي هؤلاء الشيوخ الذين يدعون لهذا الدين؟ فليسم بأي اسم إلا الإسلام دين التوحيد الذي نهى رسوله ﷺ عن الصلاة في المقابر، فكيف باتخاذ القبور قبلة؟!

يقول أحمد الكسروي: «ومما يرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عامًا، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب، وظهر جليًّا أن ليست زيارة القبب، والتوسل بالموتى، ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب فقام الإسلام يجادلها ويبغي قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن، فأثرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة الإمامية، فإن هؤلاء لم يكترثوا بها كان، ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى اعتناء، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين»[2].

---

(١) «بحار الأنوار» (١٠١/ ١٠٧).

(٢) «التشيع والشيعة» (ص٨٩).

والتناقض في هذا المذهب من أعجب العجب، ومن ذلك: ما جاء في كتاب التوحيد لابن بابويه: «عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق»[1].

ولا شك بأن عقيدة البداء بمقتضى معناها اللغوي، وبموجب روايات الإثنى عشرية، وبحسب تأويل بعض شيوخهم تقتضي أن يكون في علم الله اليوم ما لم يكن في الأمس. وبحسب الإثنى عشرية عار وفضيحة أن تنسب إلى الحق جل شأنه هذه العقيدة، على حين تبرئ أئمتها منها، فإذا وقع الخلف في قول الإمام نسبت ذلك إلى الله لا إلى الإمام.

ومن تناقضاتهم الفاضحة أنهم يقولون في سبب غيبة مهديهم المعدوم بما جاء في كتابهم «الكافي» عن زرارة قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: إن للقائم - عليه السلام - غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - يعني القتل»[2].

وأكد ذلك شيخ الطائفة الطوسي بقوله: «لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار وكان يتحمل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء - عليهم السلام - إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى»[3].

ولكن هذا التعليل للغيبة الذي يؤكده شيخ الطائفة لا يتصور في حق الأئمة - على ما يعتقد الشيعة - لأن الأئمة «يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم»، كما أثبت

---

(١) «التوحيد» (ص٣٣٤)، «أصول الكافي» (١/ ١٤٨) رقم (١٠)، وانظر قريبًا من هذا المعنى رواية أخرى في «الكافي» (١/ ١٤٨) رقم (٩).

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٣٨)، «الغيبة للنعماني» (ص١١٨)، «إكمال الدين» (ص٤٤٩).

(٣) «الغيبة للطوسي»، فصل في ذكر العلة المانعة لصاحب الأمر من الظهور (ص١٩٩).

ذلك الكليني في «الكافي» في روايات عديدة، وبوب لها بهذا اللفظ المذكور[1]، وأثبت ذلك المجلسي في «بحار الأنوار» وبوب له بلفظ: «أنهم - عليهم السلام - يعلمون متى يموتون، وأنه لا يقع ذلك إلا باختيارهم»[2]. فكيف يخرجون من هذا التناقض؟!

كما أن الأئمة - على حد ما يعتقد الشيعة - «يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء»، كما قرر ذلك الكليني في باب يحمل العنوان المذكور[3]، فبوسعهم أن يحترزوا من الخطر بما لا يخطر على بال أحد، ومظاهر التناقض وصوره في هذه النحلة أكثر من أن تحصر.

ولذلك سخر منهم رئيس المحاكم الإيرانية، العالم الخارج عن هذه النحلة الخرافية أحمد الكسروي، قائلًا: «إذا كان منتظرهم قد اختفى لخوفه على نفسه فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد، وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟ فلم لم يظهر عندما قام الزمان) ويعد نفسه وكيلًا عنه؟ وبعد، فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونًا وأكثرهم من منتظريه؟!»[4].

ولو كان الكسروي حيًّا لقال: لم لم يظهر وقد قامت دولة الملالي في إيران وحكموا باسم النيابة عنه ونادوا بتصدير ثورتهم التي تقوم على أساس دعوى غيبته وأن بقاء حكمهم مرهون بخروجه من سردابه؟!

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٥٨).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٧/ ٢٨٥).

(٣) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٠).

(٤) «التشيع والشيعة» (ص٤٢).



علاقة الشيعة بمخالفيهم(*)

(*) أعني بالشيعة هنا: طائفة الرافضة الإمامية الإثنى عشرية، وهي التي شاع إطلاق لقب «الشيعة» عليها في عصرنا، ومن سواهم زيدية أو إسماعيلية؛ لأن الزيدية يلتقون مع الأمة في مصادر التلقي من حيث الجملة إلا من شذ منهم وسلك مسلك الروافض وهم الجارودية وامتدادهم الحوثية الذين جمعوا مع اعتقاد الجارودية الروافض زندقة الإثنى عشرية.

أما الإسماعيلية فهي نحلة باطنية تحظر الاطلاع على كتبها السرية حتى على أتباعها، ولذا فالمعتمد في هذه الدراسة مصادر الإثنى عشرية.

الشيعة يعيشون في مجتمعاتهم مع المسلمين وغيرهم، ويحملون الهوية الإسلامية، ولا يوجد تمييز لهم عن غيرهم، والأصل في العلاقة بين المسلمين الحب والمودة والتكافل والإيثار، كما أن العلاقة في الإسلام مع غير المسلم قائمة على العدل، بل والإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، أي تفضوا إليهم بالقسط؛ وهو العدل، والبر؛ وهو الإحسان[١]، وهو أعلى من العدل، ومعنى: ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾: أن تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة وليس مجرد العدل، فإن العدل واجب ممن قاتل وممن لم يقاتل[٢]، فلا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، وهذا القدر من الموالاة غير منهي عنه، فإن الله عز وجل عم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ جميع من كانت تلك صفته، فلم يخصص به بعضًا دون بعض[٣]، «فلا ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا رحمة لهم لشدتهم في العداوة»[٤].

بل إن مبادئ الإسلام توجب الدفاع عن أهل الذمة[٥] إذا قصدهم معتدٍ؛ لأنهم في جوارنا وخفارتنا، وأجمع العلماء على أن من كان في الذمة وجاء أهلُ الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح[٦].

---

(١) انظر: «محاسن التأويل» للقاسمي (١٦/ ١٢٨).

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٨٥)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٥٩).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٨/ ٦٦)، «محاسن التأويل» (١٦/ ١٢٩).

(٤) تفسير الرازي (٢٩/ ٣٠٤)، «محاسن التأويل» (١٦/ ١٢٠).

(٥) يرى شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدون الجزية، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهدون ومستأمنون ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة، فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعمل أو تجارة وسمح له بذلك فهو: إما معاهد أو مستأمن فلا يجوز الاعتداء عليه (مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٥/ ٤٩٣).

(٦) انظر: «تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية»، المطبوع على هامش «الفروق» للقرافي (١/ ٢٦).

هذا في حق غير المسلمين، فكيف الحال بعلاقة المسلم مع أخيه المسلم؟! فقد أرسى الإسلام دعائم الود بين المسلم وأخيه، وقدم جيل الصحابة رضوان الله عليهم أعظم صور المحبة والوفاء امتثالًا لهدي القرآن والسنة، ولا شك في أن مبدأ الأخوة والاعتصام بحبل الله جميعًا الذي هو صفة الأمة المسلمة كان هدفًا من أهداف العدو المتربص بالأمة، وكانت مؤامراته في تقويض البناء المتماسك كثيرة، ولقد اندس هؤلاء الأعداء في التشيع وأعملوا من خلاله الهدم والتخريب لهذا الأساس المتين في المجتمع الإسلامي.

ولهذا كان من الشائع والمستفيض:

أن علاقة الشيعي مع غيره مبنية على حب الإيذاء بأي وسيلة، واتخاذ ذلك قربة عند الله.

وأن إضمار العداء والكره لمخالفيهم من صفاتهم.

وأن عدم الوفاء ومراعاة الحقوق من طبيعتهم.

وأن الغدر والمكر والخيانة والخديعة من سجاياهم المشهودة، وأعمالهم المشهورة، والتي تبدأ بالأذى وتنتهي بالقتل.

قال شيخ الإسلام: «وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق؛ فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا ولا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بهم، وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه»[1].

وقد قدّم العلامة الشوكاني مشاهدات شخصية من خلال معايشته للرافضة في اليمن، وكشف من خلال ذلك أمورًا عجيبة وأكد أنه «لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٦٠).

مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له؛ لأنه عنده مباح الدم والمال. وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة»(١).

وبين حقيقة ذلك بالتجربة العملية مع هذه الطائفة فقال: «وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًا يخلص المودة لغير رافضي، وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخول وتودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنهم لما تجرؤا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهون ما دونه»(٢).

وقد أشار الشوكاني - رحمه الله - إلى أنهم لا يتورعون عن اقتراف أي جريمة في المجتمع الإسلامي، ولا يتنزهون عن فعل أي محرم، فقال: وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلًا رافضيًا يتنزه عن محرمات الدين كائنًا من كان ولا تغترَّ بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة.

ثم استشهد على ذلك ببعض مشاهداته الشخصية فقال: «وقد رأيت منهم من كان مؤذنًا ملازمًا للجماعات فانكشف سارقًا، وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حسن وهدي عجيب وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منه كيف يكون مثله رافضيًا ثم سمعت بعد ذلك عنه بأمور تقشعر لها الجلود وترجف منها القلوب»، ثم

---

(١) «أدب الطلب» (ص٧٠-٧١).

(٢) «أدب الطلب» (ص٧١).

ذكر رجلًا ثالثًا كان به رفض يسير، ثم تطور به الرفض حتى ألف في مثالب جماعة من الصحابة. قال الشوكاني: «وكنت أعرف عنه في مبادئ أمره صلابة وعفة، فقلت: إذا كان ولابد من رافضي عفيف فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر، نسأل الله الستر والسلامة»[1].

ثم قال رحمه الله: «وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدرون على ظلمه كائنًا من كان فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقراء والتتبع فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه»[2].

هذه «مشاهدات» مهمة سجلها الشوكاني، وبيّن كيف يفعل «الرفض» بأهله وأثر ذلك في علاقته مع غيره، وهي رؤية خبير وعالم كبير بعد دراسة ونظر وتجربة طويلة مع مختلف طبقات الرافضة؛ لأنه يقيم مع هذه الفئة من الرافضة في اليمن التي خرجت من نطاق الزيدية إلى الرفض كما هو معروف عن الجارودية[3].

والأمر الأعجب أن ظلمهم لم يقتصر على مخالفيهم، بل تجاوز ذلك إلى ظلم بعضهم بعضًا، ومما سجله التاريخ والواقع أن أهل السنة «خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض»، وهذا ما يعترفون به؛ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم يقولون لأهل السنة: «أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا»[4].

---

(١) «أدب الطلب» (ص٧٣).

(٢) «أدب الطلب» (ص٧٤).

(٣) الزيدية الجارودية: هي وإن تسمت بالزيدية فهي رافضة تكفر صحابة رسول الله ﷺ، ولذلك فإن شيخ الإمامية «المفيد» في كتابه «أوائل المقالات» (ص٣٩) أخرج الزيدية من دائرة التشيع واستثنى منهم «الجارودية» لأنهم على مذهبه. وهم أسلاف حوثية اليوم، ونحن نرى ما يفعله حوثية اليمن اليوم بأهل اليمن من سنة وزيدية، هذا وهم لم يتمكنوا بعد! فكيف الحال إذا صارت الكلمة لهم والسلطة في أيديهم؟! الحقيقة أنهم سيجرون من دماء السنة أنهارًا كما فعل أسلافهم الصفويون، وكما يفعل رافضة اليوم في العراق والشام.

(٤) «منهاج السنة» (٥/ ١٥٧-١٥٨).

وقد وقفت على نص مهم في «الكافي» للكليني يثبت هذه الحقيقة، ويبيّن طبيعة الرافضي في علاقاته مع الناس، وهو يشهد لكلام الشوكاني، ويعترف بصدق ما قاله، والاعتراف سيد الأدلة، وشهادة المخالف أكثر وقعًا في النفس من شهادة الموافق.

جاء في «الكافي» أن أحد الشيعة - ويسمى عبد الله بن كيسان - قال لإمامهم: «إني.. نشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت[1]، وحسن الخلق، وكثرة أمانة، ثم أفتشه فأتبينه من عدواتكم [يعني من أهل السنة]، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة[2]، ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم»[3].

هذه الرواية تعترف لأهل السنة بحسن الخلق، وكثرة الأمانة وحسن السمت، بينما تصف الرافضة بضد هذه الأوصاف.

وفي خبر آخر في «الكافي» أن رجلًا شكا لإمامه ما يجده في أصحابه من الرافضة من «النزق والحدة والطيش» وأنه يغتم لذلك غمًّا شديدًا، بينما يرى ممن خالفهم من أهل السنة حسن السمت، قال إمامهم: لا تقل حسن السمت، فإن السمت سمت الطريق[4]، ولكن قل: حسن السيما؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] قال: قلت: فأراه حسن السيما وله وقار، فأغتم ذلك[5].

(١) المعنى: هيئة أهل الخير (هامش الكافي: ٢/ ٤).
(٢) الزعارة: سوء الخلق، وفي بعض نسخ «الكافي»: الدعارة: وهي الفساد والفسوق والخبث.
(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٤)، «تفسير نور الثقلين» (٤/ ٤٧).
(٤) من المعلوم في اللغة أن السمت يطلق على الوقار والهيئة، كما يطلق على الطريق. قال في «المصباح»: «السمت الطريق، والقصد، والسكينة والوقار والهيئة».
(٥) «أصول الكافي» (٢/ ١١)، وقد كان جواب إمامهم على هذه الشكاوى بالاعتراف بها وتعليلها بطبيعة الطينة التي خلق منها كل فريق، وهو يؤكد الأمر ولا ينفيه.

وهذا شيعي ثالث يقال له عبد الله بن أبي يعفور لا ينقضي عجبه من ذلك البون الواسع بين أخلاق أهل السنة وبين خلق شيعته، ويرفع ذلك لإمامه فيقول: «إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانًا وفلانًا[1] لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم [يعني الرافضة] ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق. قال: فاستوى أبو عبد الله جالسًا فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟ قال: نعم»[2].

وهذا الجواب الذي ينفي العتب والذم عنهم، وإن اقترفوا الموبقات هو الذي أدى بهم إلى هذا الدرك الهابط من التعامل والتساهل في ارتكاب المنكرات، لأن الدين عندهم «ولاية الإمام» وحب علي حسنة لا يضر معها سيئة، وما لم يصلح هذا الأساس فستبقى هذه الخصيصة فيهم.

وعلاقة الشيعي مع مخالفه تبلغ أسوأ درجاتها في سعيه لسفك دم كل من يخالفه في ديانته، فتقرر لهم مصادرهم «مبدأ الغيلة»، وتصفية الخصوم بهذا الأسلوب، ولا تشترط سوى شرط واحد وهو أن يأمن الشيعي الضرر على نفسه وهو القصاص.

تقول كتب الشيعة: عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: «حلال الدم، ولكن أتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا، أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»[3].

---

(١) المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر - كما قاله شراح «الكافي» - وهذا إشارة لأهل السنة.

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٥).

(٣) «علل الشرائع» لابن بابويه (ص٢٠٠)، «وسائل الشيعة» للحر العاملي (١٨/ ٤٦٣)، «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٧/ ٢٣١).

وفي «رجال الكشي» يحكي أحد الشيعة لإمامه كيف استطاع أن يقتل مجموعة من مخالفيه فيقول: «منهم من كنت أصعد سطحه بسلم حتى أقتله، ومنهم من دعوته بالليل على بابه فإذا خرج عليّ قتلته، ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لي قتلته»[1]، وذكر أنه قتل بهذه الطريقة ثلاثة عشر مسلمًا؛ لأنه يزعم أنهم يتبرؤون من علي[2].

ويكشف شيخهم نعمة الله الجزائري جريمة كبرى جرت في عهد هارون الرشيد، وتم من خلالها قتل خمسمائة مسلم في ليلة واحدة لا ذنب لهم سوى أنهم ليسوا على دين الرافضة، وقد ذكر الجزائري الرافضي تفاصيل هذه الجريمة الشنيعة على سبيل الرضا بها والتأييد لها، والدعوة لأتباعه إلى امتثال هذا المسلك الإجرامي الإرهابي الخطير، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجريمة لم تسجلها مصادر المسلمين التاريخية - بحسب علمي -، وذلك لخفاء الأسلوب الذي تم ارتكاب الجريمة بواسطته، فقد تمكن أحد رموز الرافضة ويدعى علي بن يقطين من التسلل إلى الجهاز الأمني في عهد هارون الرشيد حتى صار المسؤول الأول عن السجون أو ما يشبه وزير الأمن أو الداخلية[3]، ونترك الحديث للجزائري يخبرنا عن هذه الجريمة البشعة فيقول: «إن عليَّ بن يقطين[4] وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، فأمر غلمانه وهدموا أسقف المحبس على المحبوسين، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبًا، فأراد

(١) «رجال الكشي» (ص٣٤٢-٣٤٣).

(٢) «رجال الكشي» (ص٣٤٢-٣٤٣).

(٣) التنظيم السري العالمي للروافض يؤيد الدخول في الحكومات، مع أنهم لا يعترفون بشرعية أي حكومة مهما كانت صالحة عادلة، ويعتقدون أن كل حكومة تقوم غير حكومة المهدي أو نائبه الولي الفقيه بحسب النظرية الخمينية فصاحبها طاغوت وإن كان يدعو إلى الحق (انظر: «الكافي» مع شرحه للمازندراني: ١٢/ ٣٧١). ومع ذلك فإنهم يحضون أتباعهم على المشاركة فيها، ويسمي الخميني هذا المسلك بـ«الدخول الشكلي في الحكومات» فيقول: «إن من باب التقية الجائزة دخول الشيعي في ركب السلاطين إذا كان في دخوله الشكلي نصر للإسلام وللمسلمين مثل دخول نصير الدين الطوسي» (الحكومة الإسلامية ص١٤٢)، وانظر بحث: «الدخول الشكلي في الحكومات» (منشور بمجلة البيان).

(٤) وقد وصفه الجزائري بأنه من خواص الشيعة (الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٨).

الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم (ع)، فكتب إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم. وحيث إنك لم تتقدم إليّ فكفر عن كل رجل قتلت منهم بتيس، والتيس[1] خير منه»[2]. فانظر كيف يعيشون وسط المسلمين وهم يتحينون أدنى فرصة لقتلهم والانتقام منهم!

وهذه اعترافاتهم تشهد بآثارهم السوداء، فترى إمامه هنا يقره على قتل خمسمائة مسلم لمجرد أنهم ليسوا بروافض، ويأمره بالتكفير بتيس، لأنه لم يستأذنه قبل ذلك، فالشيعي إذا استأذن إمامه أو نائبه وهو الولي الفقيه فليفعل ما يريد، وإن لم يستأذن فالأمر لا يعدو ذبح تيس.

ولذلك علق شيخهم الجزائري (راوي الخبر) على دية التيس هذه، بقوله: «فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد، فإن ديته عشرون درهمًا، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي، فإنها ثمانمئة [كذا] درهم، وحالهم في الآخرة أخس وأنجس»[3].

وهذا قول من الشناعة بمكان، ولا يحتاج إلى تعليق فهو ينطق بنفسه على حقدهم على أهل السنة، وأنهم أكفر عندهم من اليهود والنصارى والمجوس، وأن دماء المسلمين عندهم هي أرخص الدماء، وديتها - إذا لم يستأذن القاتل إمامه - مجرد ذبح تيس ينعمون هم بأكله، وقرر شيخهم ابن المطهر الحلي الملقب عندهم بـ«العلامة» أن المسلمين عندهم أكفر من اليهود والنصارى، وبنى هذا الحكم على إنكار مخالفيهم لإمامة الاثني عشر التي هي أساس مذهبهم[4].

---

(١) التيس ذكر المعز.

(٢) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٣٠٨).

(٣) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٣٠٨).

(٤) «الألفين» (ص٣)، وانظر: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٧١٤-٧١٥).

ويبدو أن دماء هؤلاء الأبرياء لم تذهب سدى، فقد انكشف أمر هذا الزنديق الذي لم يجد ولم ينفع إكرامه ومنحه رتبة الوزارة في إزالة حقده وعدائه للأمة، فقد كانت نهايته أن قتل على الزندقة، كما ذكر الإمام الطبري(١).

ولا يقتصر عداؤهم على المسلمين فحسب، بل هم أعداء للإنسانية كلها كحال يهود، ولذا جاء في مصادرهم المعتمدة أنهم يستعدون لتصفية شاملة للبشرية تبدأ بالعرب الذين أسقطوا دولتهم الكسروية المجوسية، ثم يمتد إجرامهم إلى البشرية كلها حتى إنهم يعدون أتباعهم بوقوع مقتلة عظيمة لا تبقي على مخالفيهم، وذلك على يد مهديهم المنتظر الذي يبعث - كما يقولون - بـ«الجفر الأحمر» وهو الذبح لكل مخالف، قال إمامهم يخاطب أحد الشيعة: «كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم [يعني مهديهم] قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة، ثم أخرج المثال: الجديد على العرب شديد، قال [الراوي] قلت: جُعلتُ فداك ما هو؟ قال: الذبح. قال: قلت: بأي شيء يسير فيهم، بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد؟ قال: لا، إن عليًّا سار بما في الجفر الأبيض، وهو الكف، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعدهم، وأن القائم يسير بما في الجفر الأحمر، وهو الذبح، وهو يعلم أنه لا يظهر على شيعته»(٢).

ويقولون إن منتظرهم: «يسير في العرب بما في الجفر الأحمر - وهو قتلهم»(٣)، «وإنه يقتل المولي ويجهز على الجريح»(٤).

وفي رواياتهم أيضًا المقدسة عندهم: سئل الصادق - كما يزعمون -: «أيسير القائم بخلاف سيرة علي؟ فقال: لا، وذاك أن عليًّا سار بالمنِّ والكف، لعلمه أن شيعته سيظهر

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٨/ ١٩٠، حوادث سنة ١٦٩هـ).

(٢) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣١٨)، وهذه الرواية في بصائر الدرجات كما أشار إلى ذلك المجلسي.

(٣) «البحار» (٥٢/ ٣٨٩).

(٤) «البحار» (٥٢/ ٣١٣).

عليهم من بعده، أما القائم فيسير بالسيف والسبي؛ لأنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبدًا»[1].

وفي رواياتهم أن إمامهم ومهديهم ومن ينوب عنه اليوم (الولي الفقيه) يبعث بالجفر الحمر وهو القتل العام، ففي مصادرهم: «كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة، ثم أخرج المثال الجديد، على العرب شديد. قال (الراوي): قلت: جعلت فداك ما هو؟ قال: الذبح، قال: قلت بأي شيء يسير فيهم؛ بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد؟ قال: لا، إن عليًّا سار بما في الجفر الأبيض، وهو الكف، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعده، وأن القائم يسير بما في الجفر الأحمر وهو الذبح، وهو يعلم أنه لا يظهر على شيعته»[2].

والقتل صفة دائمة ملازمة له، تقول نصوصهم إن قائمهم «ليس شأنه إلا القتل فلا يستبقي أحدًا، ولا يستتيب أحدًا»[3]، وهذا يشمل البشرية كلها، وكذلك يفعل نوابه سواء بسواء بحسب نظرية ولاية الفقيه الخمينية.

هذه طبيعتهم العدوانية التي صنعتها مصادرهم ومآتمهم وفتاوى مراجعهم، وإن رابك شيء من ذلك فارجع البصر إلى ما تفعله اليوم فرق الموت وميليشيات الرافضة في أهل العراق والشام واليمن! كل هذا لا لشيء سوى أنهم ليسوا على دين الروافض!

فالحقيقة التي تؤكدها مصادرهم، ويشهد عليها تاريخهم، وتقررها فتاوى مراجعهم أنهم ما إن يتمكنوا من بلد إلا وساروا في أهله قتلًا وإبادة وانتقامًا، وعاثوا في أرضه فسادًا وخرابًا ودمارًا.

---

(١) «الغيبة» للنعماني (ص١٥٣)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٥٣).

(٢) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣١٨).

(٣) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٢٣١، ٣٤٩).

ومصداق ذلك ما نشاهده اليوم من جرائمهم الوحشية التي لا تخطر ببال، ولا يتصورها خيال، من قتل عام ومجازر دموية للمسلمين في سوريا والعراق واليمن وغيرها مما لم يجر مثله في التاريخ، ولن ينصلح حال هؤلاء حتى يحال بينهم وبين مصادرهم التي يستمدون منها الإرهاب، ويحاسب ملاليهم الذين يزينون لهم العدوان، وتمنع مآتمهم التي تغذي فيهم روح الانتقام، ويقطع مدد الخمس عن مراجعهم الذي يستولون به على أموال أتباعهم، وبه يموِّلون نشر مذهبهم وتصدير ثورتهم.



مقالات الشيعة في أمصار المسلمين



أعني بالشيعة هنا طائفة الإمامية الإثنى عشرية التي شاع إطلاق لقب الشيعة عليها في عصرنا، والتي هي أكثر فرق الشيعة في زماننا عددًا وأكثرها جمعًا وأعظمها خطرًا.

ومصادرها هي المعتمدة عند الحديث عن التشيع اليوم؛ لأن ما سواها زيدية أو إسماعيلية، والزيدية يلتقون مع الأمة في مصادر التلقي - من حيث الجملة -، والإسماعيلية لهم مصادرهم السرية التي لا يطلع عليها إلا خواصهم.

وقد جاء في نصوصهم - أعني من يسمون اليوم بالشيعة - البراءة العامة من أمصار المسلمين وبلدانهم، ولا يستثنون إلا من أخذ بمعتقدهم ودان بنحلتهم، وتأتي في مقدمة أمصار المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم ما دونهما من بلاد المسلمين، وإليك الأمثلة على ذلك من واقع كتبهم المعتمدة عندهم[1]:

أ - مكة والمدينة:

يقولون في مصادرهم المعتمدة: «إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث منهم سبعين ضعفًا»[2].

هذا النص ورد في «أصول الكافي»، وهو أهم مصدر وأوثقه في دينهم، وتاريخ صدور هذا الحكم هو منتصف القرن الثاني بمقتضى نسبة الرواية إلى جعفر الصادق[3] المتوفى سنة ١٤٨هـ، أي إن هذا حكم على مكة المكرمة بأنها دار كفر في فترة القرون الثلاثة المفضلة، ويعلق على ذلك أحد شيوخهم المعاصرين بقوله: «لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم، كانوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمنافقون شر من الكفار، وهم

(١) بينت مصادرهم المعتمدة في مقدمة كتابي: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ١٧-٢٣).

(٢) «أصول الكافي» (٢/ ٤١٠).

(٣) ونبرئ الإمام من هذا الافتراء، ومثل هذه المقالات جزء من عدوانهم وعدائهم لأهل البيت، فهم يطعنون فيهم باسم التشيع والمحبة لهم.

في الدرك الأسفل من النار... ويحتمل أن يكون هذا مبنيًا على أن المخالفين غير المستضعفين مطلقًا شر من سائر الكفار كما يظهر من كثير من الأخبار»[١].

فهو يرى أن هذا التكفير حق، ويوجه هذا الحكم عليهم بأنهم شر من الكفار بأحد أمرين:

- إما باتباعهم للأمويين، أي بمقتضى مبايعتهم لخلفاء المسلمين من الأمويين[٢]، وهذا نفاق أكبر عندهم.
- أو لأن المخالف (يعني المخالف للشيعة من سنة وغيرهم من الفرق الإسلامية) شر من الكفار[٣].

فاسمع وتعجب! حيث ترى أن المعاصرين يقرون ويؤيدون هذا الحكم الجائر الظالم الذي صدر من الزنادقة الغابرين في حق أهالي مكة والمدينة المجاورين للحرمين في فترة القرون المفضلة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه البخاري وغيره. ولقد كان أهل المدينة ولاسيما في القرون المفضلة يمثلون الصفوة المختارة من المسلمين، حيث كانوا يتأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة[٤].

وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم القديم، منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب

---

(١) علي أكبر الغفاري في تعليقه على «أصول الكافي» (٢/ ٤٠٩ - ٤١٠، الهامش).

(٢) مما يتعين التنبيه عليه هنا: أن مصطلح الأمويين عندهم يشمل الخلفاء الراشدين الثلاثة ثم خلفاء بني أمية، ولذلك عدوا أول الظالمين أبا بكر ثم عمر! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(٣) «أصول الشيعة» (٢/ ٤٧٠).

(٤) اشتهر عن الإمام مالك وأصحابه أن إجماع أهل المدينة حجة، وإن كان بقية الأئمة ينازعونهم في ذلك، والمراد إجماعهم في تلك الأعصار المفضلة، أما بعد ذلك فقد اتفق الناس على أن إجماعهم ليس بحجة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٣٠٠).

كثير منهم[١].

ويبدو أن التزام أهل المدينة بسنة رسول الله ﷺ في تلك الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام قد أغاظ هؤلاء الزنادقة الأقزام، فعبروا عن بالغ حقدهم بهذه الكلمات، وما تخفي صدورهم أكبر.

وإذا كان هذا حكمهم على خيار التابعين المجاورين للحرمين المشهود لهم بالفضل والخيرية فحكمهم على من جاء بعدهم أشد وأنكى، كما قال بعض السلف: «لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[٢].

ولذلك فإن المعاصرين على أثرهم يهرعون يلعنون ويكفرون ويتبرؤون، ولا ينفكون عن ذلك إلا في ظل التقية التي أصبحت لهم دينًا ومسلكًا.

ومن لا يسير معهم في سب صحابة رسول الله ﷺ والوقيعة فيهم ويتبرأ من أفضل الخلق بعد النبيين فهو في عداد الظالمين[٣].

ويبدو أن مجرد خلو مكة والمدينة من مظاهر الشرك ورموزه يغيظ هؤلاء الروافض ويملأ قلوبهم حقدًا، ولذلك فإن التاريخ يعيد نفسه، ففي هذا العصر وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لإقامة «الجمهورية الإسلامية» في إيران، ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخوتي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشر من اليهود»، وذكر أنه حين تثبت ثورتهم سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وأفغانستان[٤]. فأنت ترى أنه يساوي بين مكة التي

---

(١) ينظر: «الفتاوى» (٢٠/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) انظر: «الإبانة» لابن بطة (١٦٥).

(٣) سيأتي ذكر النص.

(٤) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهر يوم ١٦/ ٣/ ١٩٧٩م، وانظر: «وجاء دور المجوس» (٣٤٤-٢٤٧).

يحكمها المسلمون وبين القدس التي يحتلها اليهود، وأفغانستان التي كان يحتلها الشيوعيون.

وقد نشرت مجلة الشهيد - لسان علماء الشيعة في قم - في العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ صورة تمثل الكعبة المشرفة وإلى جانبها صورة تمثل المسجد الأقصى المبارك وبينهما يد قابضة على بندقية وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[(١)].

وفي هذا الاتجاه يرون أن حكم الكفار للديار الإسلامية أولى من حكم المسلمين. وقد نقل الشيخ رشيد رضا أن الرافضي أبا بكر العطاس قال: إنه يفضل أن يكون الإنجليز حكامًا في الأراضي المقدسة على ابن سعود[(٢)].

وقد كشف لنا آيتهم حسين الخرساني أن كل شيعي يتمنى فتح مكة والمدينة، وقال: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يومًا قريبًا آت يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى [كذا] ليدخلوها آمنين مطمئنين، فيطوفوا بيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور ساداتهم ومشايخهم.. ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب أموالهم المحترمة ظلمًا وعدوانًا، حقق الله تعالى آمالنا»[(٣)].

هكذا يتمنى هذا الرافضي فتح الديار المقدسة، وكأنها بيد كفار، ويعلل هذا التمني بأنه يريد الحج والزيارة، وكأنه وطائفته قد منعوا من ذلك، والواقع أنه يريد إقامة الشرك وهدم التوحيد في الحرمين الطاهرين.

---

(١) انظر: مجلة «الشهيد» العدد المذكور، وانظر: جريدة «المدينة» السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ، وانظر: ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده أثناء زيارته لإيران حتى قال إنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران، الذي يقيمون فيه، شعارات مكتوب فيها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار»، وانظر: «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد (ص٩).

(٢) «المنار» (ج٩ ص ٦٠٥).

(٣) «الإسلام على ضوء التشيع» (ص١٣٢-١٣٣).

ب - مصر وأهلها:

قد حظيت مصر وأهلها بنصيب وافر من سبهم، فقالوا في نصوص لهم مدونة في مصادرهم المعتمدة لديهم: «بئس البلاد مصر، أما أنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطة ومعصية منهم لله.. إني أكره أن آكل شيئًا طبخ في فخار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها، مخافة أن تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي»[1].

وقالوا: «مالك ومصر؟ أما علمت أنها مصر الحتوف.. يساق إليها أقصر الناس أعمارًا»[2].

وقالوا: «انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها.. هو يورث الدياثة»[3].

وقالوا: «ما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها، ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى - عليه السلام - أن يخرج عظام يوسف منها، ولقد قال رسول الله ﷺ: لا تغسلوا رؤوسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها، فإنه يورث الذل ويذهب الغيرة»[4].

وقاولوا أيضًا: «أبناء مصر لعنوا على لسان داود - عليه السلام - فجعل الله منهم القردة والخنازير»[5].

وهذه الروايات وغيرها في ذم مصر وهجاء أهلها والتحذير من سكناها منسوبة إلى

---

(١) «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢١٠)، «تفسير العياشي» (١/ ٣٠٥)، و«البرهان» (٤٥٧١).
(٢) «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢١١).
(٣)«بحار الأنوار» (٦٠/ ٢١١).
(٤) «قرب الإسناد» (ص٢٢٠)، و«بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٨-٢٠٩)، «تفسير العياشي» (١/ ٣٠٤)، و«البرهان» (١/ ٤٥٦).
(٥) «بحار الأنوار» ٥٧/ ٢٠٨.

بعض آل بيت رسول الله ﷺ، كمحمد الباقر، وعلي الرضا[1]، وفي حقيقة الأمر هي محاولة للطعن فيهم بنسبة هذا الكذب إليهم، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: «مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة؛ لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم»[2].

فهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، كل ذلك لأنها لم تأخذ بنهج الروافض، ويحتمل أن هذه الروايات قبل الحقبة الإسماعيلية من تاريخ مصر؛ لأن من يشاركهم في رفضهم، ويقيم دولة تسمح بكفرهم لا ينالون منه بمثل هذا. كما لا يبعد أن هذه النصوص بعد الحقبة الإسماعيلية وهي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين، الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في حق مصر وأهلها مما جاء في صحيح مسلم تحت باب: «وصية النبي ﷺ بمصر وأهلها»، وفيه قوله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط[3]، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة[4] ورحمًا»[5]، أو قال: «ذمة وصهرًا»[6][7].

والحقيقة أن ذمهم لمصر وأهلها مدح وثناء، كما قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

---

(١) انظر: المصادر السابقة، و«تفسير القمي» (٩٩٦)، و«بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «بحار الأنوار» (٥٧/ ٢٠٨).

(٣) القيراط: جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرها، وكان أهل مصر - في ذلك الزمان - يكثرون من استعماله والتكلم به.

(٤) الذمة: هي الحرية والحق.

(٥) الرحم: لكون هاجر أم إسماعيل منهم.

(٦) الصهر: لكون مارية أم إبراهيم (ابن رسول الله ﷺ) منهم.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٩٧٠ (ح٢٢٧).

جـ - الشام وأهلها:

جاء في الكافي: «أهل الشام شر من أهل الروم»[1] يعني شر من النصارى. وجاء في مصادرهم: «لا تقولوا: من أهل الشام، ولكن قولوا: من أهل الشؤم، هم أبناء شر (يعني بلد) لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير»[2].

أين هذه الكلمات الحاقدة على الشام وأهلها مما ورد في كتب السنة في فضل الشام[3]! وقد قال الإمام ابن القيم: «أرض الشام وصفها الله سبحانه بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة»[4]، وقد جاء في صحيح البخاري عن معاذ مرفوعًا: «أن الطائفة المنصورة بالشام»، وورد في فضل أهلها أحاديث، منها قوله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[5]، وقد صنف في فضل الشام بعض أهل العلم كتبًا خاصة كالإمام الربعي[6] وابن الجوزي.

البراءة من بلدان المسلمين كلها إلا واحدة:

هذا وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[7]، ولا يستثنون من أمصار المسلمين - في العصور الذهبية من تاريخ المسلمين وهو عصر القرون الثلاثة المفضلة - لا يستثنون سوى بلدة واحدة فقط، أما ما عداها من بلاد المسلمين في شرق الأرض وغربها فليس لها ولا لأهلها في ولايتهم نصيب، بل يتبرؤون منها ويعدونها في عداد بلاد المغضوب عليهم والضالين، بل أعظم وأشد.

---

(١) «أصول الكافي» (٢/ ٤٠٩).

(٢) «تفسير القمي» (٥٩٦)، و«بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٨).

(٣) انظر: «فضائل الشام» لأبي الحسن الربعي، مطبعة الترقي بدمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد.

(٤) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٧).

(٥) أخرجه الترمذي (ح٢١٩٢)، وقال: «حسن صحيح». وأحمد في «المسند» (ح١٥٥٩٦).

(٦) هو علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي، أبو الحسن، ويعرف بابن أبي الهول (المتوفى: ٤٤٤هـ).

(٧) انظر: «بحار الأنوار» (٦٠/ ٢٠٨) وما بعدها.

جاء في «البحار» - لتقرير هذا الأمر - قولهم: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة»[1]، أي لم يقبل دينهم من بلاد المسلمين سوى «الكوفة»، ذلك أن بلاد الإسلام لقربها من العلم والإيمان لم تقبل مادة «الرفض الخبيثة» سوى الكوفة التي بليت بها بتأثير ابن سبأ اليهودي، الذي طاف الأمصار فلم يجد من يقبل دعوته إلا في ذلك المكان القاصي البعيد في تلك الفترة عن نور العلم والإيمان؛ إذ البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل وغيبة أهل العلم والإيمان، ولهذا «خرج التشيع من الكوفة»[2]، كما ظهر الإرجاء أيضًا من الكوفة، وظهر القدر والاعتزال والنسك الفاسد من البصرة، وظهر التجهم من ناحية خراسان، وكان ظهور هذه البدع كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بحسب البعد عن الدار النبوية[3]، ذلك أن «سبب ظهور البدع في كل أمة هو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبهذا يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة»[4].

هذه النصوص المظلمة والمقالات الضالة في بلدان المسلمين ثابتة في مصادرهم المعتمدة لديهم والتي قرر مراجعهم منذ العصر الصفوي إلى اليوم أنها مصادر التلقي التي عليها المدار في جميع الأعصار، وعليها اعتمد الدستور الإيراني في مادته الثانية وسماها «سنة المعصومين».

وهذا التوجه في ذم أمصار المسلمين على العموم يعود إلى أصل أصيل عندهم وضعه متأخروهم، وهو أن أهل السنة أو أهل الإسلام الذين لا يؤمنون بمعتقدهم ولا يؤمنون بإمامة الاثني عشر وانتظار مهديهم أكفر عندهم من اليهود والنصارى، وقد قرر شيخهم ابن المطهر الحلي - الذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه - أن «الإمامة لطف عام والنبوة لطف

(١) المصدر السابق (١٠٠/ ٢٥٩).
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٣٠٠-٣٠١).
(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٠/ ٣٠٠-٣٠١).
(٤) المصدر السابق (٤/ ١٣٧).

خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[1]؛ يعني أن من لا يؤمن بوجود إمامهم المنتظر وحياته وإمامته[2] فهو عندهم بحسب اعتقادهم أشد كفرًا ممن ينكر نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ووردت روايات كثيرة عندهم تكفر من أنكر إمامة الأئمة الاثني عشر، وهذا التكفير يشمل خلفاء المسلمين من أبي بكر رضي الله عنه إلى أن تقوم الساعة - ما عدا حكم علي والحسن رضي الله عنهما - لأنهم ادعوا الإمامة بغير حق، كما يشمل الشعوب الإسلامية التي بايعت خلفاء المسلمين من عهد أبي بكر إلى أن تقوم الساعة، لأنها بايعت إمامًا ليس من عند الله. ومن رواياتهم في ذلك: عن أبي عبد الله قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»[3] وأهلها هم - بزعمهم - الأئمة الاثنا عشر أو من ينوب عنهم من فقهاء الشيعة. وعن أبي عبد الله قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا من الله، ومن زعم أن لهما[4] في الإسلام نصيبًا»[5].

فهذا تكفير للأمة شنيع لم يبلغ الخوارج مبلغه، تكفير للأحياء والأموات، وحقد عظيم على أمة الإسلام وخلفاء المسلمين.

---

(١) «الألفين» لابن المطهر (٣).

(٢) وهو مجرد وهم لا وجود له إلا في أذهان الروافض، فقد قرر علماء التاريخ والنسب ونقيب الطالبيين من آل البيت وسائر بني هاشم أن الحسن العسكري مات عقيمًا، وأن دعوى وجود ولد له اختفى فور ولادته خوفًا لا سند لها في الواقع، وراجع في هذه المسألة «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٦٤)، والمنتقى (ص٣١)، و«أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٩٩).

(٣) «الكافي»، كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل (١/ ٣٧٢).

(٤) يعنون بهما اللذين أقاما دولة الإسلام بعد النبي ﷺ ونشرا دينه، الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر.

(٥) «الكافي»، كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل إلخ (١/ ٣٧٣)، وانظر: «تفسير العياشي» (١/ ١٧٨)، «تفسير البرهان» (١/ ٢٩٣)، «البحار» (٨/ ٢١٨).

والعبادة عندهم لا قبول لها إلا بالإيمان بولاية الاثني عشر، ففي «البحار» للمجلسي: «لو أن عبدًا عبد الله ألف سنة وجاء بعمل ٧٢ نبيًا ما تقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت، وإلا أكبه الله على منخريه في نار جهنم»[١]. وعن الصادق - كما يفترون - قال: «الجاحد لولاية علي كعابد الوثن»[٢].

بل أعلنوا - على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري - انفصالهم الكامل عن المسلمين وبراءتهم التامة من أمة محمدﷺ فقالوا: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[٣].

والتكفير يشمل كل من لم يوافقهم على شذوذهم العقدي وانحرافهم السلوكي. ففي دين هؤلاء الروافض - مثلًا - من لا يدفع خمس أرباحه وأمواله وممتلكاته لآياتهم ومراجعهم فهو من الظالمين لآل محمد الخالدين في نار جهنم، بل عدوا من يستحل منعهم درهمًا منه في عداد الكافرين، حتى قالوا: «ومن منع منه درهمًا أو أقل كان مندرجًا في الظالمين لهم (أي لأهل بيت رسول الله ﷺ) والغاصبين لحقهم، بل حكموا بالكفر على من استحل منع درهم منه[٤]، قال د. علي السالوس في السخرية بهذا المبدأ: «إن مسلمي اليوم إن أردوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر فعليهم أن يجعلوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا به إلى علماء الجعفرية»[٥].

---

(١) «البحار» (٢٧/ ١٩٧).

(٢) «البحار» (٢٧/ ١٨١).

(٣) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٩).

(٤) انظر: «العروى الوثقى» لليزدي، الموثق من مراجعهم في هذا العصر (٢/ ٣٦٦).

(٥) علي السالوس، أثر الإمامة في الفقه الجعفري (ص٣٩٤، الهامش).

ومن لا يوافقهم مثلًا على الفوضى الجنسية المسماة بالمتعة عندهم فهو ليس منهم، حتى قالوا: «ليس منَّا من لم يؤمن بكرتنا ويقُل بمتعتنا»[1].

ومن لا يؤمن بخرافة مهديهم المنتظر فهو كافر كفر إبليس[2].

والتفصيل في هذا الباب لا يحتمله هذا المقال.

فهل يعي أهل الأمصار قدر الحقد الذي يحمله هؤلاء الباطنية تجاههم؟! ومتى يدركون أن التشيع لآل البيت شعار كاذب ينتحله هؤلاء الباطنيون لتحقيق أغراضهم الدنيئة وتنفيذ مخططاتهم الخطيرة؟!

وها نحن نرى اليوم وتنفيذًا لهذه المقالات والمعتقدات في أمصار المسلمين أنهم ما دخلوا بلدًا إلا بدَّلوا أمنه خوفًا، واجتماعه فرقة، وتقدمه تخلفًا، وغناه فقرًا، وسعادة أهله بؤسًا وشقاء، كما هو واقع اليوم في العراق واليمن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، وهو ثمرة هذا الحقد الدفين على أهل الإسلام: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [**الأنفال**: ٣٠].

---

(١) «من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه (٢/ ١٢٨)، «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٣٨)، «تفسير الصافي» (١/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «إكمال الدين» لابن بابويه (ص١٣).

الصلة بين الفرق القديمة والمعاصرة
«الشيعة نموذجًا»

أعني بالفرق هنا: الفرق الإسلامية أو الفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر وليست منه في الحقيقة. والمراجع لمصادر الملل والنحل يجد أسماء عدد كبير من الفرق قد اندثر وجودها، وأصبحت أثرًا بعد عين، ويجد منها ما بقي واستمر، ومنها ما تغير وتطور.

ويمكن تقسيم الفرق من حيث بقاؤها وانقراضها عقيدة واسمًا إلى ما يلي:

أولًا: فرق انقرضت اسمًا وبقيت عقيدة: كالسبئية، فإنها وإن انقرض اسمها إلا إن الإثنى عشرية الرافضة ورثت عقائدها الغالية، وكالمعتزلة فإنها وإن اختفى اسمها إلا إن عقائدها لا تزال باقية في بعض الفرق، فقد ورثت الزيدية والإثنى عشرية والإباضية كثيرًا من عقائد المعتزلة، وكذلك المرجئة والجهمية والقدرية، فهذه الفرق وإن اختفت أسماؤها إلا أنه نشأت فرق أخرى ورثت عقائدها، وتبنت آراءها.

ثانيًا: فرق انقرضت عقيدة واسمًا: مثل الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية فقد ذكر ابن خلدون أن شيعة محمد بن الحنفية كانت أكثر شيعة أهل البيت - أي: في عصرها - ثم لم تلبث أن تقلص أتباعها حتى اختفت[1]، وكذلك الفطحية أتباع عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق، وهو أكبر أولاد الصادق[2]، قال صاحب الزينة (أبو حاتم الرازي الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٢٢هـ): «قد انقرضت هذه الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول»[3]. وكذلك الكاملية الذين كفروا عليًّا - رضي الله عنه - لأنه ترك منازعة الصحابة ومنعهم من مبايعة أبي بكر، وكفروا سائر الصحابة؛ لأنهم لم يسلموا الإمامة لعلي[4]، ومثلها الغرابية التي

(١) «تاريخ ابن خلدون» (٣/ ١٧٢).

(٢) سموا الفطحية؛ لأن عبد الله كان أفطح الرأس، كما يدعون بالعمارية نسبة إلى رئيس لهم يعرف بعمار، وقد قال النوبختي إنه مال إلى هذه الفرقة جل مشايخ الشيعة وفقهائها، ولكن عبد الله لم يعش بعد وفاة أبيه سوى سبعين يومًا فرجعوا عن القول بإمامته (انظر: «مسائل الإمامة» ص٤٦، «فرق الشيعة» للنوبختي ص٧٧-٧٨، «مقالات الإسلاميين» ١/ ١٠٢، «الحور العين» ص١٦٣-١٦٤).

(٣) «الزينة» (ص٢٨٧).

(٤) انظر: «مسائل الإمامة» (ص٤٥)، «المقالات والفرق» (ص١٤)، «مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٩)، «الفرق بين الفرق» (ص٥٤)، «الملل والنحل» (١/ ١٧٤).

قالت: إن محمدًا ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وأن الله عز وجل بعث جبريل - عليه السلام - بالوحي إلى عليٍّ فغلط جبريل وأنزل الوحي على محمد ﷺ[1][2]، وكالهشامية أتباع هشام بن الحكم القائلين بالتجسيم، وكغلاة القدرية نفاة العلم، فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنهم انقرضوا ولم يعد لهم وجود، ولا يعرف أحد ينسب إليها من المتأخرين[3].

ثالثًا: فرق انقرضت عقيدة وبقيت اسمًا: كالشيعة الأولى المفضلة الذين يفضلون عليًّا على عثمان، مع تقديمهم للشيخين أبي بكر وعمر، فقد اختفى الاسم المعبر عن هذه الطائفة، وأصبح لقب الشيعة إذا أطلق ينصرف إلى غلاة الرافضة، ذلك أن الشيعة الأولى لما رأوا الغلاة قد انتحلوا هذا اللقب تركوه واكتفوا باسم السنة والجماعة، كما يشير صاحب التحفة الإثنى عشرية إلى ذلك فيقول: «إن الشيعة الأولى تركوا اسم الشيعة لما صار لقبًا للروافض والإسماعيلية، ولقبوا أنفسهم بأهل السنة والجماعة»[4]. وأما عقيدتهم فقد اختفت وانقرضت بعد أن استقر مذهب أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي - رضي الله عنهما -، «وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة»[5].

---

(١) انظر: «الفصل» (٥/ ٤٢)، «الفرق بين الفرق» (ص٢٥٠)، «التبصير في الدين» (ص٧٤)، «المنية والأمل» (ص٣٠)، «التنبيه والرد» (ص١٥٨)، وسماها «الجمهورية».

(٢) ربما جاء في كتب الإثنى عشرية ما يعبر عن مذهبها بألفاظ مختلفة، فقد جاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال: «إن الله أنزل عليَّ القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك» («وسائل الشيعة» ١٨/ ١٣٨، وانظر: «بحار الأنوار» (٧/ ٣٠٢، ١٩/ ٢٣، «بشارة المصطفى» الطبري - الرافضي - ص١٦، «أمالي الصدوق» ص٤٠). فما الفرق بين مقالة الغرابية، ونص الإثنى عشرية؟! إن الإثنى عشرية أعطوا عليًّا الرسالة بدون دعوى الغلط، وزعموا أن رسالة النبي هي التعريف بعليٍّ فقط!

(٣) انظر: «فتح الباري» (١/ ١١٩).

(٤) «التحفة الإثنى عشرية» (ص٢٥-٢٦ مخطوط).

(٥) «شرح الطحاوية» (٢/ ٧٢٧).

رابعاً: فرق بقيت اسماً وعقيدة: وذلك مثل الخوارج، والإثنى عشرية، والإسماعيلية، والزيدية.

كثرة فرق الشيعة:

المراجع أيضًا لكتب الفرق والمقالات يجد كمًا هائلًا من أسماء الفرق المنتسبة للتشيع التي لم يعد لأسمائها وجود اليوم، حتى تفردت الشيعة بكثرة فرقها بحيث لا يشابهها ولا يقاربها فرقة أخرى، حتى صار هذا الافتراق محل الشكوى من الشيعة أنفسهم[1]، فقد بلغت فرق الشيعة في عصر المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ ثلاثًا وسبعين فرقة[2]، فكيف الحال بعده؟! وكل فرقة تكفر الأخرى، ولهذا زعم الرافضي مير باقر الداماد المتوفى سنة ١٠٤٠هـ أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة، وأن الناجية منها هي طائفته الإمامية[3]، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام، وهذه المقالة قد قالها الشيعة من قبل، وأشار إلى ذلك الشهرستاني حيث قال: «إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين - رضي الله عنهم - على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم: إن نيِّفًا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة، ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة»[4]،

---

(١) انظر: «أصول الكافي» (١/ ٦٥).

(٢) «مروج الذهب» (٣/ ٢٢١).

(٣) «التعليقات على شروح الدوّاني للعقائد العضدية»، لجمال الدين الأفغاني، (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ١/ ٢١٥)، وقد نسب رشيد رضا هذا الكتاب لمحمد عبده (تفسير المنار ٨/ ٢٢١)، لكن حقق محمد عمارة أنه للأفغاني (انظر: «الأعمال الكاملة للأفغاني» لمحمد عمارة ١/ ١٥٥-١٥٦، «الأعمال الكاملة» لمحمد عبده ١/ ٢٠٩).

(٤) «الملل والنحل» (١/ ١٦٥).

وقال الرازي: «بعض الروافض قد صنف كتابًا وذكر فيه ثلاثًا وسبعين فرقة من الإمامية»[1].

وقد ورد في دائرة المعارف أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيرًا عن الفرق الاثنتين والسبعين المشهورة[2]، وفي عصر المقريزي (المتوفى ٨٤٥هـ) بلغت فرق الشيعة - كما يذكر - ثلاثمائة فرقة[3].

الصلة بين فرق الشيعة:

وبعد انتشار مصادر الشيعة تبينت حقيقة غائبة وخفية لم تكن معلومة من قبل، وهي أن هذه الفرق وإن اختفت أسماؤها فقد بقيت عقائدها في مصادر التلقي لدى الإثنى عشرية.

وهذه المصادر - ومن خلال القراءة الطويلة فيها - قد استوعبت آراء فرق الشيعة خلال القرون، ومن يقارن بين ما جاء في كتب الإثنى عشرية من معتقدات وبين آراء ومعتقدات فرق الشيعة الأخرى في كتب الفرق وغيرها سيرى أنه ما من رأي أو عقيدة نادت بها طائفة من الفرق الشيعية في حقب التاريخ المختلفة إلا ونجد لها - في الغالب - شاهدًا ودليلًا في كتب الإثنى عشرية، بل ربما يصل القارئ إلى نتيجة مثيرة، وهي أن ذلك التقسيم الكثير للشيعة وذكر طوائفها المتعددة قد أصبح اليوم في الغالب صورة لا حقيقة لها، وهي لا تعني اتفاقهم فيما بينهم، ولكن لأن طائفة الإثنى عشرية قد استوعبت تلك الآراء والعقائد، كما حاولت أن تحتوي فرق الغلو لتجنيدها سياسيًّا وعسكريًّا في صفوفها من أجل تحقيق أهدافها. وهذه حقيقة لم تكن واضحة قديمًا كما هي اليوم، خاصة بعد انتشار كتب الإثنى عشرية، وقيام دولتهم الخمينية، والتقارب السياسي مع غلاة الغلاة من الزنادقة النصيرية وغيرهم. وإن دراسة مقارنة لآراء تلك الفرق، وما جاء في كتب الإثنى عشرية لهي دراسة

---

(١) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص٥٦).

(٢) «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٦٧).

(٣) «الخطط» (٢/ ٣١٥).

تكشف حقائق مهمة، وربما تستحق أن تفرد بدراسة مستقلة، لكن يكفي ذكر أمثلة لها لنرى على أي شيء استقر مركب الإثنى عشرية.

الصلة بين الباطنية والإثنى عشرية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك - أي في الحكم بالتكفير - من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت...» ثم بين أن هذا مذهب القرامطة والباطنية[1]. هذا الكفر البواح الذي نسبه ابن تيمية للباطنية القرامطة نجده ثابتًا، بل مستفيضًا في دواوين الشيعة الإثنى عشرية ومصادرهم المعتمدة ويجاهر به جملة من شيوخهم، بل انفردت الشيعة الإثنى عشرية من بين سائر الفرق بالمجاهرة بفرية تحريف القرآن. فقد امتلأت مصادر الإثنى عشرية بأساطيرهم التي يسمونها أحاديث[2]، والتي تقول بنقص القرآن وتحريفه، حتى زعم بعض شيوخهم كالمفيد في «أوائل المقالات»، والمجلسي في «مرآة العقول»، والمازندراني في «شرحه للكافي» وغيرهم أن الأحاديث التي تقول بنقص القرآن وتحريفه متواترة من طرقهم.

وشهد شاهد منهم[3] بأنها بلغت أكثر من ألفي حديث، وأقر علماء الشيعة بأنه مذهب لكبار علمائهم كالكليني، وشيخه القمي، والطبرسي صاحب «الاحتجاج»، والمجلسي صاحب «البحار» وغيرهم.

إن كتب الإثنى عشرية التي تضمنت القول بنقص القرآن وتحريفه، كان منها ما هو قبل ابن تيمية بقرون مثل «الكافي» للكليني (ت ٣٢٩هـ) وتفسير إبراهيم القمي شيخ الكليني

(١) «الصارم المسلول» (ص٥٨٦).

(٢) هي مجرد أساطير مكذوبة مفتراة نسبها زنادقة القرون البائدة إلى أئمة آل البيت لتروج على أتباعهم، وسموها أحاديث تلبيسًا وتضليلًا.

(٣) هو شيخهم نعمة الله الجزائري الذي وصفوه بأنه السيد السند، والركن المعتمد، المحدث النبيه، المحقق، النحرير، المدقق العزيز النظير، وقالوا بأنه من أكابر متأخري علماء الإمامية، محدث جليل القدر، ومحقق عظيم الشأن، إلى آخر أوصافهم، توفي سنة ١١١٢هـ (انظر: «أمل الآمل» ٢/ ٣٣٦، «الكنى والألقاب» ٣/ ٢٩٨، «سفينة البحار» ٢/ ٦٠١، مقدمة «الأنوار النعمانية»).

وغيرهما؛ فهل ابن تيمية وغيره من علماء الفرق والمقالات لم يقفوا على هذه المصادر لأنها كانت سرية التداول بين الشيعة؟ أم أن تلك الآراء الشاذة أضيفت إليها فيما بعد؟ أم أن علماء السنة لم يهتموا بالاطلاع على كتبهم لكذبهم؟ على أية حال إن ما ينسبه ابن تيمية للقرامطة الباطنية متواتر في كتب الإثنى عشرية.

أفلا يحق لنا القول بعد ذلك بأن مقالة القرامطة الباطنية قد رددتها وانتصرت لها كتب الإثنى عشرية؟ أم هم الباطنية نفسها؟ لأننا لا نجد هذه المقالة مستفيضة عند الإسماعيلية كما هي عند الإثنى عشرية، فشيعة اليوم هم باطنية في حقيقة الأمر، ويصدق عليهم قول الشهرستاني: «لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان»[1]، ويؤيد ذلك ما جاء في مصادرهم من أن هذا الافتراق بينهم أمر مقصود للتستر على عقيدتهم وإخفاء حقيقتهم، وهذا حق اعترف به الشيعة أنفسهم، حيث جاء في «أصول الكافي»: عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر قال: سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاءه رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: «يا زرارة، إن هذا خير لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا، ولكان أقلَّ لبقائنا وبقائكم»[2]. قال المازندراني: «أي: ولكان اتفاقكم في الرواية عنا أو تصديقهم لكم فيها سببًا لقلة بقائنا وبقائكم؛ لأنه موجب لسرعة هلاكنا وهلاككم، بخلاف ما إذا اختلفتم في الرواية عنا، فإنهم لا يصدقونكم علينا ولا يعتقدون أنكم موالينا، وفي ذلك بقاء لنا ولكم»[3]؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الشيعة ليس لهم قول واحد يتفقون عليه»[4].

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٩٢).

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٦٥).

(٣) شرح «أصول الكافي» (٢/ ٣٢٩).

(٤) منهاج السنة: ٢/ ١٢٩).

إحياء عقائد السبئية:

ظهرت النزعة السبئية التي تضفي صفات الإله على الأئمة واضحة جلية من خلال أحاديث الإثنى عشرية، فالأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، ولا يسهون ولا ينسون ولا يخطئون مطلقًا، إلى آخر قائمة الأوصاف التي يجعلونها للأئمة التي هي من خصائص الجبار جل علاه[1]، حتى عقدوا أبوابًا في مصادر التلقي المعتمدة لديهم لتأسيس هذا الغلو وضمنوها طائفة من أساطيرهم التي نسبوها كذبًا وزورًا إلى بعض أئمة آل البيت لتروج عند أتباعهم.

يقول أحد المعاصرين[2] من آياتهم التي ينسبونها زورًا إلى الله سبحانه، مشطرًا أبيات سيده حسين القزويني في مدح علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

أبـــا حـــســـن أنـــت عـــين الإلـــه
وعـــنـــوان قـــدرتـــه الـــســـامـــيـــة
وأنـــت الـــمـــحـــيـــط بـــعـــلـــم الـــغـــيـــوب
فـــهـــل عـــنـــدك تـــعـــزب مـــن خـــافـــيـــة؟
وأنـــت مـــدبـــر رحـــى الـــكـــائـــنـــات
وعـــلـــة إيجـــادهـــا الـــبـــاقـــيـــة
لـــك الأمـــر إن شـــئـــت تـــنـــجـــي غـــدًا
وإن شـــئـــت تـــســـفـــع بـــالـــنـــاصـــيـــة[3]

(١) انظر: «شيعة اليوم سبئية الأمس» (منشور بمجلة البيان).
(٢) هو عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق بن الشيخ يحيى العاملي.
(٣) «ديوان الحسين» (الجزء الأول من القسم الثاني الخاص في الأدب العربي ص٤٨).

إحياء عقيدة البداء:

عقيدة البداء من عقائد الغلاة[١] ونسبوها للمختارية[٢] وهم من الغلاة، فالبداء في اللغة له معنيان: الأول: الظهور والانكشاف، والثاني: نشأة الرأي الجديد، وكلا المعنيين ورد في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]. والبداء بهذين المعنيين لا تجوز نسبته إلى الله عز وجل، والبداء في الأصل عقيدة يهودية ضالة، وقد وردت في التوراة - التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم - نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[٣].

ومع ذلك فقد ورد في صحيحهم «الكافي» ستة عشر حديثًا في كتاب البداء، وفي «البحار» في باب سماه البداء والنسخ أكثر من سبعين حديثًا من أحاديثهم[٤]، وصار البداء من عقائد الإثنى عشرية الثابتة في مصادرهم ورواياتهم، وقالوا: «ما عبد الله بشيء مثل البداء»[٥]، «وما بعث الله نبيًّا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء»[٦]، «ولو علم الناس ما في القول

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٣).

(٢) المختارية: أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، ومن مذهبه أنه يقول بالبداء على الله تعالى. «الملل والنحل» (١/ ١٤٧-١٤٨).

(٣) برغم أن المشهور عن اليهود أنهم ينكرون النسخ لأنه يستلزم البداء. انظر: «مسائل الإمامة» (ص٧٥) و«مناهل العرفان» (٢/ ٧٨). ومع ذلك فقد جاء في التوراة: «ورأى الرب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم الرب أنه عمل الإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، الإنسان مع البهائم والدبابات وطير السماء لأني ندمت على خلقي لهم». «الكتاب المقدس» الفصل السادس من تكوين التوراة (ص١٢).

(٤) المراد بأحاديثهم ما ينسبونه إلى أئمتهم الاثني عشر من أقوال، وقليل منها ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نبرئ أهل البيت مما ينسبونه إليهم من افتراءات وأكاذيب.

(٥) «الكافي»، كتاب التوحيد، باب البداء (١/ ١٤٦).

(٦) «الكافي»(١/ ١٤٨).

بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[1].

إحياء عقيدة الرجعة:

عقيدة الرجعة[2] عدوها من عقائد الغلاة[3]، حتى ذكر ابن حجر أنها آخر مرتبة في الغلو[4]، وقد ذكرت كتب الشيعة[5] والسنة[6] أنها من أصول عقائد ابن سبأ اليهودي، ومع ذلك فهي من أصول عقائد الإمامية، فمن رواياتهم: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»[7]، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: «اعتقادنا في الرجعة أنها حق»[8]، وقال المفيد: «اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»[9]، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الرافضة إنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[10]، وإنها من ضروريات مذهبهم[11].

---

(١) «الكافي» (١/ ١٤٨).

(٢) هي عندهم: «رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت، قبل ذلك اليوم الموعود يرجعون في صورهم التي كانوا عليها» (انظر: «أوائل المقالات» ص٥١، ٩٥، «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» ص٢٩).

(٣) «الملل والنحل» (١/ ١٧٣).

(٤) «هدي الساري مقدمة فتح الباري» (ص٤٥٩).

(٥) سعد القمي (ص٢٠- ٢١)، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص١٩).

(٦) «الفرق بين الفرق» للبغدادي(ص٢٣٣- ٢٣٤).

(٧) من لا يحضره الفقيه (٣/ ٢٩١)، «وسائل الشيعة» (٧/ ٤٣٨)، «تفسير الصافي» (١/ ٣٤٧)، «بحار الأنوار» (٥٣/ ٩٢).

(٨) «الاعتقادات» (ص٩٠).

(٩) «أوائل المقالات» (ص٥١).

(١٠) «مجمع البيان» للطبرسي (٥/ ٢٥٢)، «الإيقاظ من الهجعة» للحر العاملي (ص٣٣)، «نور الثقلين» للحويزي (٤/ ١٠١)، «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٣/ ١٢٣). وقد ذكر المجلسي أنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار.

(١١) «الإيقاظ من الهجعة» (ص٦٠).

تفضيل الأئمة على الأنبياء:

قرر أهل العلم أن القول بتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما أثبت ذلك الإمام عبد القاهر البغدادي[١] (ت ٤٢٩هـ) والقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، ورأى أن هذا من أسباب كفرهم فقال: «ونقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»[٢]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٣] (ت ٧٢٨هـ)، ونقل بعض أهل العلم «إجماع المسلمين على كفر من ذهب إلى هذا القول»[٤].

ومع ذلك فهي من عقائد الإثنى عشرية الأساسية، وفي كتب حديثهم عقدوا لها بابًا خاصًا، كما ألف شيوخهم في إثباتها مؤلفات مستقلة[٥]؛ فهم بهذا من غلاة الروافض.

التشيع الإثنى عشري مجمع عقائد الفرق الغالية:

وبهذا يتبين جمع الإثنى عشرية في مصادرها لعقائد الغلاة من أهل الفرق البائدة، وقد رأيت بعض الشيعة المعاصرين أشار إلى هذا الرأي، فقال: «يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصًا بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الإثنى

---

(١) «أصول الدين» (ص٢٩٨).

(٢) «الشفا» (ص٢٩٠).

(٣) «منهاج السنة» (١/ ١٧٧) الطبعة الأولى.

(٤) «الرد على الرافضة» (ص٢٩).

(٥) مثال كتاب: «تفضيل علي على أولي العزم من الرسل» لشيخهم هاشم بن إسماعيل البحراني (ت ١١٠٧هـ)، و«تفضيل الأئمة - عليهم السلام - على الأنبياء عدا نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم» للمؤلف السابق ذكره، و«تفضيل أمير المؤمنين على من عدا خاتم النبيين» لشيخهم محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، و«تفضيل أمير المؤمنين على غير النبي - صلى الله عليه وآله وسلم» لسيدهم محمد النقوي اللكهنوي (ت ١٢٨٤هـ) وغيرها. انظر: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٤/ ٣٥٨- ٣٦٠)، «لؤلؤة البحرين» (ص٦٤)، ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ): «هذا مذهب أكثر متأخري الإمامية، وهو الصواب». انظر: «الأنوار النعمانية»: (١/ ٢٠- ٢١)، وهذا المذهب هو الذي اعتمده شيخ الشيعة المعاصرين الخميني. انظر: «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢).

عشري ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص، والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمّار[1] إلى حُجر بن عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان بن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت إثنى عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنفوها»[2].

إذن كتب الإثنى عشرية الأساسية هي الدَّنُّ الذي امتزجت فيه كل الانحرافات الشيعية، واستقر بنيان التشيع الإثنى عشري على الأصول العامة للتشيع مهما كان غلوها وتطرفها.

من هنا رأى البعض أن «أصول مذهب الغلاة والمفوضة والباطنية من الإسماعيلية والإمامية الإثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض في كثير من المسائل، ولذلك قيل: الإمامية دهليز الباطنية»[3].

وقد جاء في دائرة المعارف عن انفتاح الإثنى عشرية على الغلاة هذا القول: «على أن الحدود لم تقفل تمامًا أمام الغلاة، يدل على ذلك التقدير الذي دام طويلًا للكتاب الأكبر للإسماعيلية وهو كتاب (دعائم الإسلام)»[4].

ومثل الإسماعيلية فرق أخرى بقيت أو اندرست كلها دخلت معتقداتها في مدونات الإثنى عشرية[5].

وقد اعترف شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة أن معظم رجالهم في الحديث من أصحاب المذاهب الفاسدة، ومع ذلك قال: «إن كتبهم معتمدة»[6].

---

(١) هذا بناء على اعتقاده أن عمارًا وبعض الصحابة كانوا نواة للتشيع، وهو رأي ظاهر الفساد.
(٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» لمصطفى الشيبي (ص٢٣٥).
(٣) «قواعد آل محمد» لمحمد بن الحسن الديلمي (من علماء القرن الثامن الهجري) (ص١١).
(٤) «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٧٢).
(٥) انظر: «شيعة اليوم باطنية الأمس» (منشور بمجلة البيان).
(٦) «الفهرست» (ص٢٤-٢٥).

ومن هنا فإن بعض شيوخ الإثنى عشرية وآياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية أو من الزنادقة الدهرية أو من المجسمة الغلاة.فهم إذا تحدثوا - مثلًا - عن دول الشيعة ذكروا الدولة العبيدية في صدر دولهم مع أنها ليست إثنى عشرية[١]، وإذا جاء ذكر رجالهم رأيت منهم كثيرًا من رؤوس الضلال والزندقة ممن تنسب إليهم فرق ليست من الإثنى عشرية؛ لهذا نرى - مثلًا - مرجع الشيعة المعاصر محسن الأمين يقول عن الهشامية[٢] أتباع هشام بن الحكم، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[٣]، والشيطانية أتباع محمد بن النعمان (شيطان الطاق)[٤] وغيرها «أنهم عند الشيعة الإمامية كلهم ثقات صحيحو العقيدة، فكلهم إمامية وإثنى عشرية»[٥].

ومن منطلق استيعاب الإثنى عشرية لآراء الفرق الأخرى نرى بعض الشيعة الإثنى عشرية المعاصرين يضفي التشيع على بعض الغلاة الكفرة كالنصيرية، فقد كتب أحد علماء الشيعة الإثنى عشرية المعاصرين وهو المدعو حسن الشيرازي رسالة سماها: «العلويون شيعة أهل البيت» (العلويون لقب للنصيرية) وذكر في رسالته هذه أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي (أخو حسن)، وقال إنه

(١) انظر: «الشيعة في الميزان» مبحث دول الشيعة (ص١٢٧) وما بعدها، وانظر: «أعيان الشيعة» (١/ ٤٤، ٤٥)، وانظر: «دول الشيعة» لمحمد جواد مغنية.

(٢) هذه الطائفة جمعت بين ضلالها في الإمامة ضلالة التشبيه والتجسيم حتى قال الإسفراييني: «أنهم أفصحوا في التشبيه بما هو كفر محض باتفاق المسلمين» «التبصير» (ص٤٣-٤٤). وانظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ١٠٦ - ١٠٧)، «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (ج٦٥).

(٣) كان في الإمامة على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر، وكان مفرطًا في باب التشبيه. انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (١/ ١٠٦)، «الفرق بين الفرق» للبغدادي (٧٠).

(٤) الشيعة تسميه مؤمن الطاق وله وطائفته ضلال شنيع في الإمامة، والقدر والتشبيه، وكان في الإمامة على مذهب القطعية، أي ليس بإثنى عشري. «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٧١)، «الملل والنحل» للشهرستاني، (١/ ١٨٦ - ١٨٧)، «التبصير» للإسفراييني (ص٤٣).

(٥) «أعيان الشيعة» (١/ ٢١).

وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب.. وقال: إن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية[1]، هذا ولم ينكر على هذا الشيرازي أحد من علماء الإثنى عشرية مع أنه قد عرف واشتهر عن النصيرية الكفر والزندقة[2]، بل كتب الشيعة القديمة نفسها تحكم عليهم بالكفر[3]، حتى بلغ الأمر اليوم أنهم يساندون النصيرية بالمال والسلاح والرجال لإبادة أهل السنة في الشام.

هذا التطور العقدي عند الإثنى عشرية باتجاه الغلو يؤكده أحد مراجع الشيعة المعاصرين وهو عبد الله الممقاني[4] - الذي يعدونه من كبار علمائهم المعاصرين في علم الرجال - يقول في معرض دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي فيما رمي به من الغلو من قبل بعض الرافضة القدماء: «إنا قد بينا غير مرة أن رمي القدماء الرجلَ بالغلو لا يُعتمد عليه ولا يُركن إليه، لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم - يعني الأئمة - غلوًا عند القدماء، وكون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلوًا عند هؤلاء، وكفاك في ذلك عد الصدوق نفي السهو عنهم غلوًا مع أنه اليوم من ضروريات المذهب، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم بما يأتي - أي علم الغيب - بتوسط جبرائيل والنبي غلوًا عندهم وهو من ضروريات المذهب اليوم»[5]. فهذا الممقاني يعترف بالتطور العقدي عندهم، ويحكم بأن ما كان يعد غلوًا في عرف الشيعة المتقدمين، مثل أن الأئمة يعلمون الغيب ولا يسهون، هو اليوم من ضروريات مذهب التشيع.

---

(١) «العلويون شيعة أهل البيت» لحسن الشيرازي (ص٢ - ٣).

(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ١٤٥) وما بعدها.

(٣) انظر مثلًا: «البحار» (٢٥/ ٢٨٥، ٢٨٦).

(٤) عبد الله بن محمد الممقاني من كبار شيوخ الشيعة، ولد بالنجف سنة ١٢٩٠هـ، وتوفي بها سنة ١٣٥١هـ، ومن كتبه: «تنقيح المقال في علم الرجال» في ثلاثة مجلدات. «معجم المؤلفين» (٦/ ١١٦).

(٥) «تنقيح المقال» (ج٣ ص٢٤٠).

ومن خلال هذا التوجه العام فإن شيخ الشيعة المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطا يحكم على جميع فرق الشيعة الموجودة اليوم بعدم الغلو، ويزعم أن جميع الفرق الغالية قد بادت ولا يوجد منها اليوم نافخ ضرمة[1]، وقال الدكتور سليمان دنيا - معلقًا على قول آل كاشف الغطا هذا - قال: «فما يكون الأغاخانية؟ أليسوا قائلين بالحلول؟! أوَليسوا مع قولهم بالحلول ملاحدة؟! أوَليسوا منتسبين إلى الشيعة؟ وأخيرًا أوليسوا على رقعة الأرض اليوم؟»[2]. والواقع أن أسماء معظم تلك الفرق قد اختفت وبقيت آراؤها ومعتقداتها في كتب الإثنى عشرية.

وقد تنبه لهذه الحقيقة - وهي تطور معتقدهم نحو الغلو - الشيخ ملا علي القاري، وذلك حينما نقل قول الإمام النووي وهو أن «المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»[3]، فقال القاري معقبًا على ذلك: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا، فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلًا عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع»[4].

ولعل هذه الظواهر هي التي دعت محب الدين الخطيب إلى أن يحكم بأن مدلول الدين عند الشيعة يتطور، ثم استدل على ذلك بقول الممقاني السالف الذكر، ثم قال: «هذا تقرير علمي في أكبر كتاب وأحدثه لهم في الجرح والتعديل، يعترفون فيه بأن مذهبهم الآن غير مذهبهم قديمًا، فما كان يعدونه قديمًا من الغلو وينبذونه وينبذون أهله بسبب ذلك، صار الآن - أي الغلو - من ضروريات المذهب، فمذهبهم اليوم غير مذهبهم قبل الصفويين، ومذهبهم قبل الصفويين غير مذهبهم قبل ابن المطهر، ومذهبهم قبل ابن المطهر غير مذهبهم قبل آل بويه،

(١) انظر: «أصل الشيعة وأصولها» (ص٣٨)، «دعوة التقريب» (ص٧٥).
(٢) «بين السنة والشيعة» (ص٣٧).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٠).
(٤) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ١٣٧).

ومذهبهم قبل آل بويه غير مذهبهم قبل شيطان الطاق، ومذهبهم قبل شيطان الطاق غير مذهبهم في حياة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين»[1]. واستدل بكلام الممقاني سالف الذكر، ولو كان محب الدين الخطيب حيًّا لقال: إن مذهبهم بعد ثورة الملالي غير مذهبهم قبلها، ومذهبهم قبل ولاية الفقيه الخمينية غير مذهبهم بعد ولاية الفقيه الخمينية، بل إن المذهب بحكم مصادره ازداد شذوذًا وانحرافًا.

ولا سبيل لخلاصهم من تلك العقائد الكفرية إلا بإعلانهم البراءة من هذه المصادر وأصحابها، أو على حد تعبير العالم الإيراني المهتدي البرقعي: كسر هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله، والعودة إلى مصادر التلقي لدى الأمة الإسلامية.

ولعل من أكبر العوامل لاستقرار هذا المذهب على الغلو هو استيعاب مدونات الروافض لآراء تلك الفرق الشاذة، وقبولهم لروايات أصحاب تلك الفرق لأنهم شيعة، فهم مقبولون بغض النظر عن معتقدهم؛ فمع التشيع لا يضر انتحال أي نحلة! ولهذا انبثق من الروافض كثير من الفرق الخارجة عن الإسلام[2].

ونضيف حقيقة مهمة في هذا المجال وهي أنه يوجد للاتجاه الشيعي المعتدل أثر في مدونات الروافض في أحاديث تثني على الصحابة وترفض التقية، وتوافق المسلمين في معتقدهم، لكن علماء الروافض رفضوا العمل بها بحجة أنها وردت مورد التقية، في حين أنهم لا يملكون دليلًا يؤكدون به ذلك سوى أنها موافقة للأمة الإسلامية، وهذا دليل عليهم لا لهم.

---

(١) هامش «المنتقى» (ص١٩٣).

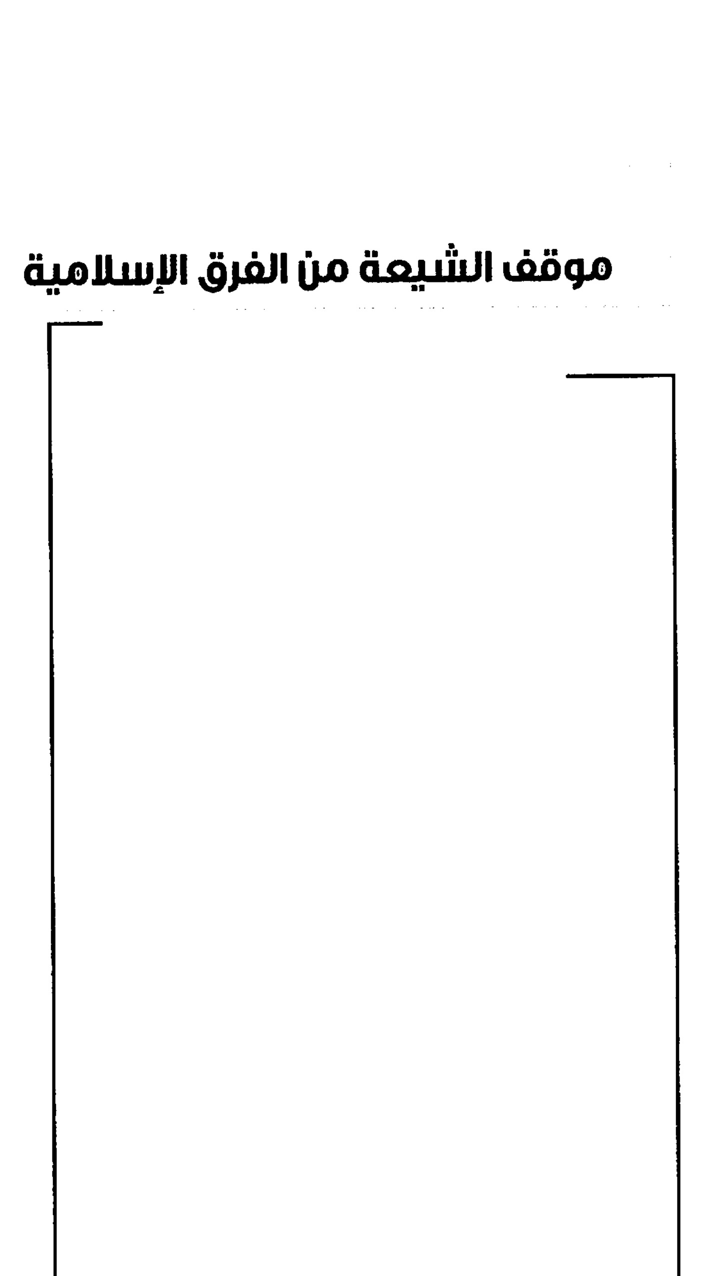
(٢) النصيرية والإسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا («المنتقى» ص٩)، وكذلك الشيخية والكشفية والبهائية من صميمهم خرجوا (هامش «المنتقى» ص٩)، وأصبح التشيع مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين.

ولعله بالإمكان استخلاص هذا الأثر الشيعي المعتدل من كتب الشيعة ليكون شمعة ضوء تهدي المخلصين في البحث عن الحق، لكن ذلك الغثاء الذي حوته كتب الشيعة هو الذي يمثل القسم الأكبر، وقد وضع الشيعة قاعدة تقديم الأكثر على الأقل[1]، فبقي هذا الأكثر يشكل العقبة الكؤود بينهم وبين المسلمين، فعودتهم للأمة مقرونة بعودتهم لمصادر التلقي لدى المسلمين وبراءتهم من هذه المصادر التي جمعت ظلمات الكفر. نسأل الله أن يهديهم إلى الحق ويبصرهم به.

---

(١) ذلك باعتبار أن هذا الأقل ورد مورد التقية، قال المفيد: «ما خرج للتقية لا تكثر روايته عنهم كما تكثر رواية المعمول به» (شرح عقائد الصدوق ص٢٦٧، ملحق ب أوائل المقالات).

موقف الشيعة من الفرق الإسلامية



مدخل:

من يقرأ في كتب المعاصرين من الشيعة أو يستمع لما يقوله مراجعهم وشيوخهم عبر إعلامهم وقنواتهم الفضائية يرى أنهم يدعون ويتظاهرون بأن عدوهم الذي يناصبونه العداء من يسمونهم بالطوائف التكفيرية وحدها دون باقي طوائف وفرق الأمة، ويحاولون ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة استمالة باقي فرق الأمة، وادعاء أنهم معهم في صف واحد أمام هذه الطوائف التكفيرية، وحينًا يسمونها بالوهابية بغية تشويه سمعة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1]؛ كل ذلك على سبيل الدعاية المذهبية والمصانعة السياسية والتقية الدينية؛ لأن التقية هي دينهم.

لكن الحقيقة التي يخفونها هي أن كتبهم ومصادر دينهم المعتمدة لديهم في التلقي طافحة بتكفير كل من عداهم من فرق الأمة، حتى تلك الفرق المعتدلة المنتسبة للتشيع لم تسلم من تكفيرهم، بل واستحلال دمائهم وأموالهم؛ لأنهم في اعتقادهم نواصب لم يؤمنوا بالإمامة بحسب مفهومهم، كما سيأتي بيانه، ولم تسلم من هذا التكفير فرقة من فرق الأمة حتى أولئك المخدوعون بشعار التقريب والوحدة معهم.

المراد بالشيعة:

أعني بالشيعة هنا من يتلقى دينه مما يسمونه الكتب الأربعة الأولى، والكتب الأربعة المتأخرة، وهم أصحاب ولاية الفقيه الخمينية، الذين إذا أطلق لقب الشيعة في عصرنا لا

---

(١) لكشف تلبيسات هؤلاء وأمثالهم، والرد على شبهاتهم التي يثيرونها حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يرجع إلى الكتاب القيم: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور الشيخ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف.

ينصرف إلا إليهم في رأي جمع من الباحثين[1] ومن سواهم زيدية[2] أو إسماعيلية[3].

قولهم في الفرق الإسلامية:

ينقل شيخهم المفيد - في كتابه «أوائل المقالات» الذي يعده المعاصرون من شيوخهم عمدة في بيان اعتقادهم[4] - إجماعهم على تكفير الفرق الإسلامية كلها وأنها من أهل النار جميعًا، حيث يقول: «اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار.. ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[5]. ويعني بأهل البدع كل من خالفهم في عدد الأئمة وأعيانهم ولو كانوا من شيعتهم، أي من الفرق المنتسبة للتشيع.

وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» - الذي يعده المعاصرون المرجع

---

(١) انظر: «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٦٨)، «مستدرك الوسائل» (٣/ ٣١١)، «روح الإسلام» لأمير علي (٢/ ٩٢)، «أصل الشيعة وأصولها» (ص٩٢)، «الشيعة في التاريخ» للعاملي (ص٤٣)، «الغلو والفرق الغالية» (ص٨٢)، «أصول الدين وفروعه عند الشيعة» لأحمد زكي تفاحة (ص٢١)، «الشيعة والتشيع» لإحسان إلهي ظهير (ص٩)، مجلة كلية الدراسات الإسلامية (العدد الأول، ١٣٨٧هـ، ص٣٥).

(٢) الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسموا بالزيدية نسبة إليه، وقد افترقوا عن الإمامية الرافضة حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لانتسابهم إليه، وذلك في آخر خلافة هشام سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة. (انظر: «الرسالة الوازعة» ليحيى بن حمزة اليمني ص٢٨، «مقالات الإسلاميين» ١/ ١٣٦، «الملل والنحل» ١/ ١٥٤).

(٣) الإسماعيلية هم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر، وادعوا أن جعفرًا أشار إليه في حياته، ودل الشيعة عليه، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر من بعده، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر. (انظر: «الزينة للرازي» ص٢٨٧ ضمن كتاب «الغلو والفرق الغالية»، «فرق الشيعة» للنوبختي ص١٤٨، «الفرق بين الفرق» ص٦٢، ٦٣).

(٤) ذكر ذلك شيخهم محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت، وذلك في كتابه «الشيعة في الميزان» (ص١٤).

(٥) «أوائل المقالات» (٥٣).

الوحيد لتحقيق معارف المذهب[1] - بابًا في هذا الشأن بعنوان «باب كفر المخالفين والنصاب»[2]، وعد كل من لم يؤمن بإمامة واحد من الأئمة الاثني عشر في عداد المشركين، كما وصفهم شيخهم ابن بابويه القمي أحد مصنفي كتبهم الأربعة بأنهم ظلمة ملعونون، فقال: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون...»[3]. ولذلك جاء في كتبهم المعتمدة لديهم في التلقي: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا من الله، ومن زعم أن لهما[4] في الإسلام نصيبًا»[5].

فهذا تكفير للأمة شنيع لم يبلغ الخوارج مبلغه، وهو تكفير للأحياء والأموات، وحقد عظيم على أمة الإسلام وخلفاء المسلمين؛ فقوله: «من ادعى إمامة من الله ليست له» حكم على جميع أئمة المسلمين وحكامهم وأمرائهم بأنهم ظلمة وملعونون؛ لأن الإمامة في اعتقادهم محصورة في اثني عشر إمامًا. وقوله: «ومن جحد إمامًا من الله» تكفير لكل من بايع خليفة أو أميرًا أو حاكمًا أو رئيسًا أو رضي ببيعتهم وحكمهم، وهذا يشمل جميع المسلمين من لدن الصحابة الذين بايعوا الخلفاء الراشدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهم لم يبقوا من فرق المسلمين أحدًا سوى من قال بإمامة أئمتهم، بل اعتبروا المخالفين لهم من المسلمين أشد شرًّا من اليهود والنصارى.

يقول ابن المطهر الحلي الذي يلقبونه بالعلامة: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان

---

(١) انظر: مقدمة «البحار» (١٩).

(٢) «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٣٢).

(٣) «الاعتقادات» لابن بابويه (١١١)، وانظر: «البحار» للمجلسي (٢٧/ ٦٢).

(٤) يعنون بهما اللذين أقاما دولة الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ونشرا دينه، الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر.

(٥) «الكافي» كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل إلخ (١/ ٣٧٣)، وانظر: «تفسير العياشي» (١/ ١٧٨)، «تفسير البرهان» (١/ ٢٩٣)، «البحار» (٨/ ٢١٨).

خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[1].

ولقد بلغ بهم الأمر أن أعلنوا المفاصلة الكاملة والبراءة الشاملة لكل فرقة من فرق المسلمين اعتقدت بشرعية خلافة الخليفتين العظيمين أبي بكر وعمر اللذين أقام الله بهما دينه وحفظ شريعته، وفتح الله على أيديهما بلاد هؤلاء المجوس، ومن المعلوم أن جميع الفرق الإسلامية تثبت خلافة الشيخين، فتبرأوا منها جميعًا، فقالوا على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري: «لم نجتمع معهم [يعني الأشعرية] على إله، ولا على نبي، ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[2]. ويقول أيضًا: «الأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار... فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالًا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى... فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار»[3]. وقال شيخهم المازندراني: «المراد بالقدرية والمجوس فيما روي عنه - صلى الله عليه وآله - قال: (القدرية مجوس هذه الأمة) هم الأشاعرة وغيرهم من القائلين بالجبر»[4].

وكذلك لم يسلم التصوف والصوفية من طعنهم وذمهم، سواء معتدلها ومتطرفها، فنسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية، ليسوا مني وإنهم يهود أمتي... إلى أن قال: هم أضل من الكفار وهم أهل النار»[5]. ويقول شيخهم الحر العاملي: «لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة -عليهم

(١) «الألفين لابن مطهر» (ص٣).

(٢) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٩).

(٣) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٨).

(٤) «شرح أصول الكافي» (٥/ ١١).

(٥) «الإثنا عشرية في الرد على الصوفية» (ص١٨).

السلام - ذكر إلا بالذم، وقد صنفوا في الرد عليهم كتبًا متعددة»[1].

ولم يتركوا طائفة من طوائف الأمة ولا فرقة من فرق المسلمين إلا وكفروهم ولعنوهم سواء أكانوا أهل حق، كتكفيرهم ولعنهم لأهل السنة الذين يلقبونهم بالمرجئة، أم كانوا من المبتدعة الضالين كلعنهم وتكفيرهم للقدرية والخوارج؛ جاء في «الكافي»: «عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية[2] وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة»[3]، ولكنهم يخصون أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أهل الحق بمزيد من لعنهم وتكفيرهم.

جاء في الكافي: «اللهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»[4]. ويكشف شيخهم المجلسي شيخ الدولة الصفوية مرادهم بهذا النص بلا تقية أو مواربة حيث يصرح بأن «المراد بالإرجاء هنا تأخير علي عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة»[5]. يعني من لم يؤمن بأن عليًا هو الخليفة الأول لرسول الله ﷺ وقدم عليه أبا بكر ثم عمر ثم عثمان فهو مرجئ عندهم، والإرجاء في اللغة هو التأخير، فهذا تكفير لعموم المسلمين، ثم امتد لعنهم وتكفيرهم إلى أموات المسلمين، يقول المجلسي: «لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه[6]، أو اعتزال أو خارجية، أو إنكار إمامة، إلا للتقية، فإن فعل (يعني صلى عليه تقية) لعنه بعد الرابعة»[7].

(١) «الإثنا عشرية في الرد على الصوفية» (ص١٣)، وقد ذكر محقق الكتاب منها ثمانية عشر كتابًا صنفوها في الرد عليهم.

(٢) صارت الشيعة قدرية فيما بعد فاللعن يشملهم.

(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٣٨٧، ٤٠٩).

(٤) «فروع الكافي» مع شرحه «مرآة العقول» (٤/ ٣٧١).

(٥) «مرآة العقول» للمجلسي (٤/ ٣٧١).

(٦) أوائل الشيعة كانوا جبرية في باب القدر، مشبهة في باب الصفات، ثم جنحوا لطريقة الاعتزال في هذا الباب بعد المائة الثالثة.

(٧) ينظر: «التعليقات على شرح الدواني» لجمال الدين الأفغاني (ضمن كتاب «الأعمال الكاملة للأفغاني» دراسة وتحقيق محمد عمارة ١/ ٢١٥).

ويمتد تكفيرهم أيضًا ليشمل فرقًا هي من طوائفهم تنتمي إلى التشيع مثلهم، سوى أنهم يخالفونهم إما في عدد الأئمة أو أعيانهم، فتتوالى عليهم لعناتهم، وتتعاقب عليهم كلمات التكفير والمعاداة، ولذلك فإن شيخهم مير باقر الداماد يفسر حديث «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» بفرق الشيعة، ويقرر أن الناجية منها طائفته الإمامية[1]، أما أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم من سائر فرق المسلمين فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم لم يدخلوا في اعتقاده في الإسلام أصلًا[2].

بل إنهم يخصون جملة من هذه الفرق الشيعية بلعنهم وتكفيرهم، ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من فرق الشيعة خصوها بالتكفير في نصوص كثيرة، وفي عدد من مصادرهم المعتمدة، ربما لأنهم أقرب فرق الشيعة لأهل السنة، ولذا أخرجوهم من التشيع وعدوهم من النواصب، جاء في الكشي (عمدة مصادرهم في الرجال): «عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت. وقال لي: الزيدية هم النصاب»[3].

وفي «الكافي» - عمدة كتبهم -: «عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن - رضي الله عنه -: إن لي جارين أحدهما ناصبي، والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا زيدي نصب لنا»[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «مرآة العقول» (٤/ ٧١-٧٣).

(٣) «رجال الكشي» (١٩٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٧٩).

(٤) «الكافي» (مع شرحه للمازندراني) كتاب الروضة (١٢/ ٣٠٤)، مفتاح الكتب الأربعة (٨/ ٧٦).

وقال المجلسي: «كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية والواقفة»[1]. والفطحية والواقفة أيضًا من فرق الشيعة، لكنهم خالفوا الإثنى عشرية في عدد الأئمة وأعيانهم، فدخلوا في دائرة اللعن والتكفير.

فهذا حكمهم على فرق الشيعة فما بالك بمن دونهم! حتى إنهم يعدون المخالف لهم في دعواهم وجود المهدي الخرافة، وعدم البيعة لهذا الغائب الموهوم أو عدم الاعتقاد بأنه هو الحاكم الفعلي اليوم على المسلمين، يعدونه في مرتبة في الكفر مثل إبليس[2].

بل إن مجرد محبة أبي بكر وعمر هي عندهم من الكفر، فكفَّروا بذلك المسلمين جميعًا، جاء في البحار: «عن أبي علي الخرساني، عن مولى لعلي بن الحسين - عليه السلام - قال: كنت معه - عليه السلام - في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقًّا ألا تخبرني عن هذين الرجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من أحبهما»[3]. هكذا ينسبون معتقدهم الباطل إلى الإمام علي بن الحسين، وهو - كسائر الأئمة - براء مما ينسبه هؤلاء الروافض إليه[4].

ويظهر أن موجة التكفير للصحابة والقرابة التي سادت نصوصهم وسودت كتبهم قد كان من عقوباتها وآثارها ظهور حالة التنافر والتنابذ والتنابز والتلاعن والتلاحي والتبري بين فرقهم وأفرادهم، كأنها عقوبة مثلية جزاء وفاقًا؛ فهؤلاء الذين أطلقوا ألسنتهم في خير الصحابة ومن دونهم من عموم المسلمين ارتدت سهام ألسنتهم إليهم؛ استمع إلى ما يرويه

(١) «بحار الأنوار» (٣٧/ ٣٤).

(٢) انظر: «إكمال الدين» لابن بابويه (ص١٣).

(٣) «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٣٧-١٣٨).

(٤) قال أبو حازم المدني: ما رأيت هاشميًّا أفقه من علي بن الحسين، سمعته وقد سئل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٤)، وينظر للاستزادة كتابنا: «زبور آل محمد» (ص٣٤-٣٦).

الكشي ويوافقه عليه شيخ طائفتهم الطوسي[1] عن حال أوائل أصحابهم (الخلص) من تبري بعضهم من بعض، ورمي بعضهم لبعض بالزندقة والكفر، حيث يقول في روايته بأنه في سنة ١٩٠هـ اجتمع ستة عشر رجلًا في باب الحسن الثاني، فقال له أحدهم - ويدعى جعفر بن عيسى -: يا سيدي نشكو إلى الله وإليك[2] ما نحن فيه من أصحابنا، فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرؤون منا. فقال: هكذا أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى - صلوات الله عليهم -، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم. وقال: جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة[3].

هذا حال رعيلهم الأول فكيف بمن بعدهم؟ يقول العالم العراقي المعاصر محمود الملاح: «في عصرنا هذا نجد الإثنى عشرية منقسمة إلى أصولية وأخبارية وشيخية وكشفية وركنية وكريمخانية وقزلباشية»[4]، وكلها داخلة في المجموعة الإثنى عشرية وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضًا[5].

ولقد بلغ الصراع والعداء والتبري في عصرنا بين أهم فرق الإثنى عشرية، وهما الأصولية والأخبارية، أن كفر بعضهم بعضًا، ولعن بعضهم بعضًا، وتبرأ بعضهم من بعض، حتى إن من شيوخ طائفة الأخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشيًا من نجاستها،

---

(١) لأن كتاب «رجال الكشي» الموجود بأيدي الشيعة اليوم من اختياره وتهذيبه، أما الأصل الذي وضعه الكشي فقد فُقِد كما يقولون.

(٢) هذا التعبير من الألفاظ المنهي عنها؛ لأنه يقتضي التسوية بين الخالق والمخلوق، فهو نوع من الشرك (الأصغر)، ولذا يجب أن يقول: «نشكوا إلى الله ثم إليك»، وضلال هؤلاء - أعني الروافض - في الشرك الأكبر أعظم من ذلك، ولكن هذا تنبيه للقارئ.

(٣) «رجال الكشي» (ص٤٩٨-٤٩٩).

(٤) في «أصول الشيعة» (١/ ١١١)، وما بعدها تعريف موجز بهذه الفرق.

(٥) «الآراء الصريحة» لمحمود الملاح (ص٨١).

وإنما يقبضها من وراء ملابسه[١]، ويفتي بعضهم بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر[٢]، ويتقاذفون تهم الزندقة والتكفير فيما بينهم[٣].

وهذا شأن المخالفين، حتى ذكر عبد القاهر البغدادي أن «سبعة من القدرية اجتمعوا في مجلس وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم»[٤]. لكن الرافضة لهم في تكفير الآخرين وتكفير بعضهم بعضًا النصيب الأوفى كحال المغضوب عليهم والضالين الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

(١) «الشيخية» لمحمد آل المطلقاني (ص٩).

(٢) انظر: «مع علماء النجف» لمحمد جواد (ص٧٤).

(٣) انظر: «أصول الشيعة» (١/ ١١٨).

(٤) «الفرق بين الفرق» (ص١٨٥).

«نصر اللّه» والمناهج السعودية



يقول نصر اللات في خطابه التحريضي ضد المملكة العربية السعودية وشعبها[1]: «الوقت حان ليقف العالم والدول الإسلامية بوجه السعودية ويوقفونها عند حدها في تصدير التكفير والإرهاب»، ويقول: «هذا الفكر الذي تحمله الجماعات التي تدمر المجتمعات، من أين جاء؟ مدرسة من؟ ثقافة من؟ فتاوى من؟ من يوزع هذا الفكر في العالم ويدرسه في مناهجه التعليمية؟ هذا الفكر التكفيري بكل وضوح المملكة العربية السعودية وبأموال مسلمين وبأموال حج بيت الله الحرام [كذا]».

وهذا كلام يلقى على عواهنه بلا دليل، فالدعاوى إذا لم يكن لها بينات أصحابها أدعياء، ولذلك كان المنهج القرآني أن يقال لكل صاحب دعوى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وهذا كافٍ في إبطال دعوى كل مفترٍ، ولكن مع ذلك نقول له ولأمثاله من المأجورين عملاء المجوسية الصفوية: رمتني بدائها وانسلت، بل مناهج أسياده أصحاب ولاية الفقيه هي التي تكفر عموم المسلمين، في حين أن مناهجنا[2] هي التي تقول - كما جاء في المرجع الرئيس في كليات الشريعة الذي ندرسه لطلابنا -: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[3]، وتقول: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين»[4]، قال شارح «الطحاوية»: «والمراد بقوله: أهل قبلتنا من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء ومن أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ»[5].

---

(١) الجمعة ١٧ إبريل ٢٠١٥م.

(٢) الأمثلة كثيرة لكني اقتصرت على النقل فقط من المرجع الرئيس للعقيدة في كليات الشريعة وأصول الدين والدراسات الإسلامية، والمتخرج منها يدرس في الابتدائي والمتوسط والثانوي والمعاهد.

(٣) متن «الطحاوية» (ص٦٠).

(٤) متن «الطحاوية» (ص٥٦).

(٥) شرح «الطحاوية» (ص٣٥٠ - ٣٥١).

وتقول: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم، ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى»[1].

أما مناهج أسياده المنصوص عليها في الدستور الإيراني في مادته الثانية، وما جاء في مناهجهم الدراسية ومصادرهم المعتمدة فهي تقرر وتؤسس أصول العنف والعدوان والتحريض والتكفير لجميع المسلمين من زمن الصحابة إلى يومنا هذا، بل يشمل تكفيرهم جميع فرق المسلمين وطوائفهم.

بل يتجاوز تكفيرهم إلى تكفير من رضي الله عنهم ورضوا عنه ولخير جيل عرفته البشرية، وهم الصحابة رضي الله عنهم، جاء في «رجال الكشي» - أهم وأوثق كتاب عندهم في الرجال -: «ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد...»[2]، وفي «الكافي» - أهم وأوثق كتاب لهم في الرواية عن أئمتهم الذين يدعون عصمتهم -: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد ابن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»[3].

وفي «الكافي» أيضًا: «عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر ع: جعلت فداك ما أقلنا! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة»[4].

وخصوا بتكفيرهم أفضل هذه الأمة بعد النبيين، خلفاء رسول الله ﷺ وأحبابه وأصهاره

---

(١) متن «الطحاوية» (ص٦٧).

(٢) «رجال الكشي» (ص١١- ١٢).

(٣) «الكافي» (مع شرح جامع للمازندراني) كتاب الروضة (١٢/ ٣٢١- ٣٢٢).

(٤) «أصول الكافي» كتاب الإيمان والكفر، باب قلة عدد المؤمنين (٢/ ٢٤٤)، وانظر: «رجال الكشي» (ص٧)، «بحار الأنوار» (٢٢/ ٣٤٥).

ومن أمرنا بالاقتداء بهم، أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين، وعقد شيخ الدولة الصفوية المجلسي في كتابه «البحار» بابًا بعنوان: «باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم»[1]، بل قالوا في أهم مصدر معتمد لديهم: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إمامًا من الله، ومن زعم أن لهما [يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما] في الإسلام نصيبًا»[2].

بل وصل تكفيرهم إلى أهل البيت، الذين يزعمون اتباعهم، ويخدعون الناس بشعار التشيع لهم! فترى أن مصادرهم المعتمدة تكفرهم وتحكم عليهم بالردة ضمن تكفيرهم لعموم الأمة، فتصدر صكوك التكفير العامة التي تتناول جميع أفراد ذلك المجتمع المثالي الفريد، مجتمع الصحابة، ولا تستثني منهم جميعًا سوى ثلاثة، وإن زادت على ذلك لم تتجاوز السبعة، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض الروايات عندهم جاء فيها استثناء علي رضي الله عنه فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة»[3].

فهذا حكم بالكفر على جميع آل بيت رسول الله ﷺ من آل عقيل وآل علي وآل جعفر وآل العباس وآل الحارث وأمهات المؤمنين؛ لأن صيغة الحصر في اللغة العربية تقتضي ذلك، ونصوص تكفيرهم جاءت بأسلوب الحصر والقصر، فلا يخرج منه أحد إلا ما استثني.

بل إن مصادر أسياده المعتمدة لديهم خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ على سبيل التعيين كعم النبي ﷺ العباس، حتى قالوا إنه نزل فيه

---

(١) «بحار الأنوار» (٨/ ٢٠٨-٢٥٢) من الطبعة الحجرية.

(٢) «الكافي» كتاب الحجة، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل إلخ (١/ ٣٧٣).

(٣) انظر: «تفسير العياشي» (١/ ١٩٩)، «البرهان» (١/ ٣١٩)، «الصافي» (١/ ٣٠٥).

قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢][1]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في «الكافي» ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيف العقل[2]، وفي «رجال الكشي»: «اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلًا على عمى قلوبهما»[3]. وعلق على هذا شيخهم المصطفوي فقال: «هما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس»[4].

كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[5] وحفصة[6] - رضي الله عنهن جميعًا - بالذم واللعن والتكفير، وقد عقد شيخ الدولة الصفوية المجلسي بابًا بعنوان باب أحوال عائشة وحفصة ذكر فيه ١٧ رواية[7]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[8]، وذلك في كتابه «بحار الأنوار» المعتمد لدى الشيعة الصفويين المعاصرين، حتى قالوا على لسان أحد شيوخهم إنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب.

وقد آذوا رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء من خلال هذه النصوص وأمثالها.

كما يكفر هؤلاء جميع حكومات المسلمين وحكامهم، فقد قالوا في أهم وأوثق كتاب

---

(١) «رجال الكشي» (ص٥٣).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٢٤٧).
(٣) «رجال الكشي» (ص٥٣).
(٤) «رجال الكشي» (ص٥٣) الهامش.
(٥) انظر: «أصول الكافي» (١/ ٣٠٠)، «رجال الكشي» (ص٥٧-٦٠)، «بحار الأنوار» (٥٣/ ٩٠).
(٦) انظر: «بحار الأنوار» (٢٢/ ٢٤٦).
(٧) «بحار الأنوار» (٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧).
(٨) حيث قال: «قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده - صلى الله عليه وسلم - في قصص مارية وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك [انظر كيف يقلبون الحقائق] وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل» («بحار الأنوار» ٢٢/ ٢٤٥).

عندهم في الرواية: «كل راية ترفع قبل راية القائم[1] ع صاحبها طاغوت»[2]. قال شارح الكافي: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[3]. أي إن كل حكومة تقوم فهي حكومة غير شرعية حاكمها طاغوت من الطواغيت، وإن كان يدعو للحق ويعمل به فهذا لا يشفع له عندهم، ومن يبايع هذا الحاكم فهو مشرك ظالم مستحق للخلود في النار.

بل كفروا جميع قضاة المسلمين وعدوهم طواغيت، واعتبروا حكمهم وجميع أحكامهم ليست لها صفة شرعية بأي حال مهما كان عدلهم وموافقتهم للكتاب والسنة، لا لشيء إلا لارتباطهم بالإمامة الباطلة - بزعمهم -، والإمامة الباطلة عندهم هي كل حكومة لا تخضع للولي الفقيه.

فقد جاء في «الكافي» عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله - عليه السلام - عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتا، وإن كان حقا ثابتا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]»[4].

وقد علق الخميني على هذا النص بقوله: «الإمام - عليه السلام - نفسه ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت»[5].

وتكفيرهم يمتد إلى الحكم بالكفر والخلود في النار لجميع الفرق الإسلامية، معتدلها

(١) القائم من ألقاب مهديهم المنتظر.
(٢) «الكافي» (مع شرحه للمازندراني) (١٢/ ٣٧١)، «بحار الأنوار» ٢٥/ ١١٣، «الغيبة للنعماني» (٥٦-٥٧).
(٣) «الكافي» (مع شرحه للمازندراني) (١٢/ ٣٧١).
(٤) «أصول الكافي» (١/ ٦٧).
(٥) «الحكومة الإسلامية» (ص٧٤).

ومتشددها، قريبها وبعيدها، سنيها وبدعيها، ناصبيها وشيعيها، ولا يستثنون سوى طائفتهم.

ولا تظن أن في الأمر مبالغة أو تحاملًا، بل هي الحقيقة المظلمة، فنصوصهم وأقوال شيوخهم في التبري واللعن والتكفير لفرق المسلمين يملأ سوادها المجلدات، ينقل شيخهم المفيد في كتابه «أوائل المقالات» - الذي يعده المعاصرون من شيوخهم عمدة في بيان اعتقادهم[1] - إجماعهم على تكفير الفرق الإسلامية كلها وأنهم من أهل النار أجمعين، حيث يقول: «اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار.. ومن مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[2].

قارن هذا النص بما يقرره أهل السنة من القول بأن جميع أهل البدع لا يكفرون[3].

بل إنهم يخصون جملة من الفرق الشيعية بلعنهم وتكفيرهم، ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من فرق الشيعة نالهم الذم والتكفير في نصوص كثيرة، وفي عدد من مصادرهم المعتمدة، جاء في «الكشي» - عمدة مصادرهم في الرجال -: «عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت. وقال لي: الزيدية هم النصاب»[4].

وفي «الكافي» - عمدة كتبهم في الحديث -: «عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه: إن لي جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هم سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع

---

(١) ذكر ذلك شيخهم محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت، وذلك في كتابه «الشيعة في الميزان» (ص١٤).

(٢) «أوائل المقالات» (٥٣).

(٣) قال الإمام النووي: «واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع» (شرح صحيح مسلم ١/ ١٥٠).

(٤) «رجال الكشي» (١٩٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٧٩).

القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا زيدي نصب لنا»[١].

وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» - الذي يعده المعاصرون المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب[٢] - بابًا في هذا الشأن بعنوان باب كفر المخالفين والنصاب[٣]، وعد كل من لم يؤمن بإمامة واحد من الأئمة الاثني عشر في عداد المشركين، وأوجبوا بالتالي: البراءة منه، لأن البراءة من المشركين لازمة، كما عدوه في عداد الظالمين الملعونين قال القمي: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون...»[٤]، فهذا حكم بالتكفير شامل للحاكم والمحكوم من المسلمين ولا يستثنون.

ولذا فسر أحد شيوخ الدولة الصفوية حديث: «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» بفرق الشيعة، وقرر أن الناجية منها طائفته الإمامية، أما أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والخوارج وغيرهم من سائر فرق المسلمين فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم لم يدخلوا في اعتقاده في الإسلام أصلًا[٥].

فهم لم يبقوا من فرق المسلمين سوى من قال بإمامة أئمتهم ومن يدور في فلك ولاية الفقيه، بل اعتبروا المخالفين لهم من المسلمين أشد كفرًا من اليهود والنصارى. يقول ابن المطهر الحلي الذي يلقبونه بالعلامة: «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[٦].

---

(١) «الكافي» (مع شرحه للمازندراني) كتاب الروضة (١٢/ ٣٠٤)، «مفتاح الكتب الأربعة» (٨/ ٧٦).

(٢) انظر: مقدمة «البحار» (١٩).

(٣) «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٣٢).

(٤) «الاعتقادات لابن بابويه» (١١١)، وانظر: «البحار» للمجلسي (٢٧/ ٦٢).

(٥) «التعليقات على شروح الدّوّاني للعقائد العضدية» (ضمن كتاب «الأعمال الكاملة للأفغاني» دراسة وتحقيق: محمد عمارة ١/ ٢١٥).

(٦) «الألفين» لابن مطهر الحلي (ص٣).

ولقد بلغ بهم الأمر أن أعلنوا المفاصلة الكاملة والبراءة الشاملة لكل فرقة من فرق المسلمين؛ لأن كل الفرق الإسلامية ما عدا الرافضة تثبت خلافة الشيخين، ولذا يقول شيخهم الصفوي نعمة الله الجزائري مبينًا أبعاد هذه البراءة من فرق المسلمين: «لم نجتمع معهم على إله، ولا على نبي، ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[1].

هذه نصوص التكفير عامة، وبإزائها نصوص خاصة تتناول الفرق الإسلامية على سبيل التخصيص والتعيين، كلعنهم لأهل السنة الذين يلقبونهم بالمرجئة، ولعنهم للقدرية والخوارج. جاء في «الكافي»: «عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية[2] وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة»[3].

أما المكفرات عند أسياده فإليك بعضها:

١ - من لم يدفع ٢٠٪ من دخله للولي الفقيه فهو في عداد الكافرين، فتقرر رواياتهم أن مانع الخمس في عداد الكافرين ومن رؤوس الظالمين وهو إنما يأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيرًا، جاء في الوسائل: «ومن أكل من مالنا شيئًا فإنما يأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيرًا»[4]، عن أبي بصير قال: قلت: «ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهمًا، ونحن اليتيم»[5].

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٩).

(٢) صارت الشيعة قدرية فيما بعد، فاللعن يشملهم.

(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٣٨٧، ٤٠٩).

(٤) «وسائل الشيعة» (٦/ ٣٧٧)، «إكمال الدين» (ص٢٨٧)، «الاحتجاج» (٢٦٧-٢٦٨).

(٥) «وسائل الشيعة» (٦/ ٣٧٤)، «من لا يحضره الفقيه» (١/ ١٣)، «إكمال الدين» (٢٨٨)، «مفتاح الكتب الأربعة» (١١/ ٢٥٩).

يقول العالم الأزهري الشهير د. علي السالوس: «إن مسلمي اليوم إن أرادوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر فعليهم أن يجمعوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا بها إلى علماء الجعفرية»[1].

٢-من لم يؤمن بالغائب الموهوم الذي ينوب عنه الولي الفقيه فهو أكفر من إبليس، قال ابن بابويه القمي: «ومثل من أنكر القائم - عليه السلام - في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم»[2].

وقد خرَّجت هذه المناهج الصفوية التكفيرية الغالية فرق الموت التي هي مصدر الإرهاب والقتل في الشام والعراق واليمن وغيرها.

بل جاءت مبادئ أسياده بالأمر بقتل كل مخالف، بل تتوعد العالم كله بتصفية شاملة لا تبقي سوى أصحاب ولاية الفقيه. تقول مصادرهم إن إمامهم سئل: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: «حلال الدم، ولكن أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل»[3].

وأما أحلامهم الدموية التي تكون على يد مهديهم عند خروجه، ويتولاها اليوم الولي الفقيه بحكم نيابته العامة وفق النحلة الخمينية، فلا يمكن تصورها من هولها وشدتها، قالوا: «ما لمن خالفنا في دولتنا نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا»[4].

يقول مرجعهم المعاصر وآيتهم العظمى محمد الصدر: «إن المهدي - عليه السلام - [والولي الفقيه ينوب عنه] يبدأ بغزو العالم انطلاقًا من الكوفة، وذلك بإرسال السرايا وبث

(١) «أثر الإمامة في الفقه الجعفري» (ص٣٩٤) الهامش.

(٢) «إكمال الدين» (ص١٣).

(٣) «علل الشرائع» لابن بابويه (ص٢٠٠)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ٤٦٣)، «بحار الأنوار» (٢٧/ ٢٣١).

(٤) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٧٦).

الجيوش المتكاملة للقيام بهذه المهمة»[1] يعني قتل البشرية واستئصالها. ثم يقول: «وهذا القتل الشامل للبشرية كلها يتعين حصوله بحرب عالمية شاملة قوية التأثير»[2].

ولذا قرر الباحثون أن هذه الثقافة التكفيرية الدموية ترجع في جذورها إلى اليهودية التلمودية، ويكفي منها ما جاء في توراتهم المحرفة من قولهم: «وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما»[3]، وما جاء في التلمود من قولهم: «اقتل الصالح من غير الإسرائيلي، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[4]، وفيه أيضًا: «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر[5]، لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانًا لله»[6].

ولكن المجوسية الصفوية تجاوزت جرائمها جرائم اليهود، كما يشهد بذلك تاريخهم وواقعهم.

وفي النهاية نقول لنصر الله وفق أسلوبه: هذا التكفير للأمة جميعًا حكامًا ومحكومين، واستحلال دماء كل المخالفين - حتى الفرق الشيعية -، وتوعد البشرية كلها بحرب لا تبقي ولا تذر، ثقافة من هذه؟ ودين من هذا؟

إنها ثقافة الصفويين، ودين المجوس الحاقدين، وسادية متوحشة من فيض المآتم ودعاوى الصراع المفتعل بين الآل والأصحاب، ليس هذا من هدي علي رضي الله عنه، ولا من هدي شيعة علي.

---

(١) «تاريخ ما بعد الظهور» (ص٤٥٠).

(٢) «تاريخ ما بعد الظهور» (ص٤٨٣).

(٣) سفر التثنية (٢٠: ١٦).

(٤) «الكنز المرصود» (ص٢٠٣)، ط. الشرقاوي.

(٥) الكافر في اصطلاح التلمود هو غير اليهودي.

(٦) المصدر السابق (ص٢٠٥).

عودة الغزو الباطني(*)

(*) سبق نشر هذا المقال في جريدة «اليوم»، وأحدث صدى واسعًا، وردود أفعال متباينة، وضجة كبيرة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث كشف النقاب عن حقيقة الخطط الباطنية الإرهابية وجذورها العقدية التي تهدد كيان الأمة الإسلامية ووجودها، لكن اكتفى أذناب الرافضة بالتشنيع عليه بدعوى أنه مقال يصنع الطائفية! ولم يستطيعوا الجواب عن النصوص الصريحة الجلية المنقولة من مصادرهم وعلى ألسنة شيوخهم.

لقد جربت الأمة في تاريخها الكيد الباطني، وعانت من آثاره النكدة سواء أكان على مستوى الدول الباطنية التي كانت خنجرًا في ظهر الأمة كالدولة العبيدية، والدولة الصفوية، وأخيرًا الدولة الخمينية المعاصرة، أم على مستوى الأفراد الذين تسللوا إلى حكومات الدول الإسلامية فكان دأبهم الخيانة وديدنهم الغدر وولاؤهم لأعداء الأمة كعلي بن يقطين والنصير الطوسي وابن العلقمي قديمًا، وكنصر اللات، وسفاح سوريا، وحوثي اليمن، ومالكي العراق وعباديه حديثًا، وغيرهم ممن تحركهم ملالي إيران وفق مصالحها.

وقد عاد الغزو الباطني اليوم متعاونًا مع المستعمر وهو يحمل شعارات شتى من أبرزها شعار التشيع، وذلك بهدف التآمر على الشيعة واتخاذهم وسيلة للتآمر على الأمة، وقد كشف الباحثون من أهل العلم والتحقيق عن هذه الوسيلة من قديم، ولعل أول من تحدث عن ذلك ابن حزم حيث قال: «إن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق... فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام»[1].

لقد عاد هذا الغزو الباطني من جديد على أوسع نطاق، وبمختلف الوسائل بعد قيام ثورة الملالي في إيران، بل فرضوا في دستور دولتهم على أتباعهم القيام بهذا الغزو لديار المسلمين، وجعلوه أول أهدافهم، بل رسالتهم الأساسية التي يسعون لتحقيقها، وذلك لبسط نفوذهم

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ٩١).

في كافة أرجاء العالم باسم التشيع، فنص دستورهم على أن «جيش الجمهورية الإسلامية، وقوات حرس الثورة الإسلامية لا يتحملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضًا بحمل رسالة عقائدية، أي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم»[1].

كما دعا شيخهم الخميني إلى «تصدير ثورته» إلى العالم الإسلامي حيث يقول: «إننا نريد أن نصدِّر ثورتنا الإسلامية إلى كافة البلاد الإسلامية»[2]، وهو لا يريد التصدير السلمي فحسب؛ بل يريد فرض نحلته على المسلمين بالقوة كما فعل أسلافه في الدولة الصفوية، وقد أشار إلى ذلك قبل قيام دولته، وقرر أن سبيل ذلك هو إقامة دولة شيعية تتولى هذا الأمر، فيقول: «نحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية[3] وتحرير أراضيها من يد المستعمرين وإسقاط الحكومات العميلة لهم؛ إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، وهذه بدورها سوف تتكلل أعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة، وتدمر الأوثان والأصنام البشرية التي تنشر الظلم والفساد في الأرض»[4].

وهذا تطور خطير لهذه النحلة على يد الخمينية لم يعرف عن أسلاف الإثنى عشرية، فقد كانت عقيدتهم قديماً تقوم على وجوب الانتظار حتى يخرج إمامهم الذي ينتظرون عودته من غيبته منذ أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة، ولهذا بوب المجلسي في «بحار الأنوار» بابًا سماه: «باب فضل انتظار الفرج، ومدح الشيعة في زمن الغيبة، وما ينبغي فعله في ذلك الزمان»[5]، وذكر فيه ٧٧ رواية. وقالوا بأن المنتظر كالمجاهد في سبيل الله، وجاء في مصادرهم: «كل راية

---

(١) «الدستور لجمهورية إيران الإسلامية» (ص١٦) منشورات مؤسسة الشهيد، وانظر: الطبعة الأخرى من الدستور التي أصدرتها وزارة الإرشاد الإيرانية (ص١٠).

(٢) «خطاب الخميني حول مسألة تحرير القدس والمهدي المنتظر» (ص١٠).

(٣) يعني على مذهب الروافض.

(٤) «الحكومة الإسلامية» (ص٣٥).

(٥) «بحار الأنوار» (٥٢/ ١٢٢-١٥٠)، وانظر: «إكمال الدين» (ص٦٠٣) وما بعدها.

ترفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت، وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[١].

وعقيدة الانتظار عندهم لا تعني أيضًا موادعة الحكومات، ومسالمة شعوبها، وإنما تعني العمل السياسي والتمهيد للقيام بالثورات المسلحة، ولذا يقول شيخهم المعاصر عبد الهادي الفضلي - عند حديثه عن مهديهم المنتظر ووجوب التوطئة والتمهيد لظهوره -: «إن الذي يفاد من الروايات في هذا المجال هو أن المراد من الانتظار هو وجوب التمهيد والتوطئة بظهور الإمام المنتظر»[٢]، ثم يشرح معنى التوطئة بقوله: «إن التوطئة لظهور الإمام المنتظر تكون بالعمل السياسي عن طريق إثارة الوعي السياسي، والقيام بالثورة المسلحة»[٣].

فأنت ترى من خلال هذه الأقوال رفضهم لأي حكومة إسلامية إلا حكومة على مذهبهم، والأمر بتهيئة الناس لقبول نحلتهم عن طريق نشر معتقداتهم بمختلف الوسائل، وتكوين الخلايا والتنظيمات السرية التي تعمل على تحقيق أهدافهم، وهو ما يسميه الفضلي بـ«الوعي السياسي»!

وأول أهداف هذا الغزو الباطني الشعوبي هو محاولة استئصال الجنس العربي نفسه، ولذا جاء في نصوصهم الباطنية قولهم: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[٤].

لذلك فإنه وبعد نجاح ثورة الملالي في إيران أصروا على استمرار الحرب في العراق طيلة ثمان سنوات، قتل فيها من أهل العراق مئات الآلاف من سنة وشيعة، ولم يوقفوا الحرب إلا مضطرين، وقد أعلن كبيرهم وقتها أن إيقاف الحرب بمثابة شرب السم.

ولم يكن هدفهم قتل العرب فقط، بل قتل الشيعة المعتدلين أيضًا، خاصة الزيدية، ولذلك جاء في مصادرهم عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى

(١) «الكافي» بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)، «بحار الأنوار» (٢٥/ ١١٣).
(٢) «في انتظار الإمام» (ص٦٩).
(٣) «في انتظار الإمام» (ص٧٠).
(٤) «الغيبة» للنعماني (ص٢٤١)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٤٩).

الزيدية؟ قال: «لا تصدّق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت»، وقال لي: «الزيدية هم النُّصَّاب»[1].

وفي «الكافي» عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن - عليه السلام -: «إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي، ولابد من معاشرتهما، فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، هو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا الزيدي نصب لنا»[2].

وتصور نصوصهم ما سيفعلونه بالزيدية وهم في اليمن اليوم إذا تم أمرهم، وقامت دولتهم بقيادة الولي الفقيه.

تقول نصوصهم: «إذا قام القائم[3] سار إلى الكوفة[4]، فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس [كذا] يدعون البترية[5] عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم»[6].

فالزيدية - كما ترى - هم هدف من أهداف هؤلاء المتسترين بالتشيع، ولعل هذا ما يمهدون له اليوم في اليمن، حيث يجمعهم القول بولاية الفقيه الذي ينوب عن القائم، ويتم تنفيذ هذه المجازر الدموية على يديه لا يختلف في ذلك حوثية اليمن مع نصر اللات في لبنان إلى هبل إيران، ومن يشاركهم في مذهبهم من أصحاب العمائم السوداء التي تحكي سواد قلوبهم وسوء أهدافهم. وأخطر من ذلك التربص بالحجاج والمعتمرين لقتلهم حتى بات

(١) «رجال الكشي» (ص١٩٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/ ١٧٩).
(٢) «الكافي» (٨/ ٢٣٥)، «وسائل الشيعة» (١١/ ٥٠٠).
(٣) والولي الفقيه ينوب عنه بحكم العقيدة الخمينية الجديدة.
(٤) لأن وجودهم في ذلك الوقت في الكوفة.
(٥) هم الزيدية المعتدلون أصحاب الحسن صالح بن حي، وهي أقرب فرق الزيدية لأهل السنة. (انظر عنهم: «مقالات الإسلاميين» ١/ ١٤٤، «الملل والنحل» ١/ ١٦١، «الخطط» ٢/ ٣٥٢).
(٦) «الإرشاد» (ص٤١١-٤١٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

ذلك أمنية يتمنون تحقيقها، تقول نصوصهم: «كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة»[1].

ومن المعلوم أنه لا يسعى بين الصفا والمروة إلا الحجاج والمعتمرون، وهذا ما وقع من أسلافهم القرامطة.

وليس ذلك فحسب، بل إن من أهدافهم هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي بدعوى ردهما إلى أساسهما، حيث تنص أقوالهم التي لها صفة القداسة والعصمة عندهم على «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وإقامته على أساسه»[2]، والحقيقة أنه لا حرمة لديهم لبيت الله الحرام؛ لأنهم قرروا بكل صراحة في كتبهم المعتمدة لديهم أن الكعبة ليست سوى ذَنَب ذليل مهين لأرض كربلاء، فقالوا: «إن الله أوحى إلى أرض الكعبة... لولا تربة كربلاء ما فضلتكِ، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتكِ، ولا خلقت البيت الذي افتخرتِ به، فقري واستقري وكوني ذنبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بكِ، وهويت بكِ في نار جهنم»[3]. وقد تغنى بذلك أحد مراجعهم المعاصرين، فقال:

ومن حديث كربلا والكعبة

لكربلا بان علو الرتبة[4]

ثم يبلغ الحقد الباطني مداه في حكاية حلم يسعون إلى تحقيقه، وهو نبش قبر أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، تقول مصادرهم: «أول ما يبدأ به القائم... يخرج هذين رطبين

(١) «بحار الأنوار» (٤٧/ ٧٩).

(٢) «الغيبة» (ص٢٨٢)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٣٨).

(٣) «كامل الزيارات» (ص٤٥٠)، «وسائل الشيعة» (١٠/ ٤٠٣)، «بحار الأنوار» (٩٨/ ١٠٧).

(٤) هو محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه: «الأرض والتربة الحسينية» (ص٥٥ -٥٦).

غضين فيحرّقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد»[1]. وفي رواية: «ثم يخرجهما يعني صاحبي رسول الله غضين رطبين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما، ثم ينزلهما ويحرّقهما، ثم يذريهما في الريح»[2].

ونسبوا إلى الله – سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون – أنه قال لنبيه حينما أسرى به: «وهذا القائم... هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى [يعنون خليفتي رسول الله] طريين فيحرقهما»[3].

يقول آيتهم العظمى عبد الحسين الرشتي: «أما مسألة نبش قبر صاحبي رسول الله وإخراجهما حيَّيْن وهما طريان وصلبهما على خشبة وإحراقهما؛ لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم إلى يوم القيامة منهما فأوزارها عليهما؛ فمسألة عويصة جدًّا، وليس عندي شيء يرفع هذا الإشكال، وقد صح عن أئمتنا أن أحاديثنا صعب مستصعب»[4]. فتأمل مبلغ هذا الحقد الباطني الذي يتجاوز حدود العقل، فتراهم ينتقمون من الأموات بنبش قبورهم، وصلبهم، وإحراقهم، فإذا كان هذا حقدهم على الأموات فما بالك بحقدهم على الأحياء! وإذا كان هذا حقدهم على صفوة الأمة فما بالك بمن دونهم! كما قال بعض السلف: «لا يغلّ قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[5].

وقد كشف لنا آيتهم حسين الخراساني أنه لا يوجد شيعي صفوي[6] على وجه الأرض إلا ويتمنى فتح مكة والمدنية، وإزالة الحكم الوهابي – كما يسميه – عنها، فقال: «إن طوائف

(١) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٨٦).

(٢) «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٨٦).

(٣) «عيون أخبار الرضا» (١/ ٥٨)، «بحار الأنوار» (٥٢/ ٣٧٩).

(٤) «كشف الاشتباه» (ص١٣١).

(٥) «الإبانة لابن بطة» (ص٤١).

(٦) لأنه يعبر عن شيعته الصفويين لا شيعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يومًا قريبًا آتيًا يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى [كذا] ليدخلوها آمنين مطمئنين فيطوفوا ببيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور سادتهم ومشايخهم.. ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب أموالهم المحترمة ظلمًا وعدونًا، حقق الله تعالى آمالنا»[1]. هكذا يتمنى هذا الصفوي فتح الديار المقدسة، وكأنها بيد كفار، ويعلل هذا التمني بأنه يريد الحج والزيارة، وكأنه وطائفته قد منعوا من ذلك، والواقع أنه يريد إقامة الشرك وهدم التوحيد في الحرمين الطاهرين.

وبعد ثورة الملالي وفي احتفال رسمي جماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لثورة خميني ألقى أحد شيوخهم د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، وصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود»[2]، ثم ذكر أنه حين تثبت ثورتهم على أقدامها سينتقلون إلى القدس ومكة المكرمة وإلى أفغانستان[3]. هكذا يرى أن مكة وهي تستقبل كل عام الحجيج من كل فج عميق، ويرتفع عليها علم التوحيد، ويأمن فيها كل معتمر وحاج، يرى أن هذا كوضع القدس الذي يحتله اليهود، ووضع أفغانستان التي كان يحتلها الملاحدة الشيوعيون، فأي هدف ينشده في السير إلى مكة؟!

ولذا نشرت مجلة «الشهيد» الإيرانية لسان حال علماء الصفوية في قم في العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ صورة تمثل الكعبة المشرفة وإلى جانبها صورة المسجد

(١) «الإسلام على ضوء التشيع» (ص١٣٢-١٣٣).

(٢) تحكم الصفوية على جميع المسلمين بأنهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وانظر - مثلًا - ما قاله شيخهم الحلي الملقب عندهم بالعلامة في كتابه «الألفين» (ص٣).

(٣) أذيعت هذه الخطبة من «صوت الثورة الإسلامية» من عبادان الساعة ١٢ ظهر يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م (انظر: «وجاء دور المجوس» ص٣٤٤).

الأقصى المبارك، وبينهما يد قابضة على بندقية، وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[1].

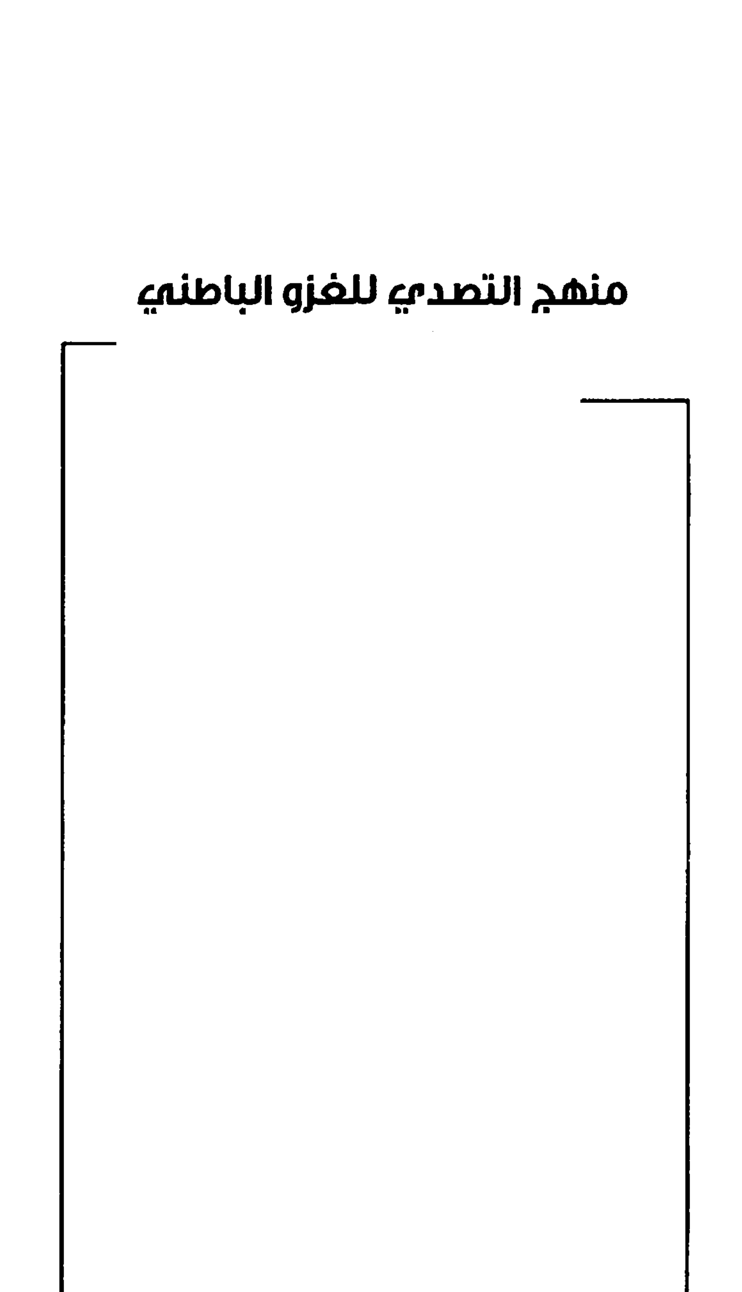
هذه أهدافهم قد كشفوها بألسنتهم مع أنهم أهل تقية وكتمان، لكنهم مبتلون - كما قالوا عن أنفسهم - بـ «النزق[2] وقلة الكتمان»[3].

(١) انظر: مجلة «الشهيد»، العدد المذكور، وانظر: جريدة «المدينة» الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ، وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده أثناء زيارته لإيران، حيث يقول إنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران، والذي يقيمون فيه، شعارات كتب فيها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار» (انظر: «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد ص٩).

(٢) الخفة والطيش.

(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

منهج التصدي للغزو الباطني



لا شك بأن بيان حال الفرق الخارجة عن الجماعة، والمجانبة للسنة ضروري لرفع الالتباس، وبيان الحق للناس، ونشر دين الله سبحانه، وإقامة الحجة على تلك الطوائف ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة فإن الحق لا يكاد يخفى على أحد، وإنما يضلل هؤلاء أتباعهم بالشبهات والأقوال الموهمة، ولذلك فإن أتباع تلك الطوائف هم ما بين زنديق، أو جاهل، ومن الضروري تعليم الجاهل، وكشف حالِ الزنديق ليُعرف ويُحذر.

وبيان حال أئمة البدع المخالفة للكتاب والسنة واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء[1].

وقد وجد العدو المتربص بالأمة في هذه الفرق الخارجة عن الجماعة، وسيلة لإيقاع الفتنة في الأمة، وهذا الكلام قد قلته بعيد الثورة الإيرانية.

ثم قلت معلقًا عليه: ولا يبعد أنه اليوم يريد أن يستثمر هذه المسألة لمواجهة بوادر البعث الإسلامي المتنامي في أرجاء المعمورة، والوقوف في وجه المد الإسلامي الذي امتدت آثاره إلى عقر داره، لأنه يتخذ من تقارير مستشاريه - الذين يهتمون أبلغ الاهتمام بتاريخ تلك الطوائف وعقائدهم - منهجًا يحتذيه في علاقته مع المسلمين ودولهم، ولذا نلحظ أنه يغذي بعض هذه الطوائف، ويهيئ الوسائل لوصولها لدفة الحكم والتوجيه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٢).

ولا شك أن بيان الحق في أمر هذه الفرق فيه تفويت للفرصة أمام العدو لتوسيع رقعة الخلاف واستمراره؛ فإن ترك رؤوس زنادقة البدع يسعون لإضلال الناس، ويعملون على تكثير سوادهم، والتغرير بأتباعهم، ويدعون أن ما هم عليه هو الإسلام، هو من باب الصد عن دين الله وشرعه، حتى إن من أسباب خروج الملاحدة ظنهم أن الإسلام هو ما عليه فرق أهل البدعة، ورأوا أن ذلك فاسدٌ في العقل فكفروا بالدين أصلًا.

ومعظم الفرق التي خرجت عن الجماعة ضعف نشاطها اليوم، وفتر حماسها وتقلص أتباعها، وانكفأت على نفسها، وقلَّت منابذتها أهل السنة سوى طائفة الإثنى عشرية التي تسمى في عصرنا بالشيعة، فإن هجومها على أهل السنة، وتجريحها لرجالهم، وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيع بينهم يزداد يومًا بعد يوم، وهي أشد فرق الشيعة سعيًا لإضلال العباد إن لم تكن الفرقة الوحيدة التي تُكثر من التطاول على السنة، والكيد لها على الدوام مما لا تجده عند فرقة أخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كانت من جهتهم، وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون، اختلقوا أكاذيب، وابتدعوا آراء فاسدة، ليفسدوا بها دين الإسلام، ويستزلوا بها من ليس من أولي الأحلام»[1]، وقال أيضًا: «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة»[2].

واهتمام هذه الطائفة بنشر مذهبها والدعوة إليه أمر لا ينكر، ولديها دعاة متفرغون ومنظمون، ولها في كل مكان (غالبًا) خلية ونشاط، وتوجه جل اهتمامها في الدعوة لنحلتها

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٧٠).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٧٢).

في أوساط أهل السنة، ولا أظن أن طائفة من طوائف البدع تبلغ شأو هذه الطائفة في العمل لنشر معتقدها والاهتمام بذلك، فهي اليوم تسعى جاهدة لنشر مذهبها في العالم الإسلامي، وتصدير ثروتها، وإقامة دولتها الكبرى بمختلف الوسائل.

وقد تحولت سفارات دولة الشيعة في إيران إلى مركز للدعوة إلى مذهبها في صفوف الطلبة، والعاملين المسلمين في العالم. وهي تهتم بدعوة المسلمين أكثر من اهتمامها بدعوة الكافرين (١).

ولا شك أن المسؤولية كبيرة في إيضاح الحقيقة أمام المسلمين، ولاسيما الذين دخلوا في سلك التشيع حبًّا لأهل البيت واعتقادًا منهم أن هذا الطريق عين الحق، وطريق الصدق. كما أن هذه الفرقة لها اهتمام دعائي في الدعوة للتقارب مع أهل السنة، وقد أقامت المراكز، وأرسلت الدعاة، وأنشأت الجمعيات التي ترفع شار الوحدة الإسلامية (٢).

لذا كان من الواجب المتعين وضع منهج لمقاومة هذا الغزو الرافضي الباطني لديار المسلمين، وهو يقوم على أصلين:

الأول: التحصين الذاتي للأمة ببيان السنة ونشرها، والتحذير من البدعة وفضحها.

والثاني: مواجهة البدعة والمبتدعين بالوسائل الشرعية المناسبة للحال والزمان والمكان .

أما الأول فإن خير سبيل لمقاومة البدعة ودرء الفرقة هو نشر السنة بين الناس، وبيان ضلال الخارجين عنها، ولذلك نهض أئمة السنة بهذا الأمر كما فعل الإمام أحمد في «الرد على الزنادقة والجهمية»، والإمام البخاري في «الرد على الجهمية»، وابن قتيبة في «الرد على الجهمية والمشبهة»، والدارمي في «الرد على بشر المريسي»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الرافضة والجهمية وغيرهم.

---

(١) انظر سبب ذلك في: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٨).

(٢) انظر: «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة».

وأما الثاني فإنه لابد عند مواجهة المبتدعة من التعامل معهم وفق أصول السياسة الشرعية، وعلى حسب نوعِ البدعة وانتشارها وقوة أهل السنة وضعفهم، فيجب على عموم الأمة مقاومة البدعة، كلٍّ حسب استطاعته وقدرته، ففرق بين ما يجب على أهل السنة في إيران أمام ركام هائل من الرفض، وحشد متآمر من الروافض حيث الدولة للرافضة والقوة معهم، وما يجب على أهل السنة في مصر والمغرب والسعودية وغيرها إزاء الوجود الرافضي، قال ابن أبي العز: «وأما ما يجب على أعيانهم [يعني كل واحد بعينه]: فهذا يتنوع بتنوع قُدَرهم، وحاجتهم، ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك»[1].

المنهج الشرعي في مواجهة المبتدعة:

المنهج الأمثل في التعامل معهم إنما يتلقى من النصوص العامة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكذلك الرجوع إلى هدي الصحابة والتابعين والأئمة في تعاملهم مع البدع والمبتدعة، ويأتي في مقدمتها هدي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما يمكن أن يستفاد من الوقائع التاريخية والتي يأتي في مقدمتها واقعة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج حيث استطاع بعد مناظرتهم ومحاورتهم إرجاع طائفة كبيرة منهم إلى السنة والجماعة[2].

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٧).

(٢) انظر قصة مناظرة ابن عباس للخوارج في: «السنن الكبرى» للنسائي برقم (٨٥٢٢)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» برقم (١٨٦٧٨)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٥٩٨) أن عددهم كان أربعة وعشرين ألفًا، رجع منهم عشرون ألفًا.

والروافض وإن اختلفوا عن الخوارج في منشأ الضلال؛ لأن الخوارج أتوا من سوء فهمهم، حيث يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، إلا أن منشأ ضلال الروافض سوء قصدهم، وخبث طويتهم، ومع ذلك فإن الحق إذا جاء على الباطل فلا يلبث الباطل أن يكون زهوقًا.

والوقائع كثيرة في ذلك، في المجال الفردي والجماعي، وتأتي في مقدمتها التجربة المثلى التي استطاع بها المجاهد صلاح الدين إزالة الوجود الرافضي من أرض الكنانة، لا بالقوة كما فعل الصفويون بأهل السنة في إيران، بل بالحجة والإقناع، ونشر العلم والسنة، وإعلاء مكانة العلم وأهله؛ لأن ظلمة الباطل سرعان ما تنجلي بنور الحق: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾** [**الإسراء**: ٨١]، ولعل من المناسب أن يستشهد في مجال التعامل مع الوجود الرافضي المتزايد في الدول الإسلامية بفتوى مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أجد من نبه عليها وأشار لها مع أهميتها؛ لأنها تمثل منهجًا دعويًّا فريدًا من جهة، ومن جهة أخرى تبين عدل أئمة السنة مع مخالفيهم مهما جاروا وظلموا واعتدَوا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد علم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقًا عظيمًا وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان[1]، أخذوا الخيل والسلاح والأسرى، وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مر بهم من الجند، وكانوا أضرَّ على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيهما خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين. ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر في غزوهم، وكتبت جوابًا مبسوطًا في غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم، وجرت بيني وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول

(١) هو أخو خدابنده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٦).

وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم، وتمكن المسلمون منهم، نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا[1].

فتأمل عدل أهل السنة مع الرافضة، حيث نهى شيخ الإسلام السلطان عن قتلهم، وتأمل حرصه وحبه لهدايتهم، فأشار على السلطان بتفريقهم بين المسلمين، ومنع اجتماعهم في مكان واحد، ثم قارن ذلك بما يفعله الرافضة اليوم في العراق والشام من إبادة جماعية وقتل عام لأهل السنة على الهوية.

نحتاج اليوم إلى إستراتيجية دعوية لإنقاذ الشيعة من كيد الملالي وإرجاعهم إلى السنة وصرفهم عن مصادر أهل الضلال والزندقة، والتي سماها الإمام الشيعي المهتدي آية الله البرقعي أصنامًا، وطالب بكسرها، وبدأ بكبيرها وأس ضلالها الذي علمهم الكفر والزندقة، وهو كتابهم «الكافي»، كما نادى الإمام الشيعي المهتدي الآخر موسى الموسوي عموم الشيعة قائلًا: «يا شيعة العالم استيقظوا»، ثم أطلق صيحة النذير في كتابه «الصرخة الكبرى».

وتفصيل القول في هذا المنهج لا يحتمل المقام ذكره، ولكني أوجز القول في أهم أصوله ووسائله من خلال ما يلي:

أولًا: دعوتهم إلى التوحيد:

شيعة اليوم من خلال مصادرهم وواقعهم وثنيون مشركون، ولذا فإنه يتعين الأخذ بمنهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم لأممهم، فقد كان أول دعوة الرسل ومفتتح رسالتهم هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال كل نبي لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩، ٧٣، ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذا هو الأصل العظيم الذي

(١) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١٦٠).

تقوم عليه جميع رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام، يقول الإمام ابن القيم: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل[(١)].

ثانيًا: الدعوة إلى رجوعهم إلى مصادر التلقي لدى الأمة:

أخطر ما يفصل شيعة اليوم عن الدين الحق هو مصادر التلقي التي يسمونها «صحاح الإمامية» كما سماها أحد شيوخهم[(٢)]، أو «سنة المعصومين» وفق ما نص عليه الدستور الإيراني[(٣)]، وقد سماها شيخهم المظفر باللغز الذي يحتاج إلى بحث عن حل له وفك لرموزه[(٤)]، وسماها الإمام البرقعي بالأصنام التي تعبد من دون الله، فرأى أن أول مراحل هدايتهم هو كسر هذه الأصنام، وبدأ بكسر أصلها وأساسها وأهمها لديهم، وهو «الكافي»، وذلك في كتابه «كسر الصنم»، كما مر.

وهذه المرحلة في غاية الأهمية، وقد فصلت القول فيها في «مسألة التقريب[(٥)].

وملخص القول فيها يقوم على أصلين:

الأصل الأول: كشف حقيقة مصادرهم في التلقي، ويقوم على ثلاث ركائز في غاية الأهمية، وهي: أولًا: كشف حقيقة أسانيدها الموضوعة، وثانيًا: بيان حال رجالهم ومصنفي كتبهم، وثالثًا: دراسة متونها لبيان تناقضها ومخالفتها للمعقول والمنقول والأمور المعلومة بالضرورة والمتفق عليها.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٤١١).

(٢) «منهاج عملي للتقريب» مقال للرافضي محمد الحائري ضمن كتاب «الوحدة الإسلامية» (ص٢٣٣)، ونشر في مجلة رسالة الإسلام في القاهرة.

(٣) «الدستور الإيراني» (ص١٥-١٦).

(٤) مجلة «الرسالة» مجلد ٣، (ص١٦١٤) بعنوان «السنيون والشيعة وموقفهما اليوم»، محمد رضا المظفر.

(٥) انظر: «مسألة التقريب» (٢/ ٢٥٣).

الثاني: بيان عظمة مصادر السنة وعدالة رواتها والدعوة إلى اتباعها، فهي سبيل النجاة وطريق الهداية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[١].

ثالثًا: الاحتجاج عليهم بالبراهين العقلية والأدلة المتفق عليها:

إقامة الحجة عليهم بالبراهين العقلية، والأدلة المعلومة الضرورية المتفق عليها، وقد سلك شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المنهج، وبينه بقوله: «نقدِّر أن الأخبار المتنازَعَ فيها لم توجد، أو لم يُعلم أيها الصحيح، ونترك الاستدلال بها في الطرفين، ونرجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر، وما يُعلم من العقول والعادات، وما دلت عليه النصوص المتفق عليها[٢]، وقال أيضًا: «فإن تركوا الرواية رأسًا أمكن أن نترك الرواية[٣]، يعني: ونرجع إلى القرآن، ثم بيَّن بطلان أصل مذهبهم بصريح القرآن، وقد رجع بعض شيوخهم إلى الحق حينما رجعوا إلى كتاب الله تعالى، وتدبروا آياته مثل البرقعي، وشريعت سنكلجي وغيرهما.

وفي مؤتمر النجف أقر شيوخ الشيعة جميعًا بالحق لما أقام عليهم الحجة علامة العراق عبد الله السويدي وذلك أمام الملك نادر شاه في القرن الثاني عشر، وفي مصر عاد الناس إلى السنة أفواجًا بعد قرابة ثلاثة قرون من حكم الروافض بتأثير العلماء، ووقفة صلاح الدين الأيوبي[٤].

---

(١) أخرجه الدارقطني ح(٤٦٠٦)، والحاكم في «المستدرك» ح(٣١٩)، وحسنه الألباني («منزلة السنة» ص١٣).

(٢) المصدر السابق (٧/ ٤٤٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٧).

(٤) وأذكر هنا أربعة نماذج:

الأول: المرجع الشهير حسين المؤيد الذي هداه الله إلى الحق بعد قراءته كتاب «أصول مذهب الشيعة»، قال د. محمد السعيدي: كان الشيخ حسين المؤيد أستاذًا في الحوزة في قم، وقدم إليه بعضهم كتاب «أصول مذهب الشيعة» للشيخ القفاري ليرد عليه، وكانت بداية رحلته نحو الهداية. قلت: وقد حدثني بمثل=

رابعًا: بيان الحق لهم كافٍ في إبطال مذهبهم:

فإذا بين الحق عرف الباطل، وإذا قرر التوحيد وأدلته عرف الشرك وبطلانه، وإذا نشرت فضائل الصحابة ومناقبهم ومآثرهم واجتهادهم وجهادهم ومحاسنهم وتاريخهم المشرق، وما لهم من الحقوق يتبين لكل عاقل بأنه لا يقع فيهم أو في أحدهم إلا زنديق، وإذا ذكرت أصول الإيمان وأركان الإسلام يتبين أن من جاء بأصل من عنده أو بركن زائد تقليدًا لشيخه

=ذلك العالم الشيعي المهتدي د. مجيد خليفة، وكذلك أخبرني بمثل ذلك الشيخ أبو المنتصر البلوشي والشيخ المهندس طارق العيسى رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي، وقد جاء إليّ المرجع حسين المؤيد بصحبة الشيخ أبي المنتصر البلوشي، والتقيته بالحرم المكي في حج العام الماضي ١٤٣٣هـ.

الثاني: الأستاذ علاء الدين البصير، وهو من أصحاب التخصصات العلمية الدنيوية الدقيقة، وقد التقيت به بالحرم المكي بعد صلاة التراويح في رمضان عام ١٤٣٥هـ، وذكر لي بأنه كان شيعيًّا يظن أن هذه النحلة هي الحق، ثم تبين له الأمر، وانكشف له المستور، وذكر لي أن من أسباب عودته إلى الحق هو قراءته لكتابي «مسألة التقريب»، وبالذات ما يتعلق بالتأويلات الباطنية عند الشيعة، وقال لي: بعد قراءتي لهذه التأويلات التي لا تربطها أدنى رابطة لا بالمعنى اللغوي، ولا بالمفهوم، ولا بالسياق، قلت في نفسي: إذا ثبت أن هذه التأويلات موجودة في مصادرنا الشيعية كما يذكر صاحب «التقريب» فإن ذلك يكفي دليلًا على بطلان مذهبنا، وأعانني على هذا الفهم أنني صاحب تخصص علمي منهجي، يزن الأقوال بميزان دقيق. قال: حينها بدأت في جمع مكتبة شيعية تضم المصادر الأساسية، ثم قمت بمقابلة النصوص ومراجعها المثبتة في التقريب مع المصادر الشيعية التي تمت الإحالة إليها، فوجدت النتيجة صحة المقابلة، وسلامة التوثيق، وحينئذ أيقنت بأننا على ضلال، وخرجت من المذهب، ومنَّ الله عليّ باعتناق السنة، وكان ذلك قبل تسع عشرة سنة، وجنَّدت نفسي بعدها لفضح هذه النحلة وكشف حقيقتها، وقد صنفت في هذا الباب نحو خمسين كتابًا، نشر منها تسعة.

الثالث: أذكر أنني التقيت مرة بأحد مثقفي الشيعة ووجهت إليه مجموعة من الأسئلة والإيرادات انتهى به الأمر إلى أن اغرورقت عيناه بالدموع، وقال في النهاية: «ما حال أبي وأمي؟».

الرابع: التقيت بأحد علماء الشيعة في مكة، وجرى بيني وبينه حوار انتهى بعجزه عن الرد، وما قلت له: هل أوصى رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه بالإمامة؟ قال: نعم، اقرأ كتاب كذا وكذا، قلت له: فهل استجاب له الناس؟ قال: لا، لم يستجب له إلا القليل مما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، قلت له: وهل أوصى أبو بكر لعمر بالخلافة؟ قال: نعم، قلت: وهل استجاب له الناس؟ قال: نعم، قلت: فهل أبو بكر أكثر تأثيرًا في الناس من رسول الله ﷺ؟ قال: الدين لا يؤخذ بالعقل، الدين يؤخذ بالنص.

والشواهد في ذلك كثيرة، ولديَّ مشروع علمي في إعداد دراسة علمية حول المهتدين من الشيعة إلى السنة.

فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وبه يتقرر بطلان ما يدعون من أن أصل الدين هو الإمامة والأئمة.. وهكذا.

فإن بيان الحق لهم يتضمن أو يستلزم إبطال مذهبهم، وهذا كافٍ في بيان الحق لهم وكشف باطلهم، ولا سيما أن الملالي يوهمون أتباعهم بأن المساس بمذهبهم هو طعن في أئمتهم، وقد يحتاج الداعية للحق إلى الاقتصار على هذا المسلك، ولا سيما في المجتمعات ذات الأكثرية الشيعية، وقد يكون التلميح أبلغ من التصريح. فإذا بين لهؤلاء الرافضة الحق عرفوا حينئذ ما هم عليه من باطل، وبضدها تتميز الأشياء، والضد يُظهر حسنَه الضد.

ويمكن أن يستدل على مشروعية هذا المنهج بقوله سبحانه: **﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [**الأنعام**: ١٠٨]، وكما يدل عليه حديث معاذ حين بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن[1] بأنه سيأتي قومًا من أهل الكتاب، ثم بين منهج دعوتهم والتدرج في بيان الحق لهم، لكنه لم يأمره بمهاجمة ديانتهم، بل أمره بدعوتهم إلى التوحيد أولًا، ثم إلى بقية أركان الإسلام.

وقد حدثني العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في منزله فقال: كنت في البقيع ورأيت ما يفعله الشيعة حول القبور فاتجهت إلى دليلهم كما يعبر الشيخ، وقلت له: ألا تنهى هؤلاء عن هـذه الأعمال التي توقعهـم بالشرك بالله؟! فردَّ عليَّ قائلًا: هؤلاء عوام، والعوام لا يفهمون.

يقول الشيخ في هذه الأثناء: استوقفني أحد كبار علماء إيران ليس في العلم الشرعي ولكن في غيره، فقال لي: يا شيخ «قلت له: أيعرف أنك ابن عثيمين؟ قال: نعم»، هؤلاء (يعني الملالي) قبل الثورة ليس لهم أي قيمة، وعموم الناس اليوم ولا سيما طبقة المثقفين غير مقتنعين بما يقولـون، ثم قـال: والله يا شيخ لو وُجِّهت إليهم إذاعة بالفارسية تبين الحق للناس، ولا تهاجم المذهب لما بقى على مذهبهم أحد.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) .

ثم طلبت من الشيخ في جلسة أخرى أن يعيدها عليَّ، وقلت له: سأرويها عنك، فأعادها عليَّ دون قوله: «ولا تهاجم المذهب».

خامسًا: محاورتهم في أصل نحلتهم:

من الأخطاء الشائعة انشغال بعض المهتمين بأمر التشيع بالردود على شبهات الروافض حول الصحابة، وهذا حرب في غير ميدان، وسقوط في الخديعة الرافضية الكبرى، ذلك أن من الحقائق الثابتة في دين الرافضة أن الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكذلك الصحابة الذين بايعوهم لو كانوا في عصمة من كل خطأ، وسلامة من كل ظلم، وحفظ من كل ذنب، لم يكونوا في اعتقاد الرافضة إلا كافرين ومرتدين لسبب واحد عليه مدار الإيمان والكفر عندهم وهو إمامة الاثني عشر، والكفر بمن سواهم، فالخلفاء الثلاثة كفروا؛ لأنهم تولوا على المسلمين، والصحابة كفروا في اعتقادهم لأنهم بايعوهم، وهذا يقتضي تكفير أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ لأنه بايعهم، بل إنه - كما يقول شيخهم الشريف المرتضى -: «دخل في آرائهم، وصلَّى مقتديًا بهم، وأخذ عطيتهم، ونكح سبيهم، وأنكحهم، ودخل في الشورى»[1].

فإياك ثم إياك أن تشغل نفسك بالرد على ما ينسبونه لبعض الصحابة من مثالب ومطاعن كعثمان ومعاوية وغيرهما من الصحابة، فإن هؤلاء لو لم يقعوا في هذه الأخطاء المنسوبة لهم (حقًّا أو باطلًا) فلا يشفع لهم ذلك عند الروافض حتى يؤمنوا بالإمامة، وفي عصرنا بولاية الفقيه، فقد رووا عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: «وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل

(١) «تنزيه الأنبياء» (ص١٣٢).

من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة»[1].

ومن رواياتهم: أن الله قال لنبيه عن ولاية أئمتهم الاثني عشر: «فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبدًا من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحدًا لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتهم»[2].

وما يقال عن الخلفاء والصحابة يقال في موقف الروافض من خلفاء بني أمية وبني العباس وسائر حكام المسلمين إلى أن تقوم الساعة، وموقفهم ممن بايعهم ورضي بحكمهم ودان بطاعتهم من عموم المسلمين الذين بايعوا خلفاء وحكام زمانهم.

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة المهمة القاضي عبد الجبار فقال: «وكثيرًا تسأل الإمامية عما كان من عثمان في تولية أقاربه وغير ذلك، وفي سير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، وما ذاك إلا لضعفهم وانقطاعهم؛ لأن عثمان لو لم يولِّ أقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافرًا مشركًا عندهم بادعائه الإمامة لنفسه ولأبي بكر وعمر، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر أمير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، فمن يكلم الإمامية في إثارتهم لهذه المسائل كمن يكلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، أو يكلم النصارى في استحلالهم الخمر، وإنما يكلَّم في هذا من قال: لا ذنب لعثمان إلا ما أتاه من الحمى، وتولية الأقارب، ولولا ذلك لكان مثل عمر، ومن قال: لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مسيرهم إلى البصرة، ولولا ذلك لكانوا مثل أبي عبيدة وعبد الرحمن وابن مسعود.

فاعرف هذا ولا تكلمهم فيه البتة، وكلمهم فيما يدعونه من النص فهو الأصل»[3].

---

(١) «الغيبة» للنعماني (ص٨٣)، «بحار الأنوار» (٢٧/ ٢٠١).

(٢) «كشف الاشتباه» عبد الحسين الرشتي (ص٥٩- ٦٣).

(٣) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ٢٩٤)، وانظر الدراسة المنشورة في مجلة البيان بعنوان: «الحوار غير المجدي مع الروافض».

سادسًا: نقد المذهب من داخله:

يوجد في تراثهـم ما يكشف حقيقة مذهبهم، ولذلك أوصى واضعو هذه النحلة بعضهم بعضًا بكتمان دينهم، فقالوا: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[٤]، كما أقروا بأن أحاديثهم لا تقبلها الفطر السوية، فقالوا: «إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم»[٥]، لكنهم مع هذه الوصايا فضحوا أنفسهم، وكشفوا عورات مذهبهم؛ لأنهم كما يعترفون «مبتلون بالنـَّزَق[٦]، وقلة الكتمان»[٧].

ذلك أن من يتأمل - مثلًا - الأصل الذي يقوم عليه دينهم اليوم، وهو أساس دولتهم ومنطلق ثورتهم ألا وهو عقيدة الغيبة، وهي خرافة كبرى يكفي مجرد عرضها لبيان بطلانها[٨]، وقد رجع أكثرهم عن التشيع - كما تقول نصوصهم - في المائة الثالثة بسبب شكهم في هذه العقيدة الخرافية[٩].

وقد أشار شيخهم ابن بابويه القمي إلى أنه وجد «أكثر المختلفين عليه من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم - عليه السلام - الشبهة»[١٠].

ومثال آخر كان أيضًا سببًا في خروج الكثير من نحلتهم، ألا وهي ظاهرة التناقض، وقد اعترف شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة بـ «ما آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه» واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى،

---

(٤) «أصول الكافي» (١/ ٢٢٢).
(٥) «بحار الأنوار» (٢/ ١٩٢).
(٦) أي الخفة والطيش.
(٧) «الكافي» (١/ ٢٢٢).
(٨) انظر تفصيل القول فيها في: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٨٢٣) وما بعدها.
(٩) انظر: «الغيبة» للنعماني (ص١١)، «الغيبة» للطوسي (ص١٠٥-١٠٦).
(١٠) «إكمال الدين» (ص٢).

وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض[1]. والأمثلة في هذا الباب كثيرة[2].

سابعًا: معرفة مكائدهم لتوقيها:

معلوم أن للروافض وسائل في المكر والكيد لا تدري اليهود بعشرها، ولا تصل الشياطين إلى خبثها، ومن الضروري معرفتها على سبيل التفصيل للحذر منها[3].

ثامنًا: الاستفادة من الأعلام المهتدين:

الاستفادة من الأعلام الذين اهتدوا إلى الحق، وذلك بالتعرف على وسائل دعوتهم، ونوع الخطاب المؤثر فيهم، والأساليب المناسبة لشيوخهم وعوامهم، كما يتعين الاهتمام بإشاعة تجربتهم بين بني ملتهم، ونشر كتبهم، وترجمة ما لم يترجم منها، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، فهناك كتب ألفها باحثون شيعة مهتدون إيرانيون وغير إيرانيين، وقد كان لهذه الكتب أثر كبير في أوساط الشيعة، وقد توقف طبعها إما لمحاربة المتطرفين لها، وإما لأسباب أخرى، فيعاد طبع هذه الكتب وتوزع بيعًا وإهداء.

ومن أمثلة ذلك كتاب الكسروي «التشيع والشيعة» وقد كتبه لشيعة الكويت، وتم قتل مؤلفه بتدبير من ملالي الرافضة، وذلك أثناء المحاكمة التي اقتيد إليها، أما كتابه فكان لا يكاد يوجد منه نسخة على وجه الأرض، وأثناء سفري إلى العراق لجمع المادة العلمية حول التشيع أثناء إعدادي لرسالة الماجستير يسر الله لي العثور على هذا الكتاب في المكتبة القادرية في بغداد، وصورته، ثم نشرته فيما بعد[4].

---

(١) انظر: «تهذيب الأحكام» (١/ ٢-٣).

(٢) راجع كتاب: «أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق».

(٣) انظر تفصيلها في «مسألة التقريب» (١/ ٥٨-٨٣).

(٤) نشر عام ١٤٠٤هـ بمشاركة أخي د. سلمان العودة.

تاسعًا: محاولة منع أسباب انتشار ضلالهم:

ومن أهمها:

أ- قطع الشريان المادي وهو الخمس المالي، وذلك لأن الخمس له تأثيره الخطير في بقاء نحلتهم وامتداد ضلالاهم وانتشار فتنتهم، ولذلك ذكر د. علي السالوس أنه لولا هذا الخمس لما بقى الخلاف بين السنة والشيعة[1]، وأما وسيلة قطعه ومنعه فإنها يتحقق بأمرين: الأول: بيان بطلانه بالحجة والبرهان، والثاني: الحيلولة دون تحويله للمراجع الشيعية بالقوة والسلطان، وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[2].

ب- منع المدد المعنوي والعاطفي في المآتم والمجالس، فإن لها الأثر الكبير في زرع الحقد والكراهية في نفوسهم تجاه مخالفيهم، ولذلك ذكر الخميني في التلفزيون الإيراني أن هذه المآتم هي التي حفظت مذهبهم طيلة أربعة عشر قرنًا[3]، وقد ذكر لي د/ مجيد خليفة - وهو أحد المهتدين من الشيعة -: «إن دين الشيعة يقوم على العاطفة، وإن الشيعي إذا استخدم عقله فإما أن يهتدي وإما أن يلحد»، فهذه المآتم وما يجري فيها من حكايات الصراع المكذوبة بين الآل والأصحاب، وقصص التاريخ المشوه الذي وضعته الشعوبية الحاقدة هي التي تغرس في نفوسهم بذور الحقد، وتذكي فيهم نار العدوان والانتقام من مخالفيهم، لا سيما إذا أضيف إلى ذلك نصوصهم المقدسة في مصادرهم التي تحضهم على القتل وفتاوى مراجعهم التي تشجعهم على الإرهاب.

---

(١) انظر: «الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية» للمؤلف.

(٢) انظر بحث: «اللصوصية المقنَّعة» المنشور بمجلة البيان.

(٣) جريدة «الاطلاعات» العدد (١٥٩٠١) في تاريخ ١٦/٨/ ١٣٩٩هـ (عن كتاب «إقناع اللائم على إقامة المآتم»، صفحة الغلاف).

عاشرًا: التوعية العامة:

وذلك بطرق منها:

أ- توزيع الكتب والنشرات والمطويات التي تكشف بطلان عقائد هذه الطائفة، لاسيما بين أئمة المساجد والعاملين في ميدان الدعوة وغيرهم، فتوزيع هذه الكتب على أئمة المساجد ومعلمي المدارس ومديري الإدارات والعاملين في ميدان الدعوة عن طريق المؤسسات الدعوية يساعد على وقف المد الشيعي وتعريف الناس بخطره.

ب - نشر ثقافة المحبة بين الآل والصحابة، وإبراز تسمية آل البيت أسماء أبنائهم بأسماء كبار الصحابة، كتسمية علي رضي الله عنه بعض أبنائه بأبي بكر وعمر وعثمان، وإظهار جوانب الصلات والمصاهرات بينهما كزواج عمر رضي الله عنه من ابنة علي رضي الله عنه.

ج - توجيه أئمة المساجد إلى إعداد خطب عن الأمور التي تكشف هذه العقيدة الشيعية، وتبين القضايا العقدية التي خالف فيها الشيعة عموم الأمة بأسلوب يبين الحق دون تقليل أو تهويل، ولتكن بمثابة دروس علمية في بيان السنة وكشف حقيقة هذه النحلة وبطلانها.

د - إنشاء دوريات (صحف، مجلات) في الداخل وفي البلدان الإسلامية للاهتمام بفضح المخطط الشيعي وبيان فساده في عدة بلدان - ولاسيما التي تتعرض للغزو الشيعي الباطني - بلغات مختلفة ويشرف عليها أشخاص من نفس بلد المنشأ وتعنى هذه الدوريات بتتبع الفكر الشيعي وتوابعه ومخططاته مع التثقيف المستمر عن هذه النحلة، ولا يكتفى بإنشاء الدوريات بل يتواصل مع المشرفين على الدوريات القائمة ليكون موضوع رصد التشيع والتحذير منه جزءًا من أهدافها.

هـ - التواصل مع الجمعيات الإسلامية في العالم الإسلام، فيتواصل مع المعتدل منها، لحثها على جعل هذا الموضوع ضمن اهتماماتها حماية للأمة من خطر هذه النحلة.

و - إنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية للرصد والتحذير والدفاع والدعوة والتواصل، فإن لها تأثيرًا كبيرًا جدًّا.

ز - الاستفادة من وسائل الإعلام لبيان الحق لهم، ودعوتهم، وهذا يحتاج إلى دعم عدد من الفضائيات وبعدد من اللغات خاصة الفارسية والأردية والعربية، ومع الأسف فإن للرافضة عددًا كبيرًا من الفضائيات تنشر فتنهم وضلالهم، ولا يوجد ما يواجهها ولا بعشر عددها، وإلا فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه، ولابد من توجيه القنوات التلفزيونية والإذاعات الرسمية لإعداد برامج عن مكانة الصحابة وحقوقهم، وبراءة أهل بيت النبوة من البدع ونحو ذلك.

كما أنه من المهم تصنيف نشرات، ومطويات، وتسجيل أشرطة، والمشاركة في فضائيات، وصحف، ودوريات، وإذاعات وذلك وفق منهج دعوي متخصص يوجه إليهم، ويبين الحق لهم بدون إثارة، أو هجوم، أو مواجهة، وقد ثبت في حالات كثيرة رجوعهم إلى الحق بعد قراءة كتاب، أو مطوية، أو سماع شريط، أو مشاهدة حلقة في فضائية.

حادي عشر: المناهج الدراسية:

إن من المهم الاستفادة من المناهج الدراسية في بلاد أهل السنة لبيان الحق لهم، ولا سيما في مناهج المدارس الابتدائية، والمتوسطة، فقد قال علماء التربية والاجتماع: كم من أحداث وقعت في التاريخ، وأثرت في سير المجتمع تكمن بواعثها في مؤثرات منزلية، ومدرسية.

والمراجع لمناهج الدراسة في إيران والمطبقة على الشيعة وأهل السنة سواء يجد أنها تحولت لديهم إلى صياغة لفكر الناشئة مما يحول بينهم وبين الحق، حتى بلغ الحال بهم أن حولوا الأسئلة النحوية إلى تعليمات عقدية لناشئتهم، بينما هم يعترضون في المناهج لدينا على مسائل عقدية ثابتة، أو حوادث تاريخية واقعة، ولا يترددون في مخاطبة أصحاب القرار للاحتجاج عليها.

ومن المتعين حث جميع الجامعات على تدريس عقائد هذه الطائفة كمتطلب جامعي، إذ لا يوجد في المناهج الجامعية في كثير من الجامعات مقررات تكفي لفهم عقيدة الشيعة وبيان بطلانها مما يجعل أبناءنا وبناتنا غير محصنين ضد هذه العقيدة التي يتدسس بها الشيعة إليهم من خلال العواطف مستغلين روايات تاريخية لا تصح وذلك عبر القنوات والشبكة العنكبوتية والاتصال المباشر.

ولهذا فلا بد من إعداد منهج خاص بعقائد هذه الطائفة وبيان بطلانها بالأسلوب العلمي الهادئ، ويوضع كتاب يشتمل على عقيدة الشيعة الإثنى عشرية يعرض أهم عقائدها وأساليبها والرد على شبهاتها.

ثاني عشر: دعم أهل السنة في إيران:

يعاني أهل السنة في إيران من الاضطهاد والتعذيب والإقصاء، ولا يجدون من أهل السنة خارج إيران نصيرًا ولا معينًا، ومن الواجب على أهل السنة أن يقوموا بالحق الواجب تجاه إخوانهم بنصرة قضاياهم، والتواصل معهم.

ومن أهم ما يجب الاعتناء به فتح أبواب الدراسة في الكليات الشرعية لطلاب أهل السنة في إيران، وتزويدهم بالعلم والمال ليكونوا دعاة لأهلهم وإخوانهم إذا رجعوا إليهم.

ومن الضروري أيضًا التواصل مع علماء ودعاة أهل السنة هناك لمعرفة أخبارهم والاطلاع على أحوالهم ونصرتهم ودعمهم معنويًا وماديًا.

ثالث عشر: الدورات:

عقد دورات تأهيلية لبعض الدعاة للتخصص في دراسة معتقد هذه النحلة ودعوة أتباعها، وكذلك عقد الدورات للعناصر المختارة من المهتدين منهم، يعتني بمناهجها، ويختار لها مراجعها، وينتخب أساتذتها، بحيث تعقد دورات خاصة بالدعاة المهتدين يكون

لها الصفة الحوارية للإفادة والاستفادة، ودورة أخرى للدعاة العاملين أيضًا للتعريف بهذه الطائفة وبيان بطلان عقائدها، ويجب أن يكون أئمة المساجد ومدراء المدارس ومعلموها على وعي كامل بهذه الفرقة وعقيدتها، ولعل ذلك لا يتحقق إلا بعقد دورات ولقاءات مع أئمة المساجد ومدراء المدارس ومعلميها.

رابع عشر: التأهيل:

تأهيل نخب من طلاب العلم للدعوة والحوار والتأليف والمشاركة في الفضائيات، وللأسف فإن الذي يقوم بهذه المهمة هم شيوخ الروافض، فإن لهم مراكز متخصصة تدرب الدعاة وتبعثهم إلى العالم الإسلامي ليقوموا بمهمة الدعوة وفق مراحل مدروسة، وتحت مظلات مختلفة طبية، واجتماعية، ومصرفية، واقتصادية، وتربوية، وسياحية... إلخ.

ولا يقتصر هذا النشاط على الشيعة فقط، بل يتعين الاهتمام بفتح المعاهد والمراكز في البلدان الإسلامية لإعداد الدعاة المؤهلين في كل ملة ونحلة وفرقة، وإقامة معاهد بعد المرحلة الثانوية لإعداد الدعاة الملمين بعقائد المخالفين المدربين على الحوار مع المخالف، وتفتح هذه المعاهد في عدة دول وتصرف للدارسين بها مكافآت كحافز للالتحاق بهذه المعاهد، ثم ينتقى المتميزون منهم بعد التخرج لرعايتهم والاستفادة منهم، ويشرف على هذه المعاهد أشخاص من نفس البلدان التي تقام فيها، وتعد المناهج لتكون شاملة لكل الجوانب العلمية والعقدية ليكون خريجوها على مستوى عال من الوعي.

ويخدم هذا التأهيل وسيلتان أساسيتان:

الأولى: إنشاء مكتبة علمية متكاملة تضم مصادرهم، وإصداراتهم الورقية والإلكترونية، ودورياتهم، وصحفهم، ومجلاتهم، ومناهجهم، ومقرراتهم... إلخ.

الثانية: إنشاء مراكز علمية تعنى بدراسة التشيع وفرقه ومصادره ومناهجه وعقائده

وتاريخه وواقعه، وإعداد الدراسات العلمية التي تتناول معتقداتهم ومصادرهم وأهدافهم وجميع ما يتعلق بشأنهم، تضم مجموعة من المختصين، والباحثين، والمهتمين بأمر التشيع والتيارات الباطنية، وتقوم برصد أنشطتهم من حركات، وأحزاب، ومراكز، وجمعيات، ومذاهب، ومواقع، ومنتديات، وفضائيات، ودعـاة، ورسائل ونـشرات، ومجلات، ومقررات.

الفهرس

